

المسكوت عنه في قضايا الصحافة

■ الصور: ألبوم

التاريخ.. يوميات
مقدسية

■ حكايا

اللطائف

والقطائف

■ أوروبا: هل

تصبح إسلامية؟

■ الأمريكان: كيف

يبيعون حروبهم؟!



حيدر الزكي ٢٠٠٧

لأننا دائماً نهتم بالاحتياجات الحقيقية
لعملائنا وصلنا بثقتكم لأكثر من

مشترك

موبينيل

الكلمة من القلب



محتويات العدد:

- ٤ - سلامة أحمد سلامة
نون، حصاد صيف ساخن.
- ٨ - راسيل سيكر
دواعي التجزأة.
- 1 - When The Press Fails: Political Power and the New Media from
Iraq to Katrina. تأليف: دانييلو. لانس بينيت وريجينا جي. لورانس
وستيفن تيفينجتون.
- 2 - American Carnival: Journalism Under Siege in an Age of New
Media. تأليف: نيل هنري.
- ١٣ - جيمزى سانت كلير
كيف تبني حربنا؟
- ١٦ - تيموثي جارتون اش
هوروبا.. Eurabia.
- 1 - Murder in Amsterdam: The Death of Theo Van Gogh and the
Limits of Tolerance. تأليف: إيان بورما
- 2 - The Caged Virgin: An Emancipation Proclamation for Women and
Islam. تأليف: إيان هيريس على
- ٢٢ - زكاري لوكسمان
«اختراع» الإنسان الإسلامي.
- ٢٦ - همام الحماسي
تركيا الجديدة.
- ٣٢ - كمال حبيب
الجمهورية الثالثة.
- ٣٤ - همام حسام
الشيخ والحركة.
- ٤٠ - معتر الخطيب
القرضاوي.. المرجع.
- ٤٤ - محمد معوض النجار
اللطائف والطفائف.
- ٥٠ - همام نصار
«الصون» اليوم.. التاريخ.. الحياة اليومية كمصدر للدراسة التاريخية.
- ٥٦ - منار الشوربجي
«إعادة تعريف السياسة في مصر.. كفاية».
- ٦٢ - خالد الخسيس
خلع الكرافة وهو يكتب: حياة جلال أمين.
- ٦٦ - همام النحاس
سبنا شابة.
- ٧٠ - أكاديميا
«السينما الشعبية في مصر.. الجنس والطبقة والهوية».
- ٧٢ - تانيا رابنهارت
«في ذكرى أوداد سعيد.. حينما تكون القوة في الحق».
- المحاضرة التذكارية لإوداد سعيد لعام ٢٠٠٦ بجامعة أديلبد في أستراليا
في السابع من أكتوبر ٢٠٠٦
- ٧٨ - إصدارات جديدة

كتاب العدد:

- تانيا رابنهارت.. حالة لغويات إسرائيلية ومن نشطاء حركة السلام.
- تيموثي جارتون اش.. أسئلة الدراسات الأوروبية بجامعة تكفورد.
- جيمزى سانت كلير.. بعض وكاتب ومحرر نشرة Counterpanch السياسية.
- حسان تمام.. باحث مصري.
- خالد الحمصى.. زوالى مصري.
- راسل بيكر.. كاتب أمريكي حاصل على جائزة بوليتزر.
- زكاري لوكسمان.. أسئلة تاريخ الشرق الأوسط الحديث بجامعة نيويورك.
- سلامة أحمد سلامة.. صحفي.
- همام نصار.. أسئلة التاريخ ومدير مشارك في مؤسسة الدراسات المقدسية.
- كمال حبيب.. متخصص في الشؤون التركية.
- محمد معوض النجار.. كاتب مصري.
- منار الشوربجي.. باحة متخصصة في الشؤون الأمريكية.
- همام الحماسي.. باحث في الشؤون الحركات الإسلامية

رسوم العدد للفنانين

محمد حجي - Daryl Cagle, Riber Hansson



يحظر النسخ أو الطبع أو التصوير على عمامات ورقية
أو غير الخاسبات لكل أو بعض المقالات المنشورة أو أجزاء
منها، بغض عن كتابي عسقب من المناشر.



المراسلات:

الشركة المصرية للنشر العربي والدولي

٢ ميدان طلعت حرب، القاهرة، جمهورية مصر العربية
ت: ٢٣٨٠-١٩٠ / ٢٣٨٠-٤٩٢ / ٢٣٨٠-٤٩٦ فاكس ٢٣٨٠-١٩٨ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني (التحرير): e-mail: info@alkotob.com

الاشتراكات:

البينة الواحدة (أشتر عددًا) شاملة أجرة البريد: داخل مصر ١٠٠ جنيه مصري - أجماع
بريد عربي: ٦٠ دولارًا أمريكيًا - أوروبا وأفريقيا: ٧٠ دولارًا أمريكيًا - أمريكا وكندا: ٨٠
دولارًا أمريكيًا - باقي دول العالم: ١٠٠ دولار أمريكي
إدارة الاشتراكات: ٨ شارع سيويه المصري - ص. ب. ٢٢ إلهانوارما - مدينة نصر
هاتف: ٢٠٢٣٣٩٩ - فاكس ٢٠٢٤٨٥٦ subscription@weghatnazar.com

نمن النسخة:

في مصر ١٠ جنيهات مصرية - السعودية ١٥ ريالًا - الكويت ١٥ دينار - الإمارات ١٥
درهما - مملكة البحرين ١٠٥ دينار - قطر ١٥ ريالًا - سلطنة عُمان ١٠٥ ريال - لبنان ٥٠٠٠
ليرة - سوريا ١٥٠ ليرة - الأردن ديناران ونصف - ليبيا ديناران - الجزائر ٣٠٠ دينار - المغرب
٣٠ درهما - تونس ٤ دينارين - اليمن ٣٠٠ ريال - فلسطين ٣ دولارات.
Austria, France, Germany and Italy: EURO 6 - United Kingdom £3 - USA \$ 5.

طبع بمطابع الشرق بالقاهرة

حصار صيف ساخن

العالم نتيجة انهيار الاتحاد السوفيتي. وقد انعكس ذلك في موقفها الحاسم من معارضة نشر الصواريخ الأمريكية في أوروبا الشرقية، بولندا وتشيك، وهددت باتخاذ إجراءات مضادة إذا واصلت أمريكا محاولاتها. وأحدثت هذه القضية انقساماً داخل التحالف الأطلسي ضد زيادة أجواء الحرب الباردة في أوروبا. ويبدو واضحاً أن على أوروبا أن توازن بين مصالحها في علاقات سياسية واقتصادية مستقرة مع روسيا، وبين الانجراف وراء سياسات دفاعية استنزافية لا جدوى منها غير إثبات الهيمنة الأمريكية العالمية، وتلعب روسيا بعدة أوراق مهمة في هذا الصدد... من بينها سيطرتها على نسبة كبيرة من مصادر الطاقة والغاز التي تعتمد عليها أوروبا. واحتفاظها بعلاقات ودية متوازنة مع إيران، منحتها من امتلاك أوراق عديدة، ليس فقط في الملف النووي الإيراني، ولكن أيضاً في التأثير على مجريات الأمور في الشرق الأوسط. ولا يمكن في هذا الإطار إغفال الظواهر المهمة للصين كقوة عظمى منافسة، تجتهد في كسر الحواجز الاقتصادية على مستوى العالم وأصبحت تشل شبكات مختلف أصص الإسماع بأطرافه سياسياً واقتصادياً، بل وعسكرياً. إذ لم يعد النمو الاقتصادي المذهل لثلاثين الصين التي أغرق الأسواق أوروبا والعالم بمنتجات صناعية وسلع استهلاكية كانت حكرًا على الغرب، هو التي يثير الخوف من المنافسة الشرسة للاقتصاد الصيني الصيني واستيلائه على الأسواق العالمية، ولكن اختناق الصين تحت وطأة ضعفها الاقتصادي المتسارع يثير قلق الغرب من الأضرار البيئية الجسيمة

وإعادة بناء التحالف الأطلسي على أسس جديدة، تستعيد الانفراد الأمريكي بالقرار، ذهاب التيارات السياسية التي أسهمت في توسيع القوة بين الطرفين، بخروج شرودر وشيراك وتوني بلير وبيرسكوني، ومجيء قيادات أوروبية تترك أهمية الشراكة الأوروبية الأطلسية، ليس فقط في مواجهة قوى التمدد الهائلة عالمياً، ولكن أيضاً في مواجهة أخطار التمدد الروسي والعلمقة الصينية وانفلات مخاطر الانتشار النووي الذي تقوده إيران.. وكلها كانت من أخطر التطورات التي شهدتها العالم في سنوات ولاية بوش وخلافاته مع أوروبا. ولذلك لم يكن غريباً أن تتساقط من إدارة بوش معظم الشخصيات التي رسمت وفذت سياسة اليمين الأمريكي الجديد، وتبنت في إضعاف أمريكا وهزيمة معظم مخططاتها، فلم يبق من غلاة اليمين في إدارة بوش غير نائبه تشيني، بينما ذهب فيث ولوفويتز وعدد كبير من مساعدي الرئيس وأقرب مستشاريه في البيت الأبيض وعلى رأسهم دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكي السابق الذي لعبت سياساته دوراً أساسياً في إغراق أمريكا في حل العراق.

ولكن تكتمل أركان الصورة البانوزمية لظاهر التغيير، فلا بد أن تنتهي إلى ما طرأ على العلاقات الغربية من تحولات تبدو طغيفة في ظاهرها، ولكنها بالغة العمق والدلالة، إزاء كل من الصين وروسيا. إذ تعمل روسيا بوتئين على ملء الفراغ السياسي الذي أحس به

إحدهما من أفقر دول العالم هي أفغانستان، والثانية من أغنى دول العالم بالثروة النفطية وهي العراق. ولكنهما تنتميان إلى العالم الثالث. قد جاء نتيجة الاقتناع غربي عام بأن إخضاع الشعوب في هذه الدول وإدخالها في زمرة القيم والمصالح الغربية لن يتم بسهولة المتوقعة. تستدعي وحدة الصف بين أمريكا وأوروبا، وتجميع الجهود والسياسات لمنع قوى التمدد والثورة التي تسعى للخروج على هيمنة النظام العالمي ببقية الغرب.



ويمكن القول إن الخلاف الذي ظهر في صفوف الغرب بين أمريكا من ناحية، وأوروبا من ناحية أخرى بسبب حرب العراق، قد تم وأب الصدور التي نجمت عنه، والتي أدت إلى بعض التباينات في المواقف التي عارضت حرب العراق. ونحن نشهد الآن تنسيقاً أوسع نطاقاً بين الدول الأوروبية وأمريكا في أفغانستان، يلعب فيه حلف الأطلسي دوراً رئيسياً.. ليس لمساعدة أمريكا على تحقيق أهدافها في أفغانستان ولكن لمنع حدوث انهيار غربي وهزيمة محققة لجيوش الأطلسي في مواجهة طالبان، أو بعبارة أخرى هزيمة للغرب في مواجهة قوى التمدد الإسلامية التي أعادت بناء نفسها وانتشارها، كما نشهد تعاوناً أوروبياً أمريكياً.. تقوده فرنسا ساركوزي لمساعدة القوات الأمريكية على الخروج من العراق بأقل الخسائر الممكنة.. سياسياً وعالمياً. وقد كان من أهم مظاهر التغيير التي حدثت وساعدت على التقارب

العالم من بعيد يبدو أكثر اختلافاً مما يتصور الكثيرون.. تقترب أولوياته بحسب اهتمامات أبعد ما تكون عن اهتماماتنا. ونقف نحن بالنسبة إليه في أسفل سلم من الأولويات، ما نفتأ ننزلق إلى ما المظلم، الذي يثير الإشفاق أحياناً ويشير الخوف معظم الأحيان. ويهجر أن يخرج المواطن العربي من الحدود الجغرافية والسياسية التي تحاصره، تتكشف أمام عينيه ضالة عالمه الذي يلاحقه ليل نهار، واتساع المسافة التي تفصل بينه وبين العالم المتقدم أو بينه وبين الآخرين. وهم يقولون إن العالم تغير بعد سبتمبر إلى نوع من المواجهة بين الإرهاب والعالم المتحضر، ولكنه في الواقع تغير إلى مواجهة بين الغرب وكل ما يخالفه من مسلمات وقيم ومطابق للتفكير والسلوك.. تركزت بشكل واضح في العالم العربي، والشرق الأوسط والعالم الإسلامي، ولكنه لم يستبعد مناطق أخرى في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، مازال ينظر إليها باعتبارها مجالاً للمواجهة في المستقبل المنظور، حتى وإن بدا في تعامله مع روسيا والصين والهند والبرازيل أنه أكثر استعداداً للمعاملة والمساومة والقبول. ولكن يبقى الإرهاب والقضاء عليه هو شعار القرن الواحد والعشرين. وأن توضع تحت عيانه أشكال مختلفة من الأفكار والأنشطة والمرجعيات التي ستؤهل بفعل مراعات وقوى جديدة مع تقدم القرن، لن تستسلم بسهولة لنمط لقوة العظمى الوحيدة في العالم. ومن الثابت أن التحول الجذري الذي طرأ على موقف أوروبا، بعد حربين طاحنتين ضد دولتين





نحن نشهد الآن تنسيقاً أوسع نطاقاً بين الدول الأوروبية وأمريكا في أفغانستان، يلعب فيه حلف الأطلسي دوراً رئيسياً.. ليس لمساعدة أمريكا على تحقيق أهدافها في أفغانستان ولكن لمنع حدوث انهيار غربي وهزيمة محققة لجيوش الأطلسي في مواجهة طالبان



هائلة لا مثيل لها في الدول الديمقراطية عموماً.

وعلى الرغم من أن سنوات حكم حزب العدالة والتنمية لم تشهد ممارسات توحى بأن الحزب سوف يعود بتركيا إلى نظام الخلافة الإسلامية، أو أن رجال الدين وعلماء هم الذين سيتولون حكم البلاد، أو أن الانتخابات القريبة سوف تكون مرة واحدة وتنتهي حقبة الديمقراطية التركية، إلا أن الحملات على الحزب ومرشحه عبدالله جول وماضيه القديم كعضو في حزب الرفاه الإسلامي، لم تتوقف..

لا من جانب القوى والأحزاب السياسية التركية، ولا من جانب السياسيين الأوروبيين والإعلام الغربي، الذي يجد في روجة عبدالله جول وغطاء رأسها وملابسها المحتشمة سبباً كافياً لتقرب سقوط تركيا في زمرة الأنظمة الدينية الرجعية التي اجتاحت الشرق الأوسط والعالم الإسلامي.. ومن ثم المبرر الذي يضمن تعطيل قبول عضويتها الكاملة في الاتحاد الأوروبي.. وهو الاتجاه الذي يقوده ساركوزي حتى لا تحصل تركيا إلا على عضوية ناقصة لأنها لا تنتمي إلى الحضارة الديمقراطية الأوروبية!! وهذا الاتجاه الذي تقوده فرنسا تساريفها فيه معظم الدول الأوروبية باستثناء بريطانيا وبعض أحزاب هنا وهناك.. وهو ما يلقي الضوء على أسباب فشل حوار الحضارات أو حوار الأديان، تلك المقولة الزائفة التي تتعلق في كثير من الجهود والمحاولات الضائعة بين العرب وأوروبا بين وقت وآخر.

غير أن هذه الصورة قد تتغير بالنسبة للدول العربية والإسلامية، شيئاً مختلطاً تماماً عما تعنيه بالنسبة لأوروبا والغرب، فهي إذا كانت تعني بالنسبة لأوروبا بداية حقبة جديدة في

تاريخياً بتعميمها للإسلام.. في خضم حرب دامية لم تتوقف منذ سنوات، وهو ما أوقع الإعلام الغربي في تناقض بين الدعا عن إطلاق سراح المختطفين ومعظمهم من النساء، وبين الأنشطة المشبوهة للكنائس الإنجيلية في مناطق المزارعات والحروب.



أما الصورة الثانية والتي كانت بمثابة لكمة لتيار غربي سائد، يجد له الضمير في عالمنا العربي، يخلط بين الدين والسياسة ويستبعد عن الفكر الإسلامي والحضارة التي قامت عليه القدرة على إقامة نظام حكم رشيد يواكب الحداثة، ويقوم على الديمقراطية واحترام الحريات والقيم الإنسانية.. فقد وقعت تفاصيلها في تركيا، حين نجح حزب العدالة والتنمية.. ذو التوجهات الإسلامية، في فوز مرشحه بمنصب رئيس الجمهورية في انتخابات زهية لا ملعن عليها، وبعد جهود مضنية بذلتها قوى المعارضة الدينية المؤيدة من الغرب التي يخفى تعصبه الديني وراء ألقاف زائفة من الدفاع عن حرية الرأي والعقيدة، والفصل بين الكنيسة والدولة، وبين الدين والسياسة.. وكلها صياغات لفظية تفترق إلى الممارسة الصحيحة على أرض الواقع.

فلا يوجد في حقيقة الأمر سبب يدعو الجيش التركي إلى الاستناد في الدفاع عن الديمقراطية والكماليين وإدعاء العثمانية، غير الإصرار على الإبقاء على نفوذه في الحياة السياسية التركية وتفصيل الديمقراطية على مقياس البذلة العسكرية التي تتمتع بامتيازات

الغريبي، وكلها تحمل دلالات وإرغاصات ذات مغزى:

أولها وأكثرها دلالة، ولا يمكن فصلها عما يحدث في العراق، هو الهزيمة التي أنزلتها طالبان بالغرب، حين أجبرت كوريا الجنوبية على اتخاذ قرارات صعبة تراجعت فيها عن السياسات الغربية الشابتة في التعامل مع طالبان في أفغانستان مقابل الإفراج عن أكثر من عشرين فتاة ورجلاً كوريين سقطوا أسرى في يد طالبان. وقد استجابت كوريا الجنوبية لشروط طالبان فوعدت بسحب قواتها من أفغانستان مع نهاية العام، وتمهتد بعدم إرسال بعثات تيسيرية إلى الأراضي الأفغانية، وذهبت يد تقرر بعشرين مليون دولار لقوات طالبان.

وقد دأبت السياسات الغربية، سواء في العراق أو أفغانستان، أو حتى مع إسرائيل على عدم الاستجابة أو التناقص عن الشروط التي ترفضها الجهة الخاطفة، بدعوى عدم التسليم بشرميتها، وهو وضع معكوس دولياً وإنسانياً، ففي كل هذه الحالات تقوم حالة حرب عنوانية من قوى أجنبية تحتل أراضي دول مقربة أخرى تدافع عن حقوقها وحرياتها. وتحت ذرائع مختلفة كال حرب ضد الإرهاب أو الدفاع عن الديمقراطية وحقوق الإنسان وتقدم المراقبة، تتكاتف قوى دولية طامعة في شروات هذه الشعوب، لإخضاعها وابتزازها واستغلالها.

ويبدو تناقض المشهد الغربي ونفاق قيمه السائدة التي تحارب التعصب الديني لجماعات طالبان والفاصلة، من حداث اختطاف الرهائن الكوريين الذين يمثلون الإنجيلية للتبشير بالدين المسيحي بين القبائل الأفغانية التي عرفت

التي تنطوي على مخاطر تدميرية على الشعب الصيني نفسه، وبين الخوف من الطغيان الصيني الجارف على الغرب ومصلحه، والحرص على ألا تبقى الصين خارج الضوابط والمعايير العالمية سواء في إنتاجها الصناعي أو فيما تفرزه من أضرار بيئية أو في الالتزام بالقيم السائدة للحريات وحقوق الإنسان.. تظل العلاقات بين الغرب والصين في منطقة حرجية متارجحة يصعب التنبؤ باحتمالاتها أو ضبط إيقاعها.

وهذه الحقيقة هي التي تعطى للصين قوتها غير المحدودة، والتي ثبت تأثيرها في حل مشكلة الملف النووي الكوري، وعندما تمقّد دورة الألعاب الأولمبية القادمة في بكين، وتثبت الصين قدرتها على تنظيم هذا الحدث العالمي بنفس الدرجة من الإتقان والروعة والإخراج التي تميزت بها عواصم الغرب، مع أكبر عدد من الميداليات الذهبية، فسوف تتبوأ الصين مقعدها كشوة عالمية كبرى معترف بها في المحافل الدولية التي ظلت مغلقة في وجهها ومقصورة على الثمانيات الكبار.



لم تكن شهور الصيف الحارقة التي افصحت بشدة عن تناقض ظاهرة الاحتباس الحراري وما أشعلت من حرائق وتسببت فيه من عواصف وفيضانات في الغرب غير الوجه الجغرافي للتغير المناخي الذي أصاب العالم في صورته الراهنة. أما الوجه السياسي فقد عبرت عنه ثلاث صور متباعدة لأحداث وقعت في مناطق النفوذ



إذا كانت تعنى بالنسبة لأوروبا بداية حقبة جديدة

فى التعامل مع تركيا. إلا أنها تعنى بالنسبة للدول العربية والإسلامية إحباطاً لأنظمة حكم عاجزة ومرتعشة من نفوذ التيارات الإسلامية المتنامية، وهشلاً فى مواجهة المستقبل



مساندة العالم العربى الإسلامى، فى مقابل الفوائد الناجمة عن مسابرة السياسات الأمريكية، رغم ما يكتنفها من مخاطر ومخاطر وانفراد بالرائى.

وربما كان من أهم ما أسفرت عنه تطورات هذا الصيف، والتي انعكست ملامحها فى الصور الثلاث السابقة، هو ازدياد التورط الأوروبي فى المشاكل الناجمة عن مخاطر اليمين الأمريكى وما جره من حروب وصراعات دامية فى مناطق مختلفة من العالم تدور معظمها فى الشرق الأوسط، فى العراق ولبنان وفلسطين، ثم فى دارفور وقيل ذلك فى أفغانستان. وفى كل هذه الأزمات تنغمس الأصابع والمصالح الأوروبية والأمريكية، حيث يجرى التنسيق بين الطرفين، دون اعتبار أو وزن للمصالح العربية.

وعلى الرغم من أن حكومات أوروبا تواجه مشكلة فى التغلب على معارضة شعوبها للتورط العسكرى الأوروبى فى أفغانستان وفى غيرها من مناطق الأزمات، إلا أنها لا تكف عن إثارة مخاوف الرأى العام من تعرض الأمن الأوروبى لمخاطر الإرهاب الإسلامى.. وهى تتخذ من مخاطر الإرهاب الذى لا يبرم دون اعتقال مشتبهيين بتهمة التدمير لعمليات تخريبية ضد أهداف أمريكية أو عسكرية، ذريعة لتشديد الإجراءات الأمنية وتبوير إرسال قوات لمكافحة القاعدة أو طالبان فى أفغانستان وغيرها.. باعتبار هذه الخلايا والجهات مصدراً لخطر داهم يهدد أمن واستقرار أوروبا.

لن يكون هذا الصيف على الأرجح هو الأسوأ فى عام حافل بالأزمات، فالتقدم هو الأسوأ بكل الحسابات والتوقعات. ■

البيئة المحيطة به، أو ضخامة البناء عن الحد المعتاد مقارنة بدور العبادة الأخرى.



من المؤكد أن العالم العربى والإسلامى فقد فى شعرة هذه التطورات كثيراً من أرصده السياسية وأهميته لدى الغرب، وبينما كانت أوروبا أكثر تفهماً وقرباً من مشاكل الشرق الأوسط، والتحول الفكرية والثقافية فى العالم الإسلامى، وأكثر إنصافاً فى بواقفها من تقديرات المنطقة الصراع العربى الإسرائيلى، فإن عجز العالم العربى عن النهوض الذاتى وحل مشاكل الخلف التى تعرقل مسيرته، أدى إلى ما يمكن اعتباره تراجعاً فى درجة الاهتمام والمساندة من جانب أوروبا الغربية. والثابت أن الشعوب التى لا تستطيع أن تساعد نفسها سرعان ما يتصرف الآخرون عن مساعدتها.. وهذه هى حالة العالم العربى الراضية، الذى تلفت مشاكلكه حول عقده وتضيق عليه إلى درجة الاختناق وافتقاد اليقظة والهدف.

لقد أصبح الخطر الحقيقى الذى يهدد العلاقة بين العالم العربى وأوروبا، هو الخطر إليه باعتباره عبئاً قتيلاً ومصدراً للمتاعب والأخطار التى تمس أمن أوروبا وتعرقل مسيرتها نحو التكامل والاتحاد.. ويضاعف من هذا الشعور الاقتناع بفشل معظم مشروعات التقارب والتعاون الأوروبى، التوسعى والعربى، أو على الأقل هزال الناتج السياسى والاقتصادى منها. وقد أصبح على الأوروبى كثير من المواقف أن يقاتروا بين الخسائر التى تنجم عن

على أحد أو تقديم المتدينين للمحاكمة، وبدا من تفسير الإعلام الألمانى للحدث أن مجرد تجمع الشباب الهندى فى مقهى كان مثبواً ومستقراً للمشاعر.. وهى ظاهرة سيكولوجية معروفة، فالغريب الذى لا تفهم ثقته أو عادته أو سلوكه يظل مصدراً للتوهم والريبة.

وتشجع المفاهيم السياسية والحزبية على المستوى المحلى فى مواسم الانتخابات على ظهور مثل هذه العنرات الطائفية العنصرية.. وتنبثق عنها بالتالى أفكار وتشريعات تستجيب لمشاعر البورجوازيات الصغيرة المعادية للأجانب، تسعى لنزع التضرعات والملابس التى قد تميزهم، ولم تكن مشكلة الحجاب وغطاء الرأس بالنسبة للفتيات المسلمات غير جانب منها. وقد استقرت هذه التشريعات والممارسات فى معظم الدول الأوروبية، على اعتبار أن ارتداء الشعارات الدينية مثل غطاء الرأس أو الحجاب أو الطقافية اليهودية فى الأماكن العامة والمباني الحكومية يعد انتهاكاً لحداية الدولة واستقلاليتها.. وعلى الأخص بالنسبة للمدرسين والقضاة والشرطة والموظفين العموميين.

ومع ازدياد أعداد المهاجرين من دول إسلامية لأوروبا برزت هذا الصيف بشكل خاص مشكلة بناء المساجد.. التى يمارس فيها المسلمون شعائهم الدينية، إعمالاً لحرية العقيدة التى تنص عليها مواثيق الاتحاد الأوروبى. وقد جذرت مشاكل وضادات حادة فى الإدارات المحلية لمدن عديدة فى إيطاليا وألمانيا واليونان.. عارضت السلطات بناء المساجد لأسباب ملفقة، إما بسبب طول المدة، أو غرابة الشكل العمارى للمسجد أو

التعامل مع تركيا، إلا أنها تعنى بالنسبة للدول العربية والإسلامية إحباطاً لأنظمة حكم عاجزة ومرتعشة من نفوذ التيارات الإسلامية المتنامية، وهشلاً فى مواجهة المستقبل.



ولا يكتمل المشهد إلا بصورة ثالثة، تعكس استمرار حالة التوتر وصعوبة الاندماج داخل معظم المجتمعات الأوروبية إزاء التجمعات القيمة والوافدة من المهاجرين ذوى الأصول الإسلامية والأسيبوية والأفريقية.. فلا يكاد يمضى يوم إلا وتقع فيه حادثة اعتداء عنصرية على مواطنين من أصول غير أوروبية، تقع على عاتقهم أهل الأعمال شأنه وأكثرها أهمية فى نفس الوقت مثل أعمال النظافة والخدمة فى المطاعم وغيرها من الأعمال الخشنة فى مجتمعات الرفاهية، التى تائف من هذه الخدمات وتتركها للقادمين من وراء البحار.. مع العلم بأن معظم التجمعات الأوروبية بالتى تائف من التمييزية بسبب انخفاض نسبة الواليد، وأصبحت نظمتها الاجتماعية تعتمد الخاصة بالتأمينات والمعاشات تعتمد على ما يخصص إليها من أيد عاملة مهاجرة أو من الأجيال الثانية والثالثة لأبناء المهاجرين. ولا يقدم الإعلام الغربى المتحامل على الأجانب عموماً تفسيراً لهذه الحوادث العنصرية، التى لا يعتبر اختلاف الدين والجنس وهى سببها الوحيد، فحين تعرض ثمانية من اليهود لضرب مبرح فى إحدى المدن الألمانية الصغيرة من جانب عصابة من الشباب والنساء المتتمين لتنظيم نازى، لم تنجح الشرطة فى القبض

أحدث إصدارات
دار الشروق

الأعمال الكاملة
نجيب محفوظ
في عشرة مجلدات ذهبية فاخرة



القاهرة: ١ ميدان طلعت حرب - وسط البلد ت: ٣٩٢.٦٤٢ - ٣٩١٢٤٨٠
مدينة نصر، ٨ سنوية العصري - رابعة العدوية ت: ٤٠٢٢٣٩٩
الجيزة، مبنى فرنسا مول ٢٤ شارع الجيزة أمام حديقة الحيوان ت: ٥١٣٥٠٣٥ - ٥٦٨٥١٨٧
www.shorouk.com e-mail: bookstores@shorouk.com



تهدها قوانين السوق..

GOOD BYE NEWSPAPERS

راسل بيكر

في عهد الناشرين القدامى، كانت قدرة الجريدة على تحقيق الأرباح مجرد جزء من قيمتها. أما اليوم، فهي كل شيء



الجيدة، فقدت الصحافة الأمريكية الكثير من احترام الجمهور. أما قاعات المحاكم - التي تعاملت معها ذات يوم شأنها شأن نمر يطف في النوم - فتؤيخها الآن بمنكرات استدعاء لا تخلو من وقاحة وتزج في السجون بمراسلين يابون التعاون مع الشائب العام. ترميها برامج الراديو الحوارية ومدونات الإنترنت بالشتائم بلا هوادة. يتنمر عليها الآخرون بسهولة فتدفع لمخططات ترسمها مأكينة دعابة رئيسية تصمم على التحكم في الأخبار. يستنزف الإنترنت إعلاناتها ودوائرها توزيعها ويبدو أن ملاكها الم بهم إفلاس في ملكة الخيال الضرورية لتحقيق الازدهار في العصر الإلكتروني. لقد كشفت استطلاعات الرأي أن المزيد والمزيد من الشباب يطمعون على الأخبار من أجهزة التلفزيون والكمبيوتر مما أوجد شعوراً كئيباً بأن الصحافة صارت وسيلة من وسائل الماضي بل صارت عبء يجرها حصان بطرق سريع من ثمانية مسارات. ثم هناك مواطن الإحراج: صحفيون مخادعون من أمثال جيسون بليروستيفين جلاس يحولون الصحافة إلى مهزلة بينما تقع نخبة الصحفيين المتألمين لأخبار واشنطن فريسة الخداع بغرض معاونة دائرة من متآمري المحافظين الجدد لتشن الحرب على العراق. ماذا جرى للأبطال؟ لقد اعتاد الصحفيون ألا يكفوا عن الحديث عن سأكبر بوب وودوارد وكارل

في الوقت الذي تبدو فيه الصحافة المصرية محاصرة وسط ترسانة من قوانين بالية، وسياسات غائبة ومهنية مفقودة، ورغبات جامحة تحاول العودة بها إلى المربع رقم ١، وفي حين مازلنا في مصر «الرائدة في عالمها العربي»، نقاش قضايا حرية الصحافة ومسئوليتها، والتي باتت بدمية في عالمنا المعاصر منذ زمن بعيد. نجد فضائياً «أخرى» في مجتمعات «أخرى» طريقها إلى طاولة النقاش والحوار. ولكنها، ولسبب يعود أساساً إلى ثقافة مجتمعية «ترسخت» يكون النقاش والحوار «أيضاً» مختلفاً..

قبل أسابيع ثارت ضجة كبرى في المجتمع الصحفي «هناك» عندما أقدم روبرت مردوك ديناصور الصحافة الأمريكي. الأسترالي الأصل على شراء صحيفة وول ستريت جورنال Wall Street Journal الأمريكية العريقة مقابل ٥ مليارات دولار، ورغم أن عملية الشراء كانت «قانونية» تماماً، إلا أن العاصفة التي ثارت في وجه الصفقة ربطتها في نهاية المطاف بتعهد من المالك الجديد باحترام استقلالية الصحيفة والصحفيين.

القضية آخراتها الدورية الرصينة New York Review of Books لتناقشها تحت عنوان «معبر» رأينا الاحتفاظ به.



الحبر



[١]

■ لقد وقعت الصحافة الأمريكية في أسر الاكتئاب. إذ أكدت لها العديد والعديد من أشكال السلطة أن أياها معدودة كما تفوض أبنية الكثير والكثير من الصحف

When The Press Fails: Political Power and the New Media from Iraq to Katrina

(عندما تنغلق الصحافة: النفوذ السياسي ووسائل الإعلام الحديثة من العراق حتى كاترينا)

by: W. Lance Bennett, Regina G. Lawrence, and Steven Livingston
University of Chicago Press.
263PP., \$22.50

American Carnival: Journalism Under Siege in an Age of New Media

(المهرجان الأمريكي: الصحافة تحت الحصار في عصر وسائل الإعلام الحديثة)

by: Neil Henry
University of California Press,
326PP., \$24.95

بترتيب مع:

The New York Review of Books

ترجمة: هالة صلاح الدين حسين



في مرحلة ملكية ما بعد الشركات،
ياسر كارول إلش. شهيداً تخلص أهداف
البرية في أمين مائكة، ففي عهد الملك
الحليين القدامى، كانت قدرة الجريدة على
تحقيق الأرباح مجرد جزء من قيمتها. أما
اليوم، فهي كل شيء. إذ ذهبت أرباح الرياح
الفكرة القليلة بأن الجريدة لا بد أن تتردد
جمهور القراء، بأن عليها وأجيباً أمام
المجتمع، بأنها مدينة بالفصل للامة...
والخالفنا عندما فزرو ذات يوم إلى
الأربعين سنة الفائتة، سوف نساءل كيف
سمحن للمصلحة العامة بأن تخضع كل
هذا الخضوع للربح الخاص... ماذا يريد
الملك الحاليون من جرائدهم؟ -- الإجابة
في منتهى السهولة: الأموال، هذا كل ما
في الأمر.

إن كارول جيبير يتفصل في هذه القضية.
فباعتباره رئيس تحرير لوس أنجلوس
تايمز، كان يقدم تقاريره إلى مائكة،
تربيعون كتلة من الشركات المخططة ثنات
من شيكاغو تريبيون -- المنتحلة لقب
أعظم جريدة في العالم، -- تصاحبها
الكولونيل روبرت ماكورميك. وقبل أن
يضمن أحد أن ازدهار بورصة أواخر القرن
الشعريين يدخل مرحلة التكوين، اشترت
شركة تريبيون جرائد قديمة هيرة في عدة
ولايات، من بينها لوس أنجلوس تايمز،
جريدة نالت وقتها احتراماً مما بوصفها
واحدة من أبرز صحف أمريكا
اليومية.

ماذا سيحل بالجرائد؟ وكما يدل العنوان
لم يكن تقديره لما قد يطرأ في المستقبل
مفعماً بالهزيمة.

لقد تولد الانزعاج من انهيار التفاهم
بين مالكي الجرائد والعمالين من
الصحفيين ومن فقدان ما جمع بينهما
يوماً ما من هدف مشترك، وقد طرد هذا،
على حد قوله، من جراء استيلاء المراء
الماليين بسوق المال على مهام اضطلع بها
في الماضي ناشرون أكفاء. بدأ الانهيار من
القمعة منذ أربعين عاماً حينما طفق الملك
الحاليون يبيعون جرائدهم للشركات، ومع
تغير طبيعة الأسواق، انتقلت السلطة من
الشركات إلى صناديق ملك الجريدة. لم يعد
تجنس الأرباح من خلال استثمار أموال
الأخرين بأساليب جعلها تتضاعف، فصار
من الصبر تحديد ملك الجريدة. لم يعد
الملك، بشراً يمكن تعيين هويته، كما
غير كارول من الموقف. إذ أحياناً ما يفترض
جرائد نايت ريدر وباري بينجام صاحب
كورير-جورنال بمدينة لوفيل. كما
تقرأ الملك أحياناً مجرد حجرة تحفل
بباحثين في التسويق يجوبون العالم
بأجهزة الكمبيوتر بفرض الفوز بفرض
استثمار مريحة. وأحياناً أخرى يكون
مديراً تصفوق استثماري تعود الخبرة
ولا يعيا بالصالحات.

عامة. لا ريب أن الربح شكل عاملاً حيوياً
لبقائها لكنه لم يكن الهدف الأساسي. أما
أن تأخذ واحدة من هذه العائلات الأموال
في النهاية لتلتحق جانباً فهذا يضاعف
من حجم المخاوف الفائلة بعدم وجود
جريدة قيمة لا يمكن بيعها في السوق
لقاء لمن ملائم، إن وجود موردك في ذا
وول ستريت جورنال يمثل ذخيراً مطمئناً
للصحفيين في كل مكان، فحينما تصرح
باللاقة المعلقة على نافذة المجر بأن كل
شيء للبيع، غالباً ما تتبعها عبارة: سوف
يعلق المجر أبوابه.

شمة كتابات متزايدة حول تعدد
مشكلات الصحافة غير أن أغلبها معنى
بالجانب التحريري من المهنة. ربما لأن
معظم القادرين على الكتابة عن الصحافة
لا يرتاحون للكتابة عن الفوائد المالية. ومع
ذلك تتركز أخطر المشاكل في جانبى
الملكية والإدارة، إن أفضل المناقشات حول
مشاكل مجالس الإدارات ومكاتب الأعمال
يكتبها في المصنفات المالية والخطب
المالية صحفيون يشغلون وظائف إدارية
بالجرائد، التي جون إس. كارول - المحرر
السابق بجريدة لوس أنجلوس تايمز -
خطبة واسعة الانتشار بين المشتغلين في
الصحافة أمام الجمعية الأمريكية لمحري
الجرائد منذ سنة مضت. وقد كانت تعبيراً
يتمسك بالبالاعتماد على مساور المراسلين
والمحررين في الوقت الحالي من قلق بشأن
المستقبل. اختار كارول لخطبته عنوان

بيرنستاين أثناء ووترجيت، وهالبيرستام
ونيل شيهان وماككوم براون في هيتلم،
واشاش سالتزبرجر وكيبه جرام وهما
بخطاربان بكل ما يمتلكان لنشر وثائق
البيتاجون. وبدلاً من الأبطال، يدور
الحديث اليوم حول عمليات الاحتيال بين
الصحفيين وصحافة تغطي أخبارا
واشطنون تغطية ضعيفة لا تحول دون أن
تجنب ألعاب القمار.

لا شك أن روبرت موردوك قد بث
الانقياض طويلاً في وسائل الإعلام حول
العالم إلا أن الإعلان في مايو عن استعداد
عائلة باتكرافت مالكة ذا وول ستريت
جورنال لبيع جريدتها لموردوك مقابل
خمس مليارات دولار سدد إلى الصحافة
ضربة موجعة بحق. لقد ألقنا ببيع
الجرائد في هذه الأيام بيد أن ذا وول
ستريت جورنال ليست مجرد جريدة ككل
الجرائد، إنها واحدة من أكثر دعائم
الصحافة الأمريكية الفخاراً، وكما هو
الحال مع ذا نيويورك تايمز وذا واشطنون
بوست، هيمنت عليها ذرية رجل أسسها
منذ أيام طولية.

لقد شكلت هيمنة العائلات على
الجرائد الثلاث حماية من متطلبات سوق
المال الملحة مما سمح لها بإصدار
مطبوعات ذات جودة متكرسة وتكلفة
عالية. وقد قيل - وهو الاعتقاد السائد -
إن العائلات المسيطرة يدفعها إحساس
نييل بأن جرائدها بمثابة مؤسسات شبه

الناشرون والصحفيون الذين لا يستطيعون تحقيق الازدهار في العصر الإلكتروني، سيجعلون من الصحافة وسيلة من وسائل الماضي



الآن يعمل الصحفي، مذيعاً للبرامج، يربح أموالاً طائلة ليس للتقني بل للأخبار ونقلها بل للترفيه عن المشاهدين يارتجاله البارع وشخصيته الماهرة في الجدل»



بنية الأسهم ذات المستويين، بمثابة القيام بمخاطرات مجبولة، بمستقبل ذا نيو يورك تايمز. تخلص من بنية الأسهم ذات المستويين وسيصطف خلال دقائق معدودة صف من المشترين المتلهفين على ابتلاع الشركة، كتب جرام. لن يسع مخلوق الاعتراض على الوضع. سيضم الصف شركات للأسهم الخاصة ومديارات طافحين بالفرور وشركات مديعة دولية تفتش عن أية مكليات شهيرة والعديد من المشترين الآخرين، وقد توقع جريدة ذا نيو يورك تايمز أن يتابع في المزاة العلني مثلها مثل ضلع من لحم البقر.

[٢]

تحظى شراة سوق المال باهتمام قليل في تقرير ليل هنري الطول عن متابع الصحافة في عصرنا الإلكتروني. يتلخّص هنري بكنية الصحافة في جامعة كاليفورنيا بمدينة بيركلي بعد مسيرة مهنية في ذا واشنطن بوست. يعني كتابه بمواضيع ينبغي أن تثير قلق شبان يبدؤون خطواتهم الأولى في المهنة. كيف يؤثر الإنترنت فيما لا زلنا نعتبه، الصحافة؟ كيف يمثل «التنوين» مستقبل الصحافة؟ كيف يمكن للصحفيين تجنب الاععب أجرة الدعاية الضخمة التابعة للحكومة وقطاع الأعمال والتي تؤثر عليهم بالسلب؟

لقد تعذرت عليه الإجابة على تلك الأسئلة والواقع أن لا توجد حتى الآن إجابات مقبولة عنها. فحينما تبدل التكنولوجيا الحديثة كل شيء، يصبح الاحتمال الوحيد، الموكب مستقبلاً مختلفاً شاماً عن أي شيء متوقع. يكفى هنري بإسباح المجال لعالم الاجتماع هيربرت جازنر ليفصح عن تشاؤمه من فرص الصحافة في مستقبل إلكتروني باسـم. إن تاريخ التجديد التكنولوجي يوحى بالفعل بأن التجديد التقافي والاجتماعي والاقتصادي المتوقع حدوثه من جراء التكنولوجيا الحديثة لا يتجسد في الغالب جسداً مادياً. ويؤاء على ذلك أن تسم التكنولوجيا وحدها بالكثير في خلق مستقبل مشرق لمصطف.

إن من يؤكد أن الإنترنت سوف يحل محل الجرائد كمصدر للمعلومات لا

لا يتدر خطاب كارول يمال؛ فهو يسند نظرة متجهمة من صفحي عامل إلى ما غيرته ممارسات السوق التنافسية في المهنة؛ غير أن مولات جرام - رئيس مجلس إدارة واشنطن بوست - قد ألقى مؤخرًا نظرة مشابهة من مقعد المالك. وقد نشرت تعليقات بوضحة الأراء في ذا وول ستريت جورنال في أبريل عندما هاجمت سوق المال ذا نيو يورك تايمز.

يجاهر كارول بأن راسمالية السوق الحر لا تخدم مهنة الصحافة على أي وجه، وفي حال تطبيقها تطبيقاً صارماً، فهو تعمل على تقويض أركانها، المدهش - فهو في النهاية مالك للـ جريدة - أن جرام يتناقض معه على ما يبدو. قد التمت مقابلة ما لا يزيد على نحو ألف كلمة - بالفضب الشديد محذرة من أن الإصرار العنيد لسوق المال على زيادة الأرباح إلى الحد الأقصى قد يصبح مميتاً للصحافة.

إن ما استشره لإنشاء مثل هذا التصريح هو محاولات أحد المدراء الذين بشركة مورجان ستانلي كسر بنية الأسهم ذات المستويين المحافظة على هيمنة أسرة ساتزيرجر على ذا نيو يورك تايمز. تأسست تلك البنية في ميكل شركة تايمز عندما دخلت الشركة سوق الأسهم ١٩٢٧ وهو تهمصر التصرف على الشركة في حاملي فئة مدونة من الأسهم. منحدر أغلبهم من أصول إس. أو. كس، مؤسس تايمز الحديثة عام ١٩٦٣، أما نازرها الحالي، آرثر. آر. ساتزيرجر جونيور، فهو ابن خفيد الكس.

حاول مورجان ستانلي إشعال ثورة في الربيع الماضي بين حاملي الأسهم غير المتحمسين بالامتيازات. إذ حثهم على الانتاع عن التصويت كن رشحهم شركة تايمز لمجلس إدارتها. اعترف جرام أنه ليس متزماً تماماً من الصغر نظراً لأن ذا واشنطن بوست تدار هي الأخرى في إطار بنية أسهم ذات مستويين مصممة لإبقاء تحكم الأسرة في الشركة. تشكلت ذا واشنطن بوست بصورتها الحديثة عام ١٩٣٣ عندما اشترها يوجين ماير (شخصية لا يستهان بها في سوق المال) في مزاد علني بعد إضراب إفلاسها. إن جرام حفيد ماير وعلى الرغم من أن شرة عائلته ترسخت في سوق المال، من الجلي أن يترجمها ببنائه من إحكام عالم المال الحديث قبضته على الصحافة. إذ كتب قائلًا إن دعم هجوم مورجان ستانلي على

مستولو الجرائد في كل مكان بحاجة ملحة إلى تحسين الأداء بينما خلفت السياسة الناتجة عن تخفيض النفقات مشهدةً يتزع جرائدهم معيبة لا تحدم القارئ المهتم بما يطرا في العالم ودولته والمجتمع المحلي. إذ انقصت سياسة الاقتصاد عدد المراسلين المتمركزين في الخارج وأضعفت مكاتب الأخبار في واشنطن وأغلقت كلية وثلث المراسلين المحليين الذين راووا عن كثير في الماضي الحكام والمعد وهيئات التشريع بالولايات والاندال المشتر والمحتالين وهيئات المحلفين المختار. بالإضافة إلى أنها أدت إلى انكماش حجم الصفحة التوضيحية للجرائد. إذ وفرت لكافة الورق بتقليص المحتوى من الأخبار.

تنشر أعمدة الأعمال بالجرائد ما يصيبها من تأكل. إذ تورد بكل إصرار أخبار انكماش حجم صفحاتها البوصة بعد البوصة وانكماش وظائف صحفسي التغطية الإخبارية الوطنية وكو الوطنية إلا أن الإحصاءات وحدها تجبر عن توصيل خسارة البلاد الحقيقية. فإذا جانب لوس أنجلوس تايمز، تيمز، الجرائد التي تشهد تخريباً من جراء سياسة «توفير النفقات» عدة جرائد صنفت يوماً بين خيرة جرائد البلاد، ذا بالتيمور سان و ذا ميامي هيرالد و ذا فيلادلفيا إنكواير و ذا ميون ريجيستريت و ذا هارفورد كورانت و لويجف كورير -جورنال وسان خوزيه ميركوري وسان دافيس بوست-ديستاتش على سبيل المثال.

كثيراً ما تراود الحيرة الملاك الجدد حينما يجابههم الحزرون والمارسولن بالبحجة الديمقراطية. غير أن الملاك الجدد تقديم خدمة للامانة من خلال تزويد جماعة المواطنين بالمعلومات اللازمة لدفع عجلة الديمقراطية. غير أن الملاك الجدد يرسفون الواقع بنظرة محافظة. إن «ارتباكاً يتولاهم حجباً أحياناً عندما يلغون أفراداً يبرهن لا يبدون بالفعل بالمرتب الأولى لحاملي الأسهم، كما صرح كارول، ما الذي يؤثر في هؤلاء الناس؟ يتساءلوا: إنهم يعتبرون أن مهنة أي موظف تنحصر في تحقيق بل ما إلى جيد وليس الانهماك في تحقيق حال من أجل الإحسان على حساب الشركة... وعليه ينظر رؤساء الشركات إلى معتقداتنا وكأنهم ينظرون إلى شيء غريب مهمر للمال منقل بالمالي.

تمزج صيت لوس أنجلوس تايمز قبل جيل من وصول كارول على يدى أوتيس تشاندلر. نأشر زاخر بالتشامك كان على استعداد أن يتفق بسخاء بل ويتبريد أحياناً حتى يناهس خبرة المؤسسات الصحفية، استطاع أن يتحمل التكلفة، فهو ينتمى إلى أسرة امتلكت الجريدة. إنه من نسل هاري تشاندلر (١٨٩٦-١٩٤٦)، ملك من ملوك العقارات بكاليفورنيا أودع الودائع أبائانه خلال سنوات الكساد. تكاثرت أسرة تشاندلر بسرعة، وفي النهاية كانت ودائع الأسرة المصدر الرئيس للدخل الكوالى ١٧٠ فرداً من ذرية هاري. لا ريب أن ذرية أوتيس كانت أقل عدداً في عهد، وعلى الرغم من هيمنتها على العمل ولا مبالاته بسياسات الجريدة التقليدية المالية ليعين، تمكن من تسير لوس أنجلوس تايمز على هواء طلاء لاتعرض أموال العائلة للخطر. انقضى الوقت وكذا حياة أوتيس، فتودت شركة تريبون لورثة تشاندلر غير العائشين بالصحافة على أية حال. تم إبرام الصفقة عام ٢٠٠٠ بأن اشترت شركة تريبون لوس أنجلوس تايمز والشركة الأم، «تايمز-ميرور، مقابل ثمانية مليارات وثلاثة مقاعد بمجلس إدارة تريبون.

اعتادت شركة تايمز - ميرور هي الأخرى جمع الجرائد. (نيوزداي في لونغ بابل و ذا هارتفورد صن و ذا هارفورد كورانت من بين جرائد أخرى) وقد سلحت جميعها في سنة تريبون نيشيكاغو. الواضح أن تريبون كانت مؤسسة مالية هائلة وعليه عرضة للسقوط إذ انهار السوق وبدأت الأسهم - وبخاصة أسهم الجرائد - في الانحمار. نجح كارول في عبور الأزمة بجريدة تايمز وكان على استعداد لاتقتصاد عند راج رؤساده نيشيكاغو بطوليين منه تخفيض نفقات التحرير عام ٢٠٠٣. ثم طُلبوا منه تخفيضها مرة ثانية وثالثة، مما جعله يمتصر بالاداء بالانقضاء بعد الجريدة بصره بالغ إلا أن شيكاغو أصرت على المزيد من التقليل، انتهى الأمر به إلى تقديم استقالته عام ٢٠٠٥ ما لبثوا أن طُلبوا من رئيس التحرير خليفة جده، المريد من تخفيض النفقات باستقائه هو الآخر. لقد أسهمت واحدة من نظريات سوق المال في التقليل التدريجي للصحافة. تقرررض النظرية أن «خفض الأسعار يفضي إلى زيادة المكاسب. لقد شعر

الملاك الجدد ينسون المهمة الحقيقية للصحافة. ويعتبرون أن مهمة أي موظف، تنحصر في تحقيق ربح مالى جيد وليس الانهماك في الحلم بعمل جيد



نظرية سوق المال التي تقترض أن خفض الإنفاق يقضى إلى زيادة المكاسب، أفضت بنا الى مشهد يتربع بجرائد مهلهلة معيبة



السياسات المريبة قد يزود على أقل تقدير أعدادا كبيرة من المواطنين بالمعلومة في الوقت الملالم. وعندما يعجز هؤلاء المواطنون أن ثمة مساحة مشروعة من الإعلام العام تعرض مشاكلهم الخاصة على الملأ، ربما يبدؤون في التصرف كعمهون بدلا من الحادة منغلذين من صدمتهم وخشيتهم في الوقت الذي تتوالى فيه الأحداث.

يتوقع مؤلفو الكتاب في مثل تلك التصريحات ما لا تستطيع الصحافة تقديمه. لا ريب أن إذاعة نشاطات واشتغال وتوضيح تفاصيلها أمر صعب لكنها عملية مشجعة قد لا تتمر عما هو الفصل من حالة من الامبالاة لناعمة لقد أخذت ذا واشتغال بروت تعزى صحيفة ووترجيت على في صيف 1972 غير أن الأمريكيين ظلوا لمعد القضاء عن أشهر غير مكثرين حتى أنهم اعتبروا انتخاب الرئيس نيكسون بأغلبية لم يحط بها أي حزب أمريكي في التاريخ، ولولا تدخل جون سبريكا، أحد القضاة غير المعروفين بمجلس النواب، ربما غير فضيحة ووترجيت بدون تحول الأنظار إليها

ويتنما بياغ المانوف في تقدير سلطة الصحافة، يستحق تحليلهم لصحافة واشتغال الضعيفة نظرة من قرب. إن المتعين في واشتغال عظم جانب من الممكن أن تهدبا أية جريدة إلى صحفى، وليس من المستبعد إن أن نجد صحافة واشتغال مجموعة من نخبة المراسلين، ذوو تعليم راق، يتناولون أكبر المؤسسات، يتمتعون بموهبة عالية، تتوهم الدراحة وسط أصحاب السلطة، يخالفهم قدر من القرون لوقتهم على أسرار لا يعرفها الآخرون، لكنهم حريصون بوجه عام على إبقاء جمهور القراء على علم دائم بما يحدث بدون أن يلزمهم الخلاف والتحمل. غير أنهم انهمقوا خلال سنوات بوش كما يؤكد مؤلفو عندما تحقق الصحافة - بسبب ميلهم إلى الإدعاء لواقع السلطة -

إر، إزعائهم للسلطة، ليس وليدا حديثا لعهد بوش، بل لثقافة تحديث المراسلين. ومن عادة واشنطن بعقل ولا تملك تميز - في ثقافة الصحافة السائدة وروبيها - إنها عادة تحمل صحفيا واشتغال عرضة للتلاعب من قبل الأقوياء وتدهعهم إلى الكف عن

الطامحين إلى شغل منصب الرئيس ومن بينهم هيلارى كلينتون - لصالح الحرب. لقد كان قرارهم ببساطة رد فعل على الضرورة السياسية للحلقة الأتية عندما تصاعد الطلب الوطني على الحرب. وفي مثل تلك المواقف يختار السياسيون تقريبا على النوام أن يصبحوا رؤساء بغض النظر عن الخطأ والصواب، بإمكان اللرة في النهاية أن يعزى إلى الإدارة عملية خداع متقنة. فقد ضلّت ووترجيت خارجيتها كولين ناول بل إنها دعت نفسها بالاعتقاد في الانتصار اقتصادا سريعا مكشلا بالوود. ورغم أداء الكونجرس المهيب، تخبو بطة الصكرة القائلة بأن الصحافة كالمعشورة مع الكارثة. إن كتاب عندما تخفق الصحافة لا يقر تلك النظرية لكنه لا ريب يلجج إليها. من اللافت إلى الانتباه أن الصحافة ظلت صامتة وإن لعبت في الأغلب دور شريك غير مرحّاح أثناء الحرب في الواقع، الذي باعتها في النهاية لصحيفتين واشتغال. لا تعنى استقلالية الصحافة أو الجدل العام الناتج سوف يتشكل بالضرورة مجريات السياسة أو يدخل عليها التحسينات. إلا أن الاعتراض على بعض

على الصحافة في هذه الأيام. يخاف من غضب مؤلفي كتاب عندما تخفق الصحافة ثلاثة أساتذة في الصحافة - من أداء الصحافة المتهلل حينما كان بوش وتشيلى وواسفيلد ولونوتز وشركاهم يعيشون شهية العامة لشن الحرب على العراق. البادي أن الجميع، بمن فيهم أغلبية الصحفيين، يتفقون على أن الصحافة فشلت فشلا ذريعا لكن إذا ما كان إنجازهم للهمة على حبر وجه كان سيحبط من عزيمته المحافظين الجدد على شن الحرب فهذا لقاش آخر. لكن بصصتي متابعاً للأحداث عن كتب لا اعتد أن شيئا كان يعقدور منه، فقد استولت شهوة الجحور على عقول المحامير كما أحجم الكونجرس - القوة الوحيدة القوية بما يكفى لجباية حماقت الرئيس وإن لم تمنها على الدوام - العمل بتراخ هائلة للحكومة ويات بلا أدنى طائل عند عدا تهليله لقرارات الرئيس. لقد وصف السيناتور روبرت بورد، السناتور الديمقراطي عن غرب فيرجينيا، موقف الكونجرس بدقة عندما زعم بأننا، وكأنهم يصرمون على وجهة نظره، صوت معظم ديمقراطى الكونجرس

يسخر كيمية حدوث هذه التقلبة. طبقاً لتقدير جون كارول، تنبع حوالى 78% من كل الأخبار المتاحة على الإنترنت في الوقت الحاضر من الجرائد. لا توجد شركة إنترنت تشكك المصادر الضرورية لتجميع المعلومات وتحريرها في نطاق أكثر الجرائد اليومية تواضعا. علاوة على أن الشركات من أمثال جوجل وياهو ليس لديهم، على ما يظهر، أي اهتمام بالانخراط في الصحافة الجادة. (لجوجل موقع إخبارى أونومايتكى - جوجل نيوز - ينفذ إلى الخات من الجرائد الإلكترونية وقراري وكالات الأنباء، كما يشتمل ياهو على تقارير وكالات الأنباء بموقعه الإخبارى. إلا أن الاثنين لا يوظفان المراسلين ولا يزودان القراء بشغطة إخبارية خاصة بهما.)

إن إنترنت الوقت الحالي هو بالأساس نسخة إلكترونية من الصبى في العصرة اعوام الذي اعتاد اعتلاء الدراجة ليقطف يانفرد أمام الشرفى الأمامية: أي أداة توزيع بارعة. لا شك أيضاً أنه مصدر ثمين لإجراء الأبحاث ومراجعة الحقائق. فمراسل اليوم المزود كمبيوتر محمول ينعم بحرية الوصول الفوري إلى مواد كانت في يوم من الأيام تستلزم بحثاً مطولا لا جدوى منه في الغالب، بمرجع، الجريدة. من الواجب إذن أن يرفع الإنترنت من كفاءة التقارير وتحريرها.

يمثل التدوين تطوراً أكثر إثارة للأنباء ربما لأن ثمة حماسة أى حساسة تعزى كل التدوين إلى نافع يعترض طريق الصحافة المهنية والمتخادعة، ببساطة المدونين لا تفعل أقل هذو ولا إحدى إسقاط كما أن غضبهم مستعص على الاحتمال. يصغر المدونون المستزمنون على أنهم يمارسون مهنة الصحافة يمثل ثمة مراسلين من أمثال جون بيرشر، مراسل يعطى حرب العراق من بغداد لجريدة ذا نيو يورك تايمز. وأى فرد له رغبة في مناقشة المسألة لا بد أن ينيتها لجبال يتواصل طيلة الليل وحتى الأسبوع المقبل. لكن ما لا يقل فيه هو أن كل مدون يوسعه الآن أن يصير كاتب عمود، ومع جيوش ضخمة من كتاب الأعداء تخط الشوكلات، يتحتم في النهاية أن ينتج بعضهم عملاً مبتكراً جدياً متحشاً لأذهان ليفتح حياة جديدة في شكل صحفى بات الآن بالياً. وكما هو إحساس العديد من يعقون

صحاتهم

اعتذرت الإداعة العامة الوطنية الأمريكية - إن. بي. آر. - عن إجراء مقابلة خاصة مع الرئيس الأمريكى جورج بوش، عرضتها عليها السكرتيرة الصحافية في البيت الأبيض، دانا برينو. وكانت مناسبة المقابلة الذكرى الخمسين على إنهاء الفصل العرقي في المدارس الأمريكية. وكان سبب الرفض هو أن البيت الأبيض اشترط أن يجرى اللقاء صحافى معين هو المحلل خوان وليامز، الذى يعمل متعاوناً مع هيئة "فوكس"، والذى سبق أن أجرى المقابلة الوحيدة لـ إن. بي. آر. مع بوش. وقالت الين ويس، نائبة رئيس الأخبار في إن. بي. آر، "البيت الأبيض لا ينبغي أن يختار الشخص الذى يجرى المقابلة". وأضافت أن إن. بي. آر. أبلغت سكرتيرة البيت الأبيض الصحافية، دانا برينو، أنهم "معتقون لهذه الفرصة، ولكن كما نود أن نختار نحن من يجرى المقابلة مع.."

واشنطن بوست/ الشرق الأوسط

٢٧ سبتمبر



اهدافه وأهدافه. فيجب الاعتراض على النص، العقاب على أيدي مسئول البيت الأبيض. فقد تم منح مراسلي نايت ريدر من السفر على طائرة وزير الدفاع لمدة ثلاثة أعوام لأن تقطيعهم اختلعت عن النص. كما كتب السفير السابق جوزيف ويلسون أن صدام حسين لم يشتر البواريثوم من التهجير مثلما أنيا الرئيس الكونجرس فاهارت مسيرة زوجته الهنيئة في وكالة الاستخبارات من جراء تسريب الإدارة لطبيعة عملها.

وعبر أشهر برامج التلفزيون الحوارية الحالية لليمين المحافظ، أنهم الصحفيون المعارضون، للنص، والتحيز وإبطان دوافع غير وطنية وإلا مبالاة بصيوات الجنود الأمريكيين بل واضمار نية الخيانة. إن برامج الإذاعة الحوارية تشذف الآن المحافظون بالفتريات لا لتطعن تحت ستر الحصانة نظراً لأضمحلال الدعم الجماهيري للصحافة الحوارية. إذ أطلق الصحفيون المسياسيون حملة ضاحجة تهايبت صخاوت طويلة لتصوير الصحافة كرسول سخاوت ينشر السلبية ويسم العقول بأفكار يسارية متحيزة. تصدرت الكتب العامة لهذا الموضوع قائمة الفضل الجيمات فيها أخذ «الديون»، «السياسيون» يكررون الرسالة بلا كلل في المحطات الإخبارية.



أدى ذلك إلى حدوث هوة واسعة بين المواطنين والصحافة. هوة تتسع في لبيل نظرة العامة إلى الصحفيين العاملين إذ كانوا في يوم من الأيام أبطالاً تقائفيين: تسع عليهم الأعلام سحراً كما هو الحال مع كلارك جيبيل وروينز إيلز راسل. كانوا ملح الأرض، يتحولون بطلان الحديث وادائس المظهر ويتضمنون بالبراعة العليا. هكذا كان جيمز ستوارت وهامري وبوجارت وكاري جراتش وروبرت ريدهور ودانستون هوفمان، كلهم لعبوا دور الصحفي على شاشات السينما. لقد كان الصحفي أشبه بسطل من الطبقة العاملة جدير بالفوز يستلم نجوم هوليوود يرسم نيل هنري في كتابه المهرجان الأمريكي صورة «الصحفي، المعاصر لبس، أشكاته، الخلفيته، النقص للثرائر سبب تراجع تعاطف الجماهير معه. لقد انفضى أحد طويل منذ أن تطعن الأمريكيون إلى الصحفي شخصين من

وعلى النصيب من الانطباع الموحى بأن صحافة واشنطن كانت أكفها تطع في سبات عمق، ثمة مراسلون حقوا في القصبة بشكل واحد. إذ أنشأ مايكل ماسينج - صاحب تقارير ظهرت بين هده الصحاح من التعطية الصعبة الهزيلة لا قبل الحرب - على العديد من مراسلي واشنطن بوست وذا نيو يورك تايمز وذلك لا كتيابه من تقارير فنتد حجج الإدارة الأمريكية. لكن غالباً ما وجد ماسينج تقاريرهم مسترة في تعطف بين ثنائيا الجريمة.

فقد كتب والتر بينكاس ودانا ميلبانك في ذا واشنطن بوست، على سبيل المثال، أن الولايات المتحدة تستعد لهجمة العراق اعتماداً على عدة مزاعم تدن صدام حسين، مزاعم تم نقبها - وفي بعض الحالات دحضها - من قبل الأمم المتحدة والحكومات الأوروبية بل وتقارير المخابرات الأمريكية. غير أن قصة ثورات بالداخل في صفحة ١٢١، افشى بينكاس إلى ماسينج أن مسجري ذا واشنطن بوست «خاضا مرحلة كاملة كيلا يصدر الصفحات الأولى بأخبار كانت ستحدث فرقاً.

لقد أطرى ماسينج إطراره لا حد له جولانز لا نداءي وورين سترويل وجون والكوت من مكتب نايت ريدر بواشنطن لا قدوم من مكتبة نايت لا تقل ملطفاً نص، الإدارة. لكن ها هو عيب نايت بصحافة واشنطن؛ لا تؤثر تقارير خبر ريدر بر حقيقته، النص، على بقية الصحافة على الإطلاق. لأن نايت ريدر لا يصدر جريدة في واشنطن وهكذا لم يقرأ أحد هناك التقارير.

قد يفسد هذا ما هو أسوأ من مجموعة صحفيين ناعمين ناظمين واشنطن أثناء اللحظات الحاسمة. إذ تحدث جون والكوت رئيس مكتب نايت ريدر واشنطن مؤرخاً عن تقطيعه مقتربه لحرب العراق فصرح بأن صحافة واشنطن وشيئها ما هو أخطر من الحين ويعيها وأن راند عن اللارم مع أصحاب السلطة

ثمة كل لا ريب فيه. إن أكثرية ما جارت به الإدارة، وبخاصة فيما يتعلق بالعراق وتطبيق القاعة، لم يكن أكثر من ادعاءات كاذبة ومع ذلك لم يكتف سوي قلة من المراسلين لتأنيق في مستحده. تطلب الأمر أيضاً التقليل من الشجاعة لإضباب فريق البيت الأبيض المشهور بأنه لا يعن للعالم إلا ما يقدم

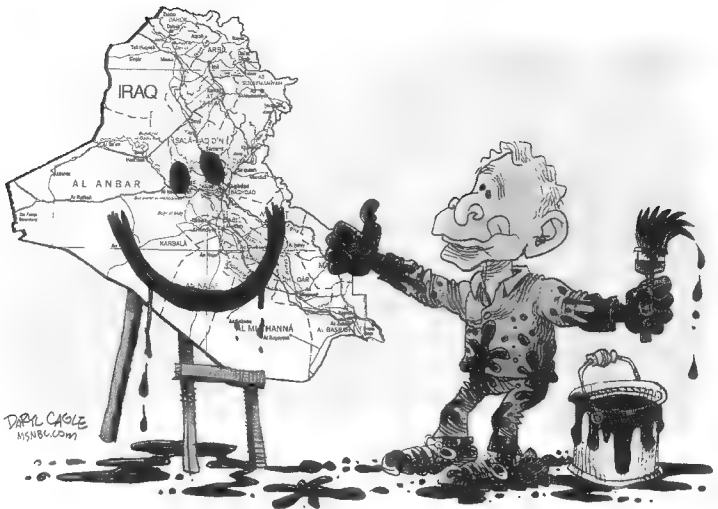
الاعتراض والاحتجاج. إذ غالباً ما يرى المقرضون والاحتجون، بـ «المنشقين». فلا يأخذهم الآخرون على محمل الجد. يتسجد الإذعان للسلطة في تعطية الصحفيين المتواصلة لأكثر ثوابه البيت الأبيض. إذ تشرع الجرائد بأخبار الرئيس عندما لا يصنع ما لا يريد على الترحل من الطائرات أو قصاص الإجازات أو مصاحبة الثيلاء من الزوار. وعلى مستوى أعمق يتراعى هذا الإذعان واضحا في لغة الصحافة، فنادراً ما استخد المراسلون كلمة، تنميس، فيما يخص أبا غريب، يشد بوش على أن الولايات المتحدة لا تقرر التعذيب فيما لم تسرع الصحافة في استعمال الكلمة. إذ أطلقت على أخبار ابن غريب وصور التعذيب المفجعة كلمة «التهنكات».

على صعيد أكثر خطورة، يعني الإذعان للسلطة استعداد الصحفيين لسرد وفائق الحكومة كما يعليها عليهم أصحاب السلطة. فقد تحدثت إدارة بوش عن خلق واقع خاص بها. يشير مؤلفو عندما تحلق الصحافة في واقع، بوش هذا باعتباره نصاً، ويهجون النقد إلى الصحافة واشنطن لبقولها هذا النص كحقيقة والفة حتى عندما، تقرأ هذا النص مخالفاً كلياً ما يطرأ من أحداث جلية، مثلما جرى إبان حرب العراق. وعلى العكس من الانطباع السائد، تواجبت على الساحة صحافة محترمة كانت غائبة منذ نهاية الحرب عطرمت كذلك معارضة سيئة. حتى في العاصمة أثناء انطلاق قرار الحرب عبر الكونجرس، الأمر ببساطة هو أن الصحافة لم تسلط عليها الصوء الكافي فقد جاءت مثلاً على لسان أشخاص ليسوا من ذوي السلطة سياتور كينيدي عى ولاية ماسيتشوسيتس ويرد عى ويست صمو ربيع المستوي بمجلس الشيوخ وموسوعة مشربة عى تاريخه، فبع خارج دائرة المسؤولية وعليه تعرض للفتاها لمتهى السولة على حين يلطف للناشد مفراً من مشاهدة إري فليتش الناظم الرسمي باسم البيت الأبيض على جميع الشبكات التلفزيونية

الطبعة العامة يعلم سيده ثرية مدلبة كيشية التصرف ببساطة. إن المواطن العادي يرى اليوم - على حد قول هنري الصمى بوصفه متحد التليفزيون الذي تدفع له المحطات مكافآت مشيرة كى تشد عنه ضجة منتظمة في البرامج الإخبارية. الآن يعمل «الصحفي، مذيعا للبرامج، يربح أموالاً طائلة، ليس للتنقيب عن الأخبار ونظفها بل للترفيه عن المشاهدين بارتجاله البارع وشخصيته الماهرة في الجدال».

إن صفحي اليوم - كما يراه هنري - شخص يعلق في القنوات التلفزيونية على محكمة قتل، يعلق بحكم الإذاعة ويحكم عن أقص التليفزيون قبل أن يبعث في الالة، أو نعمة لتلفزيونية تقضي مليات برنامج لا ترضع لمدة الفائق وجيزة أيا تقي مشاكل البرنامج العامة وهناك «المطلع العنيد على أخبار واشنطن على يتنقل ولاؤه وخلفه في جبهه إلى أخرى، يعمل ضابطاً رسمياً للبتساجون أو مستشاراً للحملات الانتخابية أو كاتباً لخطب الرئيس في سنة من السنوات، ثم يشتغل السنة التالية مذيعاً بأحدى القنوات أو مراسلاً لجلة من الجالات المرموقة. ولو حدث وشغل موقعاً في التليفزيون، يصبح الصحفي أو الصحفيين في حاجة إلى «شد العين وزرع الشك في المرموقة، ولو حدث بعرض خلق مظهر شبابي لا مناص منه لتقل الحقيقة ذفاً مقنعاً للمشاهد.

في الواقع إن استياء يداخل هنري من كل هذا الوضع، فلهجومه التي مصها من الأبايين والأفانين والمترقيين والسياسيين والشرشانيين والدجالين والمراسلين المدلين والمقرء المجردين من المبادئ تحق جميعها على النظام الغاضب المسمى بـ «الإعلام». أما كيميعة اختلاط الإعلام ووسائل الإعلام والأوضاع العاصدة في حكاية طويلة لا تلخو من تعقيد لكن الظاهر أن لا مفر منها. الحق أن وسائل الإعلام عملت مجرد لاعب ثانوي في مهرجان مزمن أبداً ثمة شكاً إذا ما كان هناك كثيرون ممن يأهون بالأمر. لا أحد يتصل بناحية متوهمة أن يجد بطلا على الطرف الآخر. فكل من يتصل بالجرائد لن يلقى على الأرجح سوى رسالة مسجلة على جهاز الرد على المكالمات كما جرى مع هنري الذي اتصل عشوائياً بدمج جرائد، التي صوته في اليوم إلى أي شخص. لقد شعر بالوحدة مع هذا الهافت.



جيفري سانت كلير

صفحات البزنس والشائعات، ملكة ماديون أفينيو، وقد صدعت على أكثاف حطتين دعائيتين إحداهما هي زور (اسكل سين) والأخرى عن شامبو (هيد اند شولدرز) ضد القشرة، مثل صاروخ إلى قمة عالم الدعاية والإعلان رئيسة لمارينز عملاقتين من دور الدعاية أوغليفي وماذرز: بضاعة إلى جي و ثير تومبسون.

في وزارة الخارجية عملت بيرز التي التقى ناول في 1990 حين عملا معا في مجلس إدارة شركة جلف إيرستريم ألتاف airstream. وكما يقول ناول في، صياغة سياسة خارجية أمريكية جديدة، وقد الكونجرس من أجل حملة وبسه أمريكا brand America التي كانت تركو بشكل كبير على بث البروجاندا الأمريكية في العالم الإسلامي وموجهة على الأغص إلى مرابعه

كانت بيرز تقول إن الدبلوماسية العامة هي دراع حيوية جديدة سوف تقاوم الإرهاب مع الوقت، هجاة نجد ممسا ملزمين بإعادة تعزير من على أمريكا ليس فقط لأمسنا وإنما للعالم

وجدها بطر ١٣

كان المطبلون لبوش من صفور المحاطين الجدد ينظرون إلى حرب العراق كمنتج وبالصنيع مثل موديل جديد من أحدىة ذابكة، تحتاج إلى حملة دعائية من أجل إقراء المستهلكين. استخدمت نفس الأساليب (وعدة نفس أساطين العلاقات العامة) في تسويق السجائر والسيارات رباغة الدفع ومقالب النصايات الذرية، كذلك لتسويق حرب العراق. من أجل بيع العز، عين دونالد رامسفيلد وكولي ناول وبقية الزمرة أشهر مستشاري الدعاية في مناصب عليا في البيتاجون والخارجية وسرعان ما أصبح هؤلاء الصلطين الفول العصل في كيفية اختلاق مبررات الحرب على العراق. بدلا من وكالات الاستخبارات والديبلوماسيةيين المحترفين، فإذا كانت المعلومات الاستخباراتية لا تناسب النص، يمكن تعييرها أو طمسها.

خذ مثلا، شارلوت بيرز التي اختارها ناول وكيله لوزارة الخارجية في عالم ما بعد 9/11، لم تكن بيرز دبلوماسيا بل لم تكن حتى سياسية. كانت أسطورة هي الدعاية والاخلاق وكانت تسمى في

به، كال الجهد الحقيقي موجهها إلى تصعيد مزاج الحرب لدى الرأي العام باستخدام سيكولوجية الخوف. لم تكن الحقائق شيئا مهما في نظر فريق بوش. كانت شذرات يسهل التخلص منها متى شاموا واستبدلها بأى مبرر يميل كفة الاستفتاءات إلى ميزانهم. فالحرب كانت سبب أسلحة الدمار الشامل في أسبوع وسبب القاعة في الأسبوع الثاني. وحين لا يولترأى من الجبرين على الأرض يصح المبرر المقابر الجماعية (وكتير منها يعود إلى الحرب العراقية الإيرانية التي كانت الولايات المتحدة تناصر العراق فيها) للدلالة على أن صدام حسين كان رجلا شريرا يستحق الإطاحة به. كان شعار ماكينة العلاقات العامة البوشية هي: تجاوزوا واستمروا. لا تؤضخوا، قولوا أى شيء لإخفاء بشاعة الدوافع الحقيقية للحرب. لا تنظروا إلى الخلف أبدا، انهموا الشككيين بانهم خونة للوطن. وفي النهاية حتى ولعمريتر الحنتر اعترف بان المبرر الرسمي للحرب اصططن خصصها لجعل العز سائفا وليس لتبريره.

■ ■ ■ لن نذكر كيف شنت الحرب على العراق بقدر تذكرنا كيف تم تسويقها. كانت حرب مرويا جندا، حرب إدارة الوعي، حيث تقذف اطلاعات الجمل المثقلة بالإحصاءات مثل أسلحة دمار شامل، ودولة مارقة، على الجمهور المستهلك، ونحن.

من أجل أن نفهم حرب العراق لا تحتاج أن تستشير جشيرات، وإنما تستشير فساجي القصص ومديري العلاقات العامة الذين نصبوا المسرح شهيدا للحرب من أروقة واشنطن حيث يتشايص جواسيس السياسة والأصايل والحرب النفسية.

تأمل رحلة دوسيه العراق الذي تشبث به ثوى بليير. من موقع طالب جامعا إلى عملية قس ولصق في الخطاب الضخم لرئيس الوزراء أمام مجلس العموم، وقد دفع بليير العنيد وثاق اللسان ثمنا لبقائه الحفقاء، أما بوش الذي سرق قدرات كاملة من خطاب بليير من أجل تقديم قضيتيه ببلاهته المتعاقبة فقد أزلرق بمهارة عبر

على عكس بليير، لم يسع فريق بوش إلى تقديم قضية قانونية لتبرير الحرب، لم يكن لديهم الدافع لدعم اتهامهم ضد العراق بما يجعلها تتماصك كدليل يعتد

ترجمة: بيثية الناصري

العدد المائة وحسمه. أكتوبر ٢٠٠٧ م

من أجل أن تفهم حرب العراق لا تحتاج أن تستشير جنرالات. وإنما نساجي القصص ومديري العلاقات العامة الذين نصبوا المسرح تمهيدا للحرب من أروقة واشنطن حيث يتعايش جواسيس السياسة والأضاليل والحرب النفسية



بعرها كاتالتي إجراءات توصيل وا/ إخفاء معلومات متناقضة ومشتتة للجماهير الأجنبية للتأثير على عواطفهم وادراهم الحادي، بتعبير آخر الكذب حول مقاصد الإدارة الأمريكية. وفي عرض نادر للصراخ على الملأ سمح البنتاجون بتسريب خطته التي طورها ريتدون من أجل تأسيس وكر على مستوى عال داخل وزارة الدفاع لإدارة الوعي. وقد أطلق عليه «مكتب التأثير الإسرائيلي»، ومن بين مهامه العديدة زرع قصص كاذبة في الصحافة. لاشيء يحرك الإعلام السائد في غيبة للكرامة مثل مدركة حكومية رسمية تتجسس حول كيفية استغلال الإعلام لتحقيق أغراض سياسية. وهكذا فإن نيويورك تايمز وواشنطن بوست والاربا رومية حول كيفية التأثير الإسرائيلي. فقام البنتاجون بإثارة العملية. والتفتحت أوداج الصحافة بهذا التصور. ومع ذلك فقد أبلغ راسفيلد فريق صاعقة البنتاجون بأنه رغم إقبال المكتب ولكن نفس العمل سوف يستمر. يمكنكم أن تستلموا! ولكن سوف يمكنكم أن تأخذوا الاسم، ولكن سوف استمر بعمل كل ما تحتاج عمله. وقد فلتت.

وعلى المستوى الدبلوماسي، وزعم البنادق المؤجرة والقصص المزرعة فإن صورة الحرب بد صامت. فقد فلتت في إقناع حتى أشد العلماء حساسة والدول الخطرة. أمريكا باب العراق كان يشكل عطلا. وفلتت في إجازة مباركة الأمم المتحدة وحتى الآن، وهو تابع لواشنطن. وفي نهاية الأمر تشكل حلفاء الراهبين من بريطانيا وإيطاليا وأستراليا وبعض دول الاتحاد السوفيتي السابق. تحاشى من ذلك كانت شعوب تلك الدول وتحتوي الحرب.

في الغالب كانت الحكاية مختلفة. أصبح الحلفاء المدهور بتبديدها إلى الإمبراء والاقتصاد المزدور فبرسة سهلة لنقص بوش الاعلاسي باب العراق دولة إرهابية ترتبط بالفاضة وانها على وشك شن هجمات على أمريكا بأسلحة الدمار الشامل.

وقع الأمريكيان ضحية نصب دكسي يستند هفص يومي من تضخيم الخطر والتشويه والخداع والأكاذيب ليس حول كراتنج أو استجابة إلى خطس الحرب وإنما حول مبررات الحرب. لكن الأكاذيب تهدف إلى إرباك نظام ديمقراطي وحسين وانما الضباب الأمريكي. عن بداية إرباك كان 7/11 من الأمريكيان يعتقدون أن صدام حسين كان وراء أحداث 11 أيلول و٩٧ يعتقدون انه كان على وشك الحصول على سلاح نووي.

لمايك دوكايس وجيمس كارتر إضافة إلى ريجان وبوش الأب. كلما أراد البنتاجون أن يش حربا. يعرض خدمته مقابل سعر. خلال عاصفة الصحراء كسب ريتدون ١٠٠ ألف دولار ماشر من العائلة المالكة الكويتية. وتبع ذلك بعقبة بقيمة ٢٣ مليون دولار مع السى أى اى الإنتاج بروجاندا. وكجزء من مشروع السى أى اى هذا، خلق ريتدون وسمى المؤتمر الوطني العراقي واقتصر صديقه أحمد الجليلي، المصغر الحربي، لرئاسة المنظمة.

بعد ١١ أيلول بولت قصير، سلم البنتاجون لشركة ريتدون مهمة عالمية كبيرة أخرى لتقصيف أفغانستان. وقد اعتمد ريتدون على التخطيط والاعلاي للحرب العراقية ضد العراق رغم أن العراق وريتدون والبنتاجون رفضوا الإصباح عن تفاصيل عمل الشركة في هذا المجال.

ولكن ليس من الصعب اكتشاف شات ريتدون خلف الكثير من أحداث الحرب على العراق العراقية يضمنها إسقاط شاتل ساحة الفرورس (بواسطة القوات العراقية وجماعة الجليلي) وتصوير عراقيين مهلبين يمسكون بالاعلام الأمريكي حين كانت فرقة المشاة الثالثة تسرحهم. وكان ريتدون قد فعل الشيء نفسه في الحرب الأولى حين أعلنه الكويتيين اعلاما أمريكية وقاد هلعهم مراسلي الاعلام لتصور التفاترة المديرة. قال ريتدون عن ذلك في ١٩٩١ «من أين تعتقدون انهم أتوا بالاعلام الأمريكية؟ تلك كانت مهمتي».



في إذاعة NPR وابن نائب تونيزيانا هيل بوجس. وفي الوقت الذي كان فيه بوجس يناقش من أعلى مسؤولي البنتاجون حول كيفية الدعاية للحرب على الإرهاب كان يعمل بخصاسة مع العائلة المالكة السعودية. في عام ٢٠٠٠ وسد دفع السعوديون لشركة كورفيس للعلاقات العامة مبلغ ٢,٢٠ مليون دولار لحمائية مصالحهم في واشنطن. ففى أعقاب التعطية الصحفية العامة بعد الكشف عن عوية مختطس الطائرات في أحداث ١١ أيلول. كانت العائلة المالكة تحتاج الى كل ما تستطيع تراه من المساعدات المالية. ويبدو أن امرهم قد قدس هباء، فيمكن تسويق بوجس الفعالي أن يفسر سبب إسقاط الاتهامات عن السعوديين بتحويل القاذرة من التقرير الكونجرسي الأخير حول التحقيقات في فشل الاستخبارات في تمادي ١١ أيلول.

ملقا لطخوة بى آر ويك. التحارية. أرسلت مجموعة راسفيلد، استشارة، من أجل تسويق الحرب على الإرهاب للراي العام الأمريكي. عليهم أن يفترضوا صلة لدول وليس فقط لمعاملات مثل القاعدة. بكلمات أخرى. يحتاجون إلى إيجاد هدف ثابت لحملات العسكرية. أماك بعيدة لإسقاط صواريخ كروز والاعلاي المتعددة. والفرحت المجموعة فكرة (كانت تطوف أصلا في ذهن راسفيلد) اعتبار ما تسمى الدول المارقة على أنها المخططة الحقيقية للإرهاب. وهكذا خلق (بحور الشر) وفي الواقع لم يكن محورا أبدا طالا أن التنتين من هذه الدول - إيران والشرق تكترد احداها الأخرى ولم تكن لأي منهما صلة مع القاذرة: كوريا الشمالية.

سمحت ضغرات المايجين من الاموال الصارلية على شركات العلاقات العامة والإعلام من أجل لتسويق والادعاء الخطاب البوش الذي يقول انه من الضروري اقتلاع صدام قبل أن يغير العالم بإسقاط فتايل كيماوية ونووية من طائرات مسيرة بعيدة المدى. التكتير من هؤلاء وشراء شركات العلاقات العامة ومشتاري الدعاية كانوا أصفاء قاضي للحملة الضخمة البوش. وبالتالي أكدوا محاورين قدس ما مثل تشينى واولف في الحرب السابقة ضد العراق. وهي كانت أيضا حربا قائمة على الأكاذيب.

على رأس القاذرة جون ريتدون رئيس شركة في واشنطن اسمها ريتدون جروب. ريتدون كان واحد من أقوى الصاريين في واشنطن وهو (بذاع) كل الذي لم يكن يسمح بأى ارتباط حزب بوش في طريق أى مهمة. ريتدون خدم كمستشار إعلامي

الخارجي. لاحظوا الاهتمام الذي توليه بيزر لاستغلال الوعي والإرهاب على عكس مثلا السعي لإحداث تغيير حقيقي في السياسة الأمريكية.

إن الدبلوماسية العتقية تتطلب اتصالات مباشرة بين ممثلي الأمم وعملية أخذ وعطاء مثيرة للجدل. معقدة عادة بالخداع (أنظر ابريل جالاسي) ولكنها تطل عملية تبادل آراء على أية حال. أما الدبلوماسية العامة كما تعرفها بيزر فهي شيء مختلف تماما. أنه على طريق باتجاه واحد. دعاية أمريكية من جانب واحد تبت مباشرة إلى الجمهور الداخلي والدولي. نوعا من القصف الكثيف في الرسمى. كانت أفكار حملاتها بلهاء ومهينة مثل المؤتمرات الصحفية لنيوش. غزو أمريكا لأفغانستان والعراق هو سبب وحيد. تحرير الكويتيين. ومن هن إطلاق تسمية عملية حرية العراق على الحرب الأمريكية حيث صوّت صواريخ كروز كانها رموز التحرير. حتى بوش نفسه فسر معادلة بيزر في جوهره العجيب. هذه حرب من أجل السلام.

وقد استأقلت بيزر بدهو من منصبها قبل أسابيع قليلة من ذلك بغداد بصواريخ توماهوك. من وجهة نظرها كان الأضرار قد تحقق في الحرب بالإعلام أما الألاعب الشارية للخدمة والتشريع فهي مثل ملاحظات ما بعد العملية الجنسية.

وفي البنتاجون جند دوله راسفيلد فكتوريا (توري) كلارك تدرج للشعور العامة. وكانت كلارك تعرف كيف تلعب ناخبط داخل المؤسسة السياسية في واشنطن. وقبل أن تصيب بوقا لرامفيلد كانت على رأس إحدى أعظم شركات مسررة السلطة في العالم. مكتب واشنطن لشركة هيرل وولفشتون وHall Knowlton (الشركة التي لبشت قصة حصان الأطفال للتسريرو والبيئة العراقية بالزيت وقصة ديرة وغيرها من حرب الكويت - المزمجة).

وحالا استقرت في منصبها. عثت كلارك كاستعانة دورية مع مجموعة منتقاة من أفضل مستشاري العلاقات العامة والدعاية وجماعات الضغط واشتغل لتطوير حله تسويق لحروب البنتاجون المزرعة القاذرة. كانت المجموعة نتكون من شخصيات الوزن الثقيل من كلا الحزبين وكانت تسميها «مجموعة راسفيلد». وفيها هيليا تبت مدبرة عائلته عامة وكافك الامعة لتخصيص رتش لوري والمستشار الجمهوري السياسي ريتش غلاي.

ومن ودي الفكر كان في المجموعة تومي بوجس الديمقراطي شقيق كوكي رورتس



جيمسيري سانت كلير مؤلف كتاب «كان اللون نبتا لفترة طويلة حتى ليبدو خضبا في عيني» - سياسات الطبيعة، وكتاب «السرقة الكبرى» - البنشاجون، وكتاب «الأخذت» - زمن النهاية: موت السلطان الرابع، بالمشاركة مع المؤلف اليكساندر كوكس. ■



المهاجرين المغاربة البربر، وهو ناشط سياسي إسلامي فصح، وقد تحدث بعاطفة جياشة وبلغة فرنسية مثالية عن بؤس الأحياء السكنية الصغيرة حول باريس - التي كانت تعترض ثانية إنشاء حديثاً إلى الدمار بسبب الاحتجاجات - والتميز الاجتماعي المستمر ضد المهاجرين والمتحدرين منهم. قال «الجوهري» بفضوب: «إن النموذج الجمهوري، الفرنسي الشهير إنما يعنى في الواقع، أنا أتحدث الفرنسية، وأدعى جان-دانيال-عويوني زرقاء، وشعري أشقر». أما إذا كنت أدعى «عبد العزيز» ولي بشرة داكنة، ومسلم كذلك، فإن الجمهورية الفرنسية لا تطلق في الواقع ما تدعو إليه. أين نحن من «المساواة» والحرية، والأخوة، (الشعار الثلاثي للثورة الفرنسية)؟ ثم أرسل «الجوهري» رسالته الشخصية إلى «نيكولاس ساركوزي Nicolas Sarkozy»، ورئيس الداخلية المتشدد والمرشح اليميني الأول لخلافة، جاك شيراك Jacques Chirac، كرئيس لفرنسا، (وهو ما حدث بالفعل) هي كلمات لن أنساها أبداً، قال «الجوهري» بصوت مدو: «أنا فرنسا».

كان من الممكن أن يصيف «الجوهري» أيضاً «أنا أوروبا».. حيث إن العزلة الصارخة لكثير من المسلمين - خاصة الجيلين الثاني والثالث لعائلات المهاجرين، شباب وفتيات ودوا في أوروبا هي إحدى أعقد المشكلات التي تواجه القارة اليوم ولتواستمر الأوضاع السيئة الحالية، فإن تلك العزلة وما تفرزها وتتغذى عليه من استياء البيض - أساساً - من الأوروبيين المسيحيين، يمكن أن تسرق المسيحية المندسة لأصغر الديمقراطيات الأوروبية. لقد حفزت تلك العزلة بالفعل قيام أحزاب شعبية متناوئة للمهاجرين، وساهمت بصورة مباشرة في الهجمات الإرهابية على الولايات المتحدة في الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ (كان خاطمو الطائرات من أمثال محمد عطا قد تطرقوا أثناء إقامتهم في أوروبا) وفي تفجيرات مدريد في الحادي عشر من مارس ٢٠٠٤، واغتيال المخرج الهولندي «ثيو فان جوج» في الثاني من نوفمبر ٢٠٠٤، وتفجيرات لندن في السابع من يوليو ٢٠٠٥، والتخطيط لمحاولة تفجير عدة طائرات ركاب متجهة من بريطانيا إلى الولايات المتحدة والتي أحبطتها السلطات

■ ■ ■ قمت في العام الماضي بزيارة كاتدرائية سان ديني الشهيرة الواقعة في أطراف باريس، وقد بهرتني الأضرحة والأثار الجنائزية الرائعة للوك وملكات فرنسا، بمن فيهم، شارل مارتل Charles Martel، الشهير بالطوق، والذي يعد انتصاره على جيوش المسلمين الغازية قرب «بواتيه» Poitiers، عام ٧٣٢ للميلاد علامة فارقة في إيقاف الزحف الإسلامي على أوروبا (عام ٧٣٢ هو العام الأكثر شيوعاً، ولكن اثنين من العلماء الفرنسيين يؤكدان أن ذلك وقع عام ٧٣٣، انظر كتاب: معركة بواتيه - أكتوبر ٧٣٣، تأليف جيه إتش روي، وجيه ديموس). ولدى خروجي من الكاتدرائية، سرت حوالي مائة ياردة عبر ميدان، فيكتور هوجو، إلى الشارع التجاري الرئيسي الذي كان يجمع بالتسوق المحليين ذوي الأصول العربية والأفريقية، بمن فيهم الكثير من النساء اللاتي يرتدين الحجاب، وجدت نفسي أفكر: إن فقد انتصر المسلمون في معركة «بواتيه»، رغم كل شيء، لم ينتصروا بقوة السلاح وإنما بالهجرة السلمية والتوالد على مسافة قصيرة من طريق كاتدرائية الملوك، وفي المكاتب الخلمية المتخلفة لجمعية التوحيد، التقيت بـ «عبد العزيز الجوهري»، أحد أبناء

1- Murder in Amsterdam The Death of Theo Van Gogh and the Limits of Tolerance (جريمة قتل في أمستردام، مصرع ثيو فان جوج وحدود التسامح) Ian Buruma Penguin, 278PP, \$24 95

2- The Caged Virgin: An Emancipation Proclamation for Women and Islam (العذراء المحبوسة: دعوة لإعناق النساء والإسلام) Ayaan Hirsi Ali Free Press, 187PP, \$19 95

ترتيب مع مجلة: The New York Review of Books ترجمة: عادل فتحي

الصعوبات التي

تواجهها أوروبا مع مسلميها

هي أيضاً موضع تبسيط هستيري،

خاصة في الولايات المتحدة

حيث تزداد انتشاراً المخاوف المتكررة

من أن تقع «عوروبا Eurabia،

أو أوروبا المستعربة»

الواحية المعادية لأمريكا وللسامية

أسيرة للهيمنة

العربية الإسلامية

تيموثى جارتون آش



البريطانية هي العاشر من أغسطس ٢٠٠٦.

إن الصعوبات التي تواجهها أوروبا مع مسلميها هي أيضا موضع تبسيط هستيري، خاصة في الولايات المتحدة حيث تزدهر انتشارا المخاوف المتفجرة من أن تقع أوروبا، Eurabia، في أيدي المستعرة، الواهية العنصرية وأمريكا وللأسامة أسيرة للهيمنة العربية الإسلامية (أوروبا، هو العنوان الأصلي لحريصة مقفورة، ويبدو أن هذا المصطلح قد شاع على يد كاتبة تدعى «بات يور» Bat Ye'or، ويخصص

غلاف كتابها «عوروبا، المحور الأوروبي» العربي Eurabia: The Euro-Arab Axis، تلك النظرية، يتحدث هذا الكتاب عن تحول أوروبا، إلى «عوروبا»، وهو ملحق ثقافي وسياسي عن العالم العربي/الإسلامي، وعوروبا، هي بالضرورة ضد المسيحية وضد الغرب وضد أمريكا وضد المسيحية، وأسست حجة بات يور، التي تشكل نظرية المؤامرة أحد أهم عناصرها في معظمها إلى تأثير التعاليم السرية (المزعومة) لمنظمة تدعى الحوار الأوروبي العربي (Euro-Arab Dialogue)، وفيما يلي نموذج لأسلوبها المباشر المتوازن: «هل تعدد حرب الاتحاد الأوروبي السرية ضد إسرائيل، من خلال حلفائها العرب (المسلمين)، هي استكمال للمعرفة؟ وهي تصف الأمم المتحدة بأنها «محكمة دولية معادية للمسيحية تسعى لعرش الرؤية الإسلامية لأهل النعمة على إسرائيل، وهي كتابة، عندما قامت أوروبا، كيف يدمر الإسلام المتطرف الغرب من الداخل؟ White Islam: How the West is Destroying the West from Within، يكرر «روس باور Bruce Bawer، بلا تمحيص - نظرية بات يور، - ولا يشير إلى أنه بإمكان أوروبا ببساطة أن تصير على أساليبها السلبية وأن تزدري عبر فترة استعمارية إلى حكم كامل للشرعية الإسلامية وتطبيق كامل لوضع أهل النعمة. ورغم السوابق الغربية اعلاء، فإن كلمة «عوروبا، حققت مؤخرا مصداقية كاملة عبر الأطلسي، حيث وُردت على غلاف مجلة الاقتصاد Economist، ربيع للمجلة، عدد ٣٠ يونيو ٢٠٠٦، وأصبح أحد سكان «عوروبا، فلابد أن أوضح بعض الشواهد الأساسية، بداية، هل نتحدث عن الإسلام أم المسلمين أم الإسلاميين أم العرب أم المهاجرين أم دكانى البشرية أم الإهابيين؟

التقديرية ما بين ثلاثة ملايين إلى ثلاثين مليوناً. وعندما تقدمت روسيا عام ٢٠٠٣ يطلب للانضمام إلى منظمة المؤتمر الإسلامي، كسر فلاديمير بوتين رقما تقريبا مشكوك فيه هو ٢٠ مليون. أرجع إلى السبت الموثق لـ Edward W. Walker «الجيغرافيا والاقتصاد في Eurasian Geography and the Economics» المجلد ٤٦، العدد ٢٠٠٥، وأنا مدمن بالشكر العميق لـ جون دانلوب John Dunlop، شماسهته بهذا المرجع. وعلى النقيض من ذلك، في حالة دولة مثل تركيا تضم حوالي سبعين مليون مسلم يعيشون في دولة عثمانية، فإن الأوروبيين يتجادلون بشدة بشأن ما إذا كان يجب قبول قطر كبر - مسلم في معظمه - لم يكن بعد جزءا من أوروبا من معظم النواحي الثقافية والتاريخية والجغرافية التقليدية. عضوا في الاتحاد الأوروبي، وتوجد في البلدان منذ قرون محتملات من المسلمين الأوروبيين - يزيد عددهم الإجمالي عن سبعة ملايين - هم فيهم دولة مسلمة كبيرة في ألبانيا، وكيان آخر هو كوسوفو الذي أصبح عاجلا أو آجلا دولة ذات أغلبية مسلمة، والبوسنة وهي دولة شنة ذات كثرة مسلمة أيضا. وكذلك ألبانيا وصربيا والجبل الأسود.

إن هؤلاء المسلمين البلقان الأوروبيين الأصليين ولويسو مهاجرين أوروبا ومع ذلك هم يتكلمون - مثل الأتراك جزءا من الأقليات المسلمة المهاجرة في دول أوروبا الغربية مثل ألمانيا وفرنسا وهولندا. وفي خلال عقد من الزمان أصبح معظم مسلمي البلقان، على الأرجح مواطنين في الاتحاد الأوروبي، سواء عن طريق انضمام دولهم للاتحاد الأوروبي أو بحصولهم هم أنفسهم على

إن كل تلك الأشياء السببية تختلف عن بعضها.

حيث أعيش - في أوكسفورد، عوربا - فإنني أفتق بالمسلمين البريطانيين بصورة يومية تقريبا. إن جنود عائلاتهم تعود إلى باكستان والهند وبنجلاديش وهم مواطنون بريطانيون مسلمون ومليّنون بالقانون ومكافحون أكثر من العديد ممن أعرفهم من الإنجليز الأصليين. وكما يشير مؤلفو دراسة حديثة ممتازة عن الإسلام في فرنسا، فإن غالبية المسلمين الفرنسيين قد اندمجوا جيدا - فسيبا - في المجتمع الفرنسي (كتاب «دمج الإسلام: التحديات السياسية والدينية في فرنسا المعاصرة Integrating Islam: Political and Religious Challenges in Contemporary France» - تأليف: جوناثان لورانس Jonathan Laurence، وجاستين فيس Justine Vaiss، إن الكثير من التمييز الذي يشكو منه «الجوهرى»، والذي ينتشر بصورة مختلفة ودرجات متفاوتة في معظم الأقطار الأوروبية، يعانى منه بنفس الدرجة المهاجرون من غير المسلمين. لقد كان - إن جاز التعبير - تمييزا أعنى ضد البشر ذوي البشرة الداكنة والأسماء أو للهجات الأجنبية، إنها عنصرية صرفة عتيقة الظهور أو نوع من رهاب الأجانب، أكثر من أن تكون تحاملا أكثر تحديدا يعرف الآن باسم رهاب الإسلام.

هناك عبر القارة الأوروبية عدد من القضايا شديدة التعقيد - وإن كانت متباينة - خاصة بالإسلام. إن الاتحاد الروسي يتكلم أكثر من ١٤ مليون شخص يشكلون ١٠٪ من الأقل من عدد السكان الذي يتناقص بسرعة - ممن يمكن اعتبارهم مسلمين، ولكن غالبية الأوروبيين لا يعتبرونهم جزءا من المشكلة الأوروبية (التي تباين كثيرا أرقامهم

جنسية دول أخرى عضو في الاتحاد الأوروبي. لقد ساهم التراجيح المخزي لأوروبا العربية تجاه الاضطهاد الصربي - و«برجة أقل» - الكرواتى لمسلمي البوسنة في التسعينيات في إكذاء شعور واسع بأن المسلمين كانوا ضحايا في أوروبا وبالنسبة للتدخل العسكري لأوروبا الغربية والولايات المتحدة - في كوسوفو لمنع محاولة إبادة الألبان المسلمين على يد الصرب المسيحيين. فلم يدع الكثيرون يدركونه الآن كثيرا

عندما يتحدث الناس باستفاضة عن المشكلة الإسلامية في أوروبا، فإن ما يمكن به عادة ما الأكثر من خمسة عشر مليون مسلم المتحيزين من عائلات من أصول مهاجرة والذين يعيشون الآن في دول أعضاء في الاتحاد الأوروبي تقع في غرب وشمال وجنوب القارة وكذلك في سويسرا والنرويج. أما أعدادهم في الدول حديثة الانضمام للاتحاد الأوروبي والتي تقع في وسط وشرق أوروبا - مثل بولندا، فهي قليلة لا تذكر. ورغم أن عملية الإحصاء في فرنسا معقدة بسبب إغفال الجمهورية الفرنسية نظريا اعتبارات اللون والدين والأصول العرقية وعدم احتفاظها بإحصائيات واقعية، فمن المرجح وجود ما يقدر بخمسة ملايين مسلم في فرنسا، أي ما يزيد على ثمانية بالمائة من إجمالي عدد السكان. وربما هناك أربعة ملايين مسلم - معظمهم من الأقارب في ألمانيا، وحوالي مليون مسلم في هولندا، أي أكثر من خمسة بالمائة من إجمالي عدد السكان.

يعيش معظم هؤلاء المسلمين في المدن - و«إجمالا» - في مناطق معينة من تلك المدن، مثل المنطقة الإدارية حول سان ديتي، التي تضم بعضا من أسوأ مشاريع الإسكان منخفضة في ضواحي باريس، ويقدر أن واحد من كل أربعة يقطنون مازيليا هو من المسلمين، وهي كانته الزائغ «جرمة قتل في استمردام، يكتفأ إيان بوروما، عن إحصائية رسمية تؤكد أن حوالي ٤٥٪ من تعداد سكان استمردام عام ١٩٩٩ كانوا من أصول أجنبية. وهي نسبة يتوقع ارتفاعها بحلول عام ٢٠١٥ إلى ٦٥٪ معظمهم من المسلمين إن



مسؤولية

المهاجرين المسلمين لديهم عامة معدلات مواليد أعلى من السكان الأوروبيين المحليين، ووفقاً لأحد التقديرات فإن أكثر من ١٥٪ من الفرنسيين بين السادسة عشرة والخامسة والعشرين هم من المسلمين (انظر المقال عظيم الفائدة لـ «تيموثي إم. سافيج» Timothy M. Savage بعنوان «السلامة، التعليم، الهلال، صدام الثقافات» Europe and the Clash of Cultures, Crescent Waxing, Islam, Clashing, مجلة واشنطن ريفر السنوية The Washington Quarterly، المجلد ٢٧، صيف ٢٠٠٤، صفحة ٢٥-٣٠).

وهو ذلك، فمع استمرار الهجرة والارتفاع النسبي لمعدل المواليد واحتمال توسعة الاتحاد الأوروبي إلى البلقان وربما تركيا، فإن المزيد والمزيد من مواطني الاتحاد الأوروبي سيصبحون مسلمين. إن المسلمين سوف يشكلون ما بين ٩٠ إلى ٩٥ بالمائة من تعداد السكان في بعض أحياء المدن في بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وأستراليا وهولندا، وستكون غالبيتهم من الشباب، والكثير جدا منهم سيكونون من الفقراء ضعيفي التعليم وعاطلين عن العمل ومتعزليين عن المجتمع. لا يشعرون بالانتماء للكان الذي يعيشون فيه ولا للثقافة التي جاء منها أبائهم، ويقعون في حبال المخدرات والجريمة أو التطرف السياسي والديني.

وليس استسلمنا نحن الأوروبيين التقليديين أن نعكس الاتجاه الحالي ويمكن أن نأثروا مثل «الجمهر»، وإنهائه من أن يشعروا بالانتماء في وطنهم كعالمين أوروبيين، فمن الممكن أن يصبحوا مصدرا للإثارة الفكرية والحيوية الاقتصادية وسيعدوا في التمييز عن العمل المتناقص لزيادة عدد المسلمين في أوروبا. ولو فشلنا في ذلك سوف نواجه المزيد والمزيد من الصعوبات.

لقد طرأت لدى «إيان بوروما» - وهو نائب هولندي ونصف بريطاني ولكنه عاش تماما فكرة رافعة أن يعود إلى وطنه هولندا لاستكشاف أسباب ومعزى عملية الاغتيال التي تمت في الثاني من نوفمبر ٢٠٠٤ ورأى شخصيتها، «شو فان جوج» وهو محرر اعلامي شاب مستشرق للثقافة الإسلامية، على يد هيث هولندي مغربي الأصل عمره ٢٦ عاما يدعى محمد «بوري»، وصل «بوري» إلى مكان الحادث عن متن دراجة وأطلق النار على «فان جوج» عندما كان يمشي شارع عام خرج مدينة وشق منته كما لو كان «يشق

إطارا مضطحا»، حسيما ذكر أحد الشهود. ثم استخدما سكيناً آخر لثيبت «على صدر «فان جوج» رسالة طويلة غير مترابطة تنادى بش حرب مقدسة ضد كل الكفار وقتل عدد من الناس الذين يكرههم. وعلى رأسهم السياسية الهولندية (سابقاً) سومالية المولد، «آيان هيرسي علي، والتي كانت الرسالة موجهة إليها. كان «فان جوج» قد قام بالاشتراك مع السيدة «علي» بعمل فيلم قصير بعنوان «إذعان Submission، يصور فقر النساء في بعض العائلات المسلمة عن طريق عرض آيات من القرآن (الكريم) على أجساد الفتيات شبه العارية بينما في يسرن الإساءات الشخصية التي تعرضن لها. وقد تضمنت رسالة اغتيال «بوري» ما يلي:

أنا مؤمن تماماً أن أميركا سوف تسقط
أنا مؤمن تماماً أن أوروبا سوف تسقط
أنا مؤمن تماماً أن هولندا سوف تسقط
أنا مؤمن تماماً أن هولندا سوف تسقط
أنا مؤمن تماماً أن الكفار المتعصبين سوف يسقطون

والسلطان الذي يتصل بال «بوروما» في كتابه، جريمة قتل في أمستردام - وهو عبارة عن مجموعة من المقالات والتحقيقات الصحفية المتميزة المثيرة الذكية - هو: ما الذي حدث للبلد المتسامح المتحضر الذي انتكره من طغوات؟ (كان «بوروما» قد غادر هولندا عام ١٩٧٥ في من الثالثة والعشرين). ما الذي حدث لأرض «سبينوزا» Spinoza، (باروخ سبينوزا من أهم الفلاسفة الهولنديين في القرن السابع عشر) ويومان هوريجان John Huneke، وهو مؤرخ هولندي ومؤسس علم التاريخ الثقافي الحديث (الذي رعى في مقال له نشر عام ١٩٢٤ أنه إذا حدث يوماً أن أصاب التطرف الهولنديين، فإن نظرتهم سيكون لطرفاً معتدلاً؟ ذكر «بوروما» في كتابه أن اغتيال «فان جوج» كان «نهاية لحلم جميل من التسامح والتآزر في أكثر البقاع الصغيرة تقدماً في أوروبا... ولكن جزءاً من إجابته يوحى بأن الحقيقة اختلفت دائماً عن أسطورة التسامح الهولندي، ولم نظفها في سبيل المثال إلى الهولندي تجاه اليهود أثناء وبعد الحرب، ويستشهد «بوروما» بتصريح رافع د «هريتز بوكشتاين Frits

Bolkstein، وهو سياسي هولندي شهير وضوضا أوروبي سابق، يقول فيه «لا يجب أبداً أن نستخف بمدى الكراهية التي يشعر بها الشعب الهولندي تجاه المهاجرين والأتراك، ليس المسلمين، بالتحديد وإنما المهاجرين من بلدان معينة.

الآن بعد «بوروما» لزيارة الضواحي الخضراء التي عاش بها طفولته - تتكرر كلمات «خضراء» ومرفقة، مراراً - وتحدث بسخرية «أصمقاء» شو، ويستمتع إلى أنزله بشأن الكيفية التي انهار بها النموذج الاجتماعي للتعددية الثقافية والذي كان يقوم على أعمدة مستقلة لكل ثقافة. لقد تم السماح بدخول عدد هائل من المهاجرين في فترة وجيزة ولم يتدمجوا بما يكفي في المجتمع الهولندي من الضواحي الخفيفة والثقافية والاجتماعية. لقد تم جلب الآباء والأمهات إلى هولندا للعمل كعمال ضيوف، ولكن أبناءهم أصبحوا الآن بلا عمل غالباً.

ويانسيس لوفف الشعب الهولندي من الإسلام، فإن «بوروما» شر إلى أن أمثال «بيم فورتوين» Pim Fortuyn، السياسي الشعبي المعادي للمهاجرين كانوا يشعرون بالضغط الشديد إزاء قيام المسلمين بالإفصاح عن عقيدتهم علناً، لأنهم هم أنفسهم كانوا قد تمكنوا للتو من الانتماء بصعوبة شديدة من جهود دياناتهم الأصلية، أي المسيحية الكاثوليكية والبروتستانتية. ناهيك عن ذكر مواقف المسلمين تجاه النساء جنسياً (كان «فورتوين» واحداً منهم) والنساء وعندما سئل «فورتوين» عن عدايته للإسلام، «لست لدى الرغبة أن أمر تجربة تحرير النساء والشواذ جنسياً مرة ثانية». وقد اغتيل «فورتوين» الطريقة الهولندية على غرار «فان جوج» على يد رجل يقود دراجة، وإن لم يكن قلته مسلماً هذه المرة. كان «فان جوج» معزولاً عن «فورتوين». في الواقع - كما كتب «بوروما» - فقد اتى المخرج مصرعه على يد «بوري» بينما كان يقوم بعمل فيلم رصع على غرار أفلام «ميتشكون» عن عملية اغتيال سوفيتيون.

بالنسبة لنا نحن الأوروبيين غير المسلمين أو الغربيين عمومًا، فإن الجزء من القصة الذي يسرد ردود أفعال الناس مثل «فورتوين» وفان جوج، هو الذي يروق لنا أكثر من غيره. ولكن الجزء الآخر هو فعلاً ما نحتاج أن نهمه، ألا وهو تجربة

المهاجرين المسلمين والمتحدرين منهم هل كان القاتل، محمد «بوري»، محتلاً وحيداً، أم أنه كان عرضاً لوباء أوسع انتشاراً؟ إن الإجابة ليست مطمئنة. إن «بوري» ينتمى لمن ادعاهم به «ناس الوسط»، أولئك الذين لا يشعرون بالانتماء للبلدان الأوروبية التي يعيشون فيها ولا للأفطار التي جاء منها أبائهم. إنهم يقطنون «مدناً قصائنية» متصلة بالبلدان التي ولد فيها أبائهم وأمهاتهم عن طريق أطياف الاستقبال الفضائية التي تجلب القنوات التلفزيونية الغربية والتركية، وعن طريق الإنترنت والتلفزيونات المحمولة، وبخلاف المهاجرين المسلمين في الولايات المتحدة فإن الكثير من المهاجرين المسلمين في أوروبا لديهم «الوطن» كل مسلم، إلى الغرب والجزائر وتركيا أو أي قطر آخر قريب من أوروبا، ولعدة شهور في كل مرة أحياناً. وعادة ما يتحدث الجيل الثاني في وطنه الأوروبي باللغة المحلية - الهولندية أو الفرنسية أو الإنجليزية - مع إخوتهم وأخواتهم، بينما يتحدثون باللغة العربية أو البربرية أو العربية أو التركية - مع أبائهم وأمهاتهم، أي بنسبة ٥٠ - ٨٠ كما ذكر «بوروما» رجل هولندي من أصل مغربي بربري. وعندما سأله «بوروما» عن حريق كرة القدم الذي شجعه، قال الرجل «المغرب»، وعندما سأله عن جواز السفر الذي يعضل أن يحمله، أجاب: «الهولندي».



سمعت على لسان الغالبية العظمى من الشباب الذين قابلتهم في المشاريع السكنية حول باريس والتي ضريتها أعمال الشغب قصصاً مشابهة عن حيوات معزولة عن أجيال صيف رعيه قضيها في مزارع الجندوة في الجزائر وتونس وعن الولادات القسمة التي يشهدها هؤلاء: «ما هو فريق كرة القدم الذي تشجعه؟ كانت إجابة ذوي الأصول الجزائرية، «فريق الجزائر»، وقد تحولت مباراة شهرية بين الجزائر وفرنسا عام ٢٠٠١ إلى أعمال شغب خطيرة. ولكن عندما قاد زين الدين زيدان المرنسي/الجزائري الفريق الفرنسي في مباريات كأس العالم فإقليم شجوا فرنسا (كنت أمل - حتى ذلك الحين - أن نأخذ من نهای كاس العالم - من قبل «الفرق المصطب» زيدان، باعتباره قائد الفريق



بصفتي أحد سكان .. عوروييا .. فلابد أن أوضح بعض الفوارق الأساسية. بداية، هل نتحدث عن الإسلام أم المسلمين أم الإسلاميين أم العرب أم المهاجرين أم داكنتي البشرية أم الإبراهيميين؟ إن كل تلك الأشياء السبعة تختلف عن بعضها



بعد أن قرأت العديد من المقالات التي أجريت معها وخصيت أسبعية في لندن أتحدث إليها، فأني أكن .. على، احتراماً عظيماً بسبب شجاعته واحصاها ووضوحها ولا يعني ذلك أنه يجب على المرء قبول كل وجهات نظرها. ان كتابها، «الغراء العبيسة»، يصمم عنواناً فرعياً في طبعته الأمريكية، دعوة لإعتراف الإسلام. وهي تسرد في كتابها حكايات حقيقية مروعة عن القهر والإساءة الذين تتعرض لهما الفتيات في بعض العائلات المهاجرة المسلمة في أوروبا. وذلك استناداً إلى خبرتها أولاً كترجمة وتكراراً كسبائية فيفضّل أكل الفتيات ويكسهن على الزواج ضد رغبتهم. وهي تستعمل هنا تعبير «اغتناب مثقن»، وتعرض أخريات لعملية سيلة من قبل الأزواج أو الأباء أو الأعمام، ولذا ما حاول الرجل أو الخلف صديق (Boy friend)، فإنهن يتعرضن للجهل والضرب بل وإفلال، فيحس بسعى به لتجديد الشرف، وقد ذكرت، على، في كتابها طرق إحدى عشرة جريمة قتل فتيات موهولات في خلال سبعة أشهر من عامي ٢٠٠٤ و ٢٠٠٥.

تتعرض الفتيات الصغيرات من بلدان مثل الصومال إلى بيطل عليه بتعصير مخفف .. فستان الزفاف، وهو إجراء تعصير .. حسبما تصف، على، استعمال مظهر الفساتين والشعرين الخارجيين والدخيلين، وكذلك كشط جدران المجلد بألوان مدهنة لقطع زجاج أو شفرة موسى أو سكبي لتسطيع البطاطس، ثم تثنى الساقين معاً حتى تنمو جدران المجلد في الوضع الجديد، وتصف، على، تلك العملية على النحو الصحيح ليس باعتبارها مهنة، حتّى أنها مدهنة، بترعصاً وتسلية. وقد تعرضت، على، نفسها لتلك العملية الرحيمية حسب تعليمات زوجها الصومالية. وقد كتبت نصاً مؤثراً وعصلياً جداً بعد مرور عشر نصائح للمرأة المسلمة التي ترغب في الزواج، تهتئ بهيئة المسلمة للصمدية والألم والأخطار المحتملة للرجل عن عائلة مسلمة.

تؤدي، على، خدمة كبيرة بلمت أنظارنا لتلك المصالح التي تشكل الحاد المصلي المظلم .. المعديفة، المتسامحة المزمومة. مع ذلك فإن بعض النساء المسلمات يحارصن

.. إيان هيرس على، وفيلم، إذعان، الذي صنعه من، جيو فان جوخ، ويكشف عن الممارسات السيئة ضد النساء المسلمات. لقد روت قصة حياة، على، في مقالات ومقابلات لا حصر لها. في الواقع أن «إيان» كانت موضوعاً لا يقاوم بالنسبة للصحفيين باعتبارها امرأة طويلة طاققة الجمال غريبة الأطوار شجاعة ذات سيرة حياة جذابة بالاعتماد على تعيش الآن تحت التهديد المستمر بالذبح مثل «فان جوخ». ومن بين الحواريين الذين أضافهم على، في مجاميعهم، وطيفاً لمصدر هولندي استشهد به بوروما .. فإن «فان جوخ» صديق، «بوروي» فنيي لينة زفافه مع عروسه على فراش أرضي على شقة قاتل المستقبل يشاهد كضاراً يديحون.

في الأول من نوفمبر ٢٠٠٤ قضى «محمد بوروي» أسبعية هادئة مع صديقائه فقد خرجوا يتجولون واستمعوا لثلاثة أقران من خلال سماعات الرأس المخصصة بصفقات موسيقية رقيقة. وقد علق «بوروي» على جمال النساء في تلك الليلة. وفي النصف الثاني استيقظت في الخامسة والنصف صباحاً وأدّى الصلاة ثم قام الدراجة لينع، «فان جوخ»، ومن الواضح أنه كان يتوهم نفسه لقتل أثناء تبادل إطلاق النار اللاحق مع الشرطة. هناك متشابهات لافتة بين قصة «بوروي» وقصص بعض من مجرّرين لندن ومدينة وأعضاء خلية القاعدة في هامبورج الذين كانوا من أهم مخططي هجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ على نيويورك. كان هناك نفس الانتماس المبني ثم الرفض الخاضع للثقافة العلمانية الأوروبية الحديثة، في صورها الهولندية أو الألمانية أو الإسبانية أو البريكانية، بإغراءاتها المعروفة مثل الحرية الجنسية والمخدرات والخمر ووسائل الترفيه الإباحية، وكذلك الأم الجنسية والجنسية والمخدرات والخمر والتعرق بين وطنين لا يعد أي منهما وطناً كاملاً. وتأثير الألفة المتطرفين والمواد الإسلامية المنتشرة على الإنترنت والشرائط الصوتية أو شرائط الفيديو أو أسطوانات الفيديو الرقمية. كان هناك إحساس على أن المسلمين ضحايا، وهو شعور تقاطع بسبب قصص الأهل من اليوسنة والقيشيان وقيسطين وأفغانستان والعراق. من المؤكد أن هؤلاء الفتلة الانتحاريين لا يمثلون الغالبية العظمى من المسلمين القيمين في سلام في أوروبا. ولكنهم جميعاً .. بلا شك .. أعرّضوا طرقاً واستثنائية لتعريض يحدث على نطاق أوسع لأطفال المسلمين المهاجرين إلى أوروبا: إن عقولهم وقلوبهم المرصعة تكشف .. بصورة متطرفة .. عن علل «ناس الواسط».

يكرس «بوروما»، فصلاً من الكتاب

الفرنسي، ممدوجا يتحدث للملايين المسلمين المرسلين. ولكن ضربة الرأس ماتيرازي Marco Materazzi، المدافع الإيطالي الأبيض الكاثوليكي (فرسا)، قدمت إلهاماً مختلفاً للمسلمين الأوروبيين. ويالتالي فإن الثقافة الشعبية قادت القصة إلى منعطف غير متوقع، فجرى في فرنسا الاحتفال بضربة رأس «زياد»، بأغنية جذابة محلية لاقت نجاحاً طورياً هائلاً. ويمكن سماع الأغنية على الموقع www.koreus.com/mix.html. قال لي «الجوهري»، «في المغرب أنا مهاجر مغرب، وفي فرنسا أنا مهاجر وافد».

إن هؤلاء «يعانون» من الشخصية الثقافية .. من الزواج في الشخصية والتخريب لا يكون ثقافياً فقط. وقد التقى «بوروما» الطبيب نفسى متخصص في المشاكل النفسية للمهاجرين، ومن الواضح أن النساء والجيل الأول من المهاجرين الرجال كانوا الأكثر ميالاً للوقوع في برائن الانتكاب، بينما يعاني رجال الجيل الثاني من الفصام. وطيفاً لأبحاث هذا الطبيب فإن مهاجرة مغربية من الجيل الثاني هو معرض للإصابة بالفصام أكثر عشر مرات من مواطن هولندي الأصل من نفس الخلفية الاقتصادية.

كان «محمد بوروي» أحد أفراد الجيل الثاني، هولندي مغربي بربري، تعرض للعديد من التجارب. كان يتردد على مدرسة ثانوية هولندية أطلق عليها اسم «Piet Mondrian» بيت موندريان المدهنة وكان يتحدث الهولندية ويشرب الخمر ويغتنم المخدرات، وكانت له علاقة غير شرعية بفتاة تصمم هولندية نصف تونسية. كان يجد نفسه منجذباً لفتيات الغريبات، ولكنه فقد صوابه عندما أصبح لشقيقه صديق (Boy friend) يدعى «عبد»، كان الجنس قبل الزواج أمراً لا غبار عليه بالنسبة له، ولكن ليس بالنسبة لأخته. كان المعتقد أن شرف العائلة ذا الأهمية التقليدية القصوى، يكون قد تلطم قبل قابلية الإصلاح في نظر مجتمع المسلم العربي على يد أبنة أو أخت حاربت الجنس قبل الزواج. وقد هاجم بوروي «عبد»، وسكبن ودخل السجن لتعصير الفتاة، وتوفيت والدته بسبب سرطان الثدي. ثم أدار بوروي ظهره لما أصبح لا يحبّه سوريكيت أوروبية خاضعة لحبيته وإرثه

الفرنسي، ممدوجا يتحدث للملايين المسلمين المرسلين. ولكن ضربة الرأس ماتيرازي Marco Materazzi، المدافع الإيطالي الأبيض الكاثوليكي (فرسا)، قدمت إلهاماً مختلفاً للمسلمين الأوروبيين. ويالتالي فإن الثقافة الشعبية قادت القصة إلى منعطف غير متوقع، فجرى في فرنسا الاحتفال بضربة رأس «زياد»، بأغنية جذابة محلية لاقت نجاحاً طورياً هائلاً. ويمكن سماع الأغنية على الموقع www.koreus.com/mix.html. قال لي «الجوهري»، «في المغرب أنا مهاجر مغرب، وفي فرنسا أنا مهاجر وافد».

إن هؤلاء «يعانون» من الشخصية الثقافية .. من الزواج في الشخصية والتخريب لا يكون ثقافياً فقط. وقد التقى «بوروما» الطبيب نفسى متخصص في المشاكل النفسية للمهاجرين، ومن الواضح أن النساء والجيل الأول من المهاجرين الرجال كانوا الأكثر ميالاً للوقوع في برائن الانتكاب، بينما يعاني رجال الجيل الثاني من الفصام. وطيفاً لأبحاث هذا الطبيب فإن مهاجرة مغربية من الجيل الثاني هو معرض للإصابة بالفصام أكثر عشر مرات من مواطن هولندي الأصل من نفس الخلفية الاقتصادية.

كان «محمد بوروي» أحد أفراد الجيل الثاني، هولندي مغربي بربري، تعرض للعديد من التجارب. كان يتردد على مدرسة ثانوية هولندية أطلق عليها اسم «Piet Mondrian» بيت موندريان المدهنة وكان يتحدث الهولندية ويشرب الخمر ويغتنم المخدرات، وكانت له علاقة غير شرعية بفتاة تصمم هولندية نصف تونسية. كان يجد نفسه منجذباً لفتيات الغريبات، ولكنه فقد صوابه عندما أصبح لشقيقه صديق (Boy friend) يدعى «عبد»، كان الجنس قبل الزواج أمراً لا غبار عليه بالنسبة له، ولكن ليس بالنسبة لأخته. كان المعتقد أن شرف العائلة ذا الأهمية التقليدية القصوى، يكون قد تلطم قبل قابلية الإصلاح في نظر مجتمع المسلم العربي على يد أبنة أو أخت حاربت الجنس قبل الزواج. وقد هاجم بوروي «عبد»، وسكبن ودخل السجن لتعصير الفتاة، وتوفيت والدته بسبب سرطان الثدي. ثم أدار بوروي ظهره لما أصبح لا يحبّه سوريكيت أوروبية خاضعة لحبيته وإرثه

كتاب الزاوية



رسالة ابن فضلان

في وصف الصقالبة

منذ مطلع القرن الثالث الهجري (٩٧٧ م تقريباً) كثرت لدى شعوب الدول الإسلامية المترامية الأطراف الكتب الموضوعية في أدب المسالك والممالك أو ما يمكن تسميته أدب الرحلات حسب المصطلح المعاصر. وكتب الرحالة المسلمون العديد من الكتب التي تصف ما شاهده سواء الأماكن أو الشعوب وعاداتها وتقاليدها وعقائدها. واشتهر منهم العديدون مثل الكندي واليعقوبي وقدامة بن جعفر وابن حوقل وأحمد بن فضلان الذي زار بلاد الشمال الأوربي بين عامي ٩٢١ و٩٢٤م ووصفها وصفاً دقيقاً في كتابه المعروف باسم «رسالة ابن فضلان».

وابن فضلان هو أحمد بن عباس بن رشيد بن حماد العالم الإسلامي الذي سافر كضوء في سفارة الخليفة العباسي المنتصر بالله أبا الفضل جعفر بن الخليفة المعتضد الذي تولى الخلافة عام ٩٠٨ ميلادية. وقد وصل هذا الخليفة كتاب من ملك الصقالبة المش به ليطوار يطلب منه أن يرسل إليه من يفقه في الدين ويعرفه شرائع الإسلام وبناء على ذلك تكون وقد رضى ضم ابن فضلان. وقد عانت المخطوطة التي كتبها ابن فضلان عن الرحلة أي قبل ١٠٨٠ عاماً من الترحال والنسخ والنضاج والنقل. كما يشير الدكتور الكاتب والأكاديمي الفلسطيني المقيم في النرويج د. أحمد أبو عطر على موقع ديوان العرب الإلكتروني. وتولى زمام المبادرة في جمع وتحقيق المخطوطة الباحث النرويجي بيير فرانس عام ١٩٥١ وفي نفس الوقت كانت هناك جهود عربية من جانب الدكتور سامي الدهاش عضو الجمع العلمي العربي بدمشق. وكذلك الباحث التركي زكي وليدي طونجان. وتشر «وجهات نظر» بعض مقتطفات من الرسالة.

Eurabians، إلى أن «زيادة عدد الأوروبيين المسلمين تعني زيادة عدد الإرهانيين»، فإن رمضان، يعتقد أنه كلما زاد عدد الأوروبيين المسلمين كلما قل احتمال أن يصبحوا إرهانيين ويعتلق المؤمنون - وليس أناس مثل محمد بويري، وثيو فان جوخ، و- ربما - آيان هيرسي على - فإن الأوروبيين المسلمين يمكن أن يكونوا مسلمين صالحين و- في الوقت نفسه أوروبيين صالحين (يعتمد هذا الملخص القصير لأراء رمضان، على محاضرات سمعته يلتقيها كزيميل زائر في كلية سان أنطونيو St. Anthony، بجامعة أوكسفورد حيث سيصبح الآن زميلاً باحثاً طوال العامين الأكاديميين القادمين ومرتبطة بـ «مركز الدراسات الأوروبية European Studies Centre، ومركز الشرق الأوسط Middle East Centre». لقد أدى الجدل الشديد حول «رمضان» إلى شموله بأنه لم يعد مرحباً به في معظم المناطق الأوروبية المتحدثة بالفرنسية، وإلى عدم حصوله على تأشيرة دخول للولايات المتحدة لشغل مقعد دائم في جامعة نورثام Notre Dame، ومن محاضراته المصنفة حول الجدل بشأن الشريعة الإسلامية، أن تكون مسلماً أوروبياً: دراسة للمصادر الإسلامية في السياق الأوروبي To Be a European Muslim: A Study of Islamic Sources in the European Context.

وفي النهاية فإن ذلك يمثل تحدياً للمجتمعات - وكذلك الحكومات - الأوروبية. فهي سبيل المثال، فإن جزياً كبيراً من التمييز في فرنسا يرجع إلى قرارات فردية اتخذها أرباب أعمال بالخلافة للسياسة العامة السائدة وقوانين البلاد. إن المواقف والسلوكيات الشخصية لمئات الملايين من الأوروبيين غير المسلمين، أثناء التعاملات اليومية الصغيرة التي لا حصر لها، هي التي سوف تقدر ما إذا كان مواقفهم المسلمون سيبرون في الحسبان بأن أوروبا هي وطنهم أم لا. وبالتالي فإن ذلك سيعتمد أيضاً على الخيارات الشخصية لملايين من المسلمين الأفراد والقذوة التي سيقدمها قادتهم الروحانيون والسياسيون.

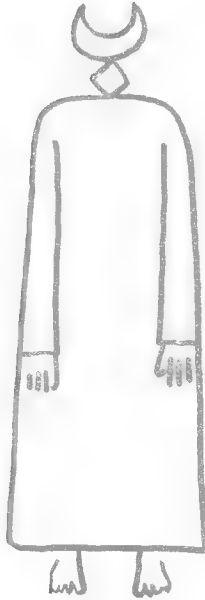
هل من المتوقع أن ينجح الأوروبيون في مواجهة التحدي؟ أخشى أن الإجابة ستكون بالنفي. هل ما زال ذلك ممكناً؟ نعم. ولكن لم يعد هناك متسع من الوقت. ■

الترسة من العمالة الماهرة منخفضة الأجر هي أسوأ وانكسارات التمييز القائم على زهاب الأجانب في العديد من الدول الأوروبية. أما ظروف الإسكان فهي مصدر رئيسي آخر للشكوى. ومع ذلك فإن محاولة علاج ذلك عن طريق الإنفاق العام سوف تضخم من الميزانيات المتضخمة بالفعل. ولو استقر الرأي على معالجة الأمر على حساب السكان المحليين، فإن ذلك يمكن أن يترجم إلى مزيد من الأصوات للأحزاب الشيعية المعادية للمهاجرين.

إن مشكلة أوروبا مع مسلميها المهاجرين وأوضاع ناس الوسط، ستظل موجودة حتى لو كانت هناك دولة فلسطينية مستقلة مزدهرة، وحتى لو لم تقم الولايات المتحدة وبريطانيا ويهض الدول الأوروبية الأخرى بغزو العراق ولكن ليس هناك من شك في أن القضية الفلسطينية وحرب العراق قد رافقا من إحساس مسلمي أوروبا بالظلم العالمي، ويتصنع ذلك بجملة في السير الذاتية لمجبري مدريد ولندن، وفي استطلاع حديث أجرته القناة الرابعة في التلفزيون البريطاني. وأقوى ما يقارب ثلث الشباب المسلم المشاركين على الرأي القائل بأن تفجيرات يوليو التي وقعت في لندن كان لها ما يبررها بسبب الدعم البريطاني للحرب على الإرهاب (يمكن الرجوع بهذا الشأن ولزيد من التفاصيل عن تغريب الجبل الأصغر من المسلمين البريطانيون إلى مقالتي في «الحارديان» The Guardian، ١٠ أغسطس ٢٠٠٦). إن إقامة دولة فلسطينية حقيقية وسحب القوات العربية من العراق سوف يصبو - على الأقل - اثنين من مصادر الشكوى. أما الهجوم على دولة مسلمة أخرى - مثل إيران - فسوف يزيد من تنافس المشكلة.

من المنطقي في علاقتنا مع الإسلام كدين أن نشجع النموذج الإسلامي الذي يتوافق مع مبادئ أوروبا العصرية المتحررة الديمقراطية. ومن الوازد وجود هذا النموذج، حسبنا يؤكد إصلاحيون إسلاميون مثل طارق رمضان، وهو شخصية أخرى مثيرة للجدل لا تحظى بثقة آيان هيرسي على، أو اليسار الفرنسي أو اليمين الأمريكي. وإن كانت تفضي قبولاً واسعاً بين الكثير من الشباب الأوروبي المسلم، يؤكد رمضان، أن الإسلام - إذا ما فسر على الوجه الصحيح - لا يجب أن يتعارض مع أوروبا الديمقراطية. وبينما يلحح الـ «عوريون

”الإنسان الإسلامي“



زكاري لوكمان

■ كانت طرق تحليل وتحليل وتصوير الشرق عند الباحثين والكتاب والمثابمين الأوروبيين في القرن التاسع عشر متشابكة غامضا بطرق معقدة مع واقع السلطة الأوروبية المتنامية على تلك الشعوب والأراضي. ولكن هذا لا يعني أن كل مستشرق كان عميلا واعيا للاستعمار أو أن كل إنتاج بحثي أو فني للاستشراق قد استعمل في تبرير الاستعمار أو إضفاء الشرعية عليه. فكما سنرى. لم يكن هناك امدا موقف أوروبي موحد بالكامل تجاه الإسلام أو المسلمين أو الشرق أو الاستعمار. ولكن في نفس الوقت افاد التوسع الدرامي للقوى الأوروبية في امتدادات واسعة من العالم الإسلامي في دعم مقدمات منطقية أو افتراضات معينة وطرق معينة في فهم وتصنيف الإسلام والشرق (ما بالإضافة للعرب) على حساب غيرها. وهذا بدوره رجع تعريف الباحثين لما كانوا يسمونه والأسئلة التي يطرحونها. بطرق معينة على حساب غيرها. مما أدى إلى إنتاج تصورات افادت بدورها في دعم افتراضات مسلم بها عن مصادر وطبيعة التفوق الغربي وتلخف الإسلام وتدهوره. يتمثل أحد العناصر الأساسية في فكر التيار الأوربي الرئيسي في القرن التاسع عشر (ثم الأمريكي لاحقا) عن الشرق في تصور معين عن الشرق بين الشرق والغرب فالى جانب افتتان القسام من الحركة الرومانتيكية بمحاصن الشرق. تطور شعور واسع الانتشار (ولكنه بالطبع لم يكن عاما) بأن الغربيين مختلفون جوهريا عن المسلمين وعن كل آخر، أصبح يعرف الآن باعتباره غير- غربي. ومتفوق عليهم وقد لخص مكسيم رودنسون بشكل رائع هذا التحول في المواقف الأوروبية، ربما كان الشرقي يوصف دائما بأنه عدو همجي. ولكن في العصور الوسطى كان على الأقل على نفس مستوى نظيره الأوربي وبالنسبة لمكثري التنوير وایدولوجي الثورة الفرنسية. كان الشرقي قبل كل شيء رجلا مثل أي رجل

من كتاب

تاريخ الاستشراق وسياساته

الصراع على تفسير الشرق الأوسط

رکاری لوكمان

ترجمة: شريف يونس

القاهرة. دار الشروق. ٢٠٠٧

Contending Visions of the Middle East
The History and Politics of
Orientalism
by: Zachary Lockman
Cambridge University Press, 2004

آخر، برغم كل غرأته في المظهر واللباس ولكنه في القرن التاسع عشر أصبح شيئا مضملا تماما. متفقا عليه بإحكام في خصوصيته الخاصة. وإن ظل مستحقا لنوع من الإعجاب الحاذق. هذا هو مصدر «الإنسان الإسلامي، homo islamicus»^١. وهو تصور مقبول على نطاق واسع حتى في يومنا هذا^٢.

وعند رودنسون يشير مصطلح «الإنسان الإسلامي» إلى اعتبارا لمسلم يوعا خاصا من البشر، مختلفا خصوصا عن «الإنسان الغربي». وكما ناقشت سابقا، كان الأوروبيون الغربيون يتجهون إلى اعتبار أنفسهم متميزين إلى حضارة متميزة وفريدة. هي «الغرب»، مختلفة جوهريا عن كل حضارة أخرى، بما في ذلك الإسلام. كان الأساس الذي شيدت عليه هذه الرؤية للعالم هو المقدمة المنطقية القائلة بأن الكيانات الأساسية التي ينقسم إليها النوع البشري ليست سوى السدول أو الإمبراطوريات، وإنما حضارات، لكل منها جوهريا المتميز وقيمها الداخلية الفريدة التي شكلت بقوة وعن الأفعال من يخضعون لها. وعلى ذلك كان التاريخ الإنساني من حيث الجواهر هو قصة صعود واضمحلال الحضارات.

كانت رؤية التاريخ كتتابع للحضارات (وللإسلام كحضارة كانت يوما عظيمة، تتحلل الآن) مقبولة على نطاق واسع في القرن التاسع عشر، وما زالت قوية حتى يومنا هذا. كانت هذه الفكرة مركزية في فكر الفيلسوف الألماني الواسع التأثير جورج هيجل فريدريش هيجل (١٧٧٠ - ١٨٣١). صور هيجل تاريخ الإنسانية كقصة تتابع صعود وسقوط حضارات، ساهمت كل منها بشيء من روحها أو «عشيرتها» الخاصة الفريدة، ثم انصهرت وبالنسبة لهيجل تكشف هذا عن الصيرورة التي تحرك وفقا لها ما أسماء «الروح المطلق» - وهو مصطلحه الذي يطلقه على كل ما هو واقعي في كنيته، وهو فعليا نوع من إعادة المهمة الفلسفية لله بشكل جدلي نحو الوعي الذاتي. تحرك المنحني التاريخي للروح المطلق. فيما رأى هيجل، من الشرق إلى الغرب، من طفولته في الشرق عبر اليونان وروما إلى البيدوغ مع صعود الشعوب الجرمانية. وفي الطريق ساهم اليهود بمقيدة التوحيد، أي الإيمان بأنه واحد كلى القدرة والعلم بدلا من تعدد الآلهة. بينما كان دور الإسلام الصغير نسبيا هو الحفاظ على تراث الحضارتين الإغريقية والرومانية وتسليمه إلى أوربا، ثم أخذ يذوي في شيخوخته. أما الآن، أي في القرن التاسع عشر، فقد اختفت كل الحضارات الأقدم أو هي في طور التحلل، ولكن الروح المطلق استطاع أن يحقق تعرفه الكامل على نفسه في العرب

ربما كان الشرقي يوصف دائما بأنه عدوهم جدي، ولكن في العصور الوسطى كان على الأقل على نفس مستوى نظيره الأوروبي



الحديث ويشكل أدق في بلد هيجل، ألمانيا.

ولكن حتى ما كانوا أقل ميلا إلى الحطحات الفلسفية التاريخية النخبة، قبل كثير منهم أن الحضارة هي الوحدة الأساسية للتحليل التاريخي، وتنبؤوا حدوث الحضارة التي اصططحو على حضرة عالمهم حتى اليونان القديمة التي اعتقدوا أن الكثير من القيم والمعتقدات المركزية التي رأوا أنها تميز خصائص الحضارة الغربية - بما فيها الحرية والديمقراطية والسطوة على القانون والعقلانية - قد برز على المسطة ولعلم الأولى في التاريخ الإنساني هناك. كان الإيمان البراسع بهذا هو الذي أتاح للفيلسوف والاقتصادي الإنجليزي جون ستوارت مل John Stuart Mill (1806 - 1872) المزج بين «مدرسة المارشالون Murathon» من هزم الإغريق الفرس عام 190 قبل الميلاد، أكثر أهمية، حتى كحدث في التاريخ الإنجليزي، من معركة هاستينجس Hastings، حين هزم النورمان الغزاة الأنجلو - ساكسون عام 1066 م (3).

كان لهذا التأكيدي معنى عند ميل (وآخرين) لأنهم اعتبروا أنها في القرن الخامس قبل الميلاد سلفا مباشرا وضرويا للثقافة والحضارة الإنجليزية في القرن التاسع عشر، وهو منظور من شأنه أن يستبعد الكثير ما حدث على مدار الخمسة عشر قرنا الفاصلة بين الحديين، ويجعل كثيرا من العوامل والصورات الأخرى التي شكلت التطور التاريخي لإنجلترا غير مرئية أو غير مهمة.

وقد كتب كثير من المؤرخين والفلاسفة زكى مشابهة حتى فترة متقدمة من القرن العشرين. فقد تتبع الفيلسوف، أوزوالد شينجلر Oswald Spengler (1880 - 1936)، الذي طبع كتابه التوسع التاريخي «انحلال الغرب»، The Decline of the West، في الحرب العالمية الأولى، ما اعتبره نوعا من التطور الحضاري المختلف على تعقل إلى الذروة في الغرب المعاصر، الذي رأى أنه يدخل الآن المرحلة الأخيرة من تطوره.

أما أوزوالد توينيس Arnold Toynbee (1884 - 1975)، وهو مؤرخ بريطاني بارز تأثر بشينجلر وكان أدرك كبيرا على يهضة من المؤرخين بأن هيلم بعض من كتبها عن الإسلام وأشرق الأوسط، فقد قبل الفهمدة التاريخية القائلة بأن الحضارات التي رأى أنها كيانات ثقافية كبيرة متماسكة ومستقرة نسبيا، هي وحدة الحقيقة الحقيقية بالنسبة للمؤرخين. ففي كتابه البارز الكون من 12 جزءا بعنوان دراسة في التاريخ، A Study of History، (الطبعة الأولى 1934، 1961)، أوضح بمراسة مقارنة لأحدى وعشرين حضارة (تشمل الإسلام) في التاريخ المكتوب، تمثيلًا لشأنها وتطورها، ومزايا انصالحها.

النهائي إلى عدم قدرته على الاستجابة بشكل كاف للتحديات الأخلاقية والدينية ورغم أن العديد من الباحثين قد انتقدوا ميل ويونبي إلى إصدار تعميمات تاريخية كسحة، وقرأته للمناخ وفقا لخطوط ثابتة من الغالبية المسيحية سوف ذرى لاحقا أن كثيرا من جوانب منهجه قد ظلت مؤثرة حتى يومنا هذا.

اعتبر المستشرقون والأخرون الذين سلخوا بهذه الرؤية للتاريخ الإنساني أن الحضارة الإسلامية قد برزت شاة وقوية في القرن السابع، ووصلت إلى ذروة قوتها السياسية والعسكرية وحدها الثقافية (عصرها الذهبي) في القرون الثامن والتاسع والعاشر تحت حكم العباسيين الذين كانت عاصمتهم بغداد. ثم فقدت تدريجيا عافيتها وقدرتها على الإبداع الثقافي وإحليتها لاستيعاب الأفكار الجديدة والتأثيرات الثقافية والاقتناء بها. ويشكل المعنويون نوعا من الزهرة الأخيرة، الاندفاع نحو التوسع الإقليمي وربما الأذهار الثقافي، قبل أن يستأنف انحدار الحضارة الإسلامية مسرع الفئيد. ووفقا لهذه الرؤية أصبح الإسلام بشكل متزايد أكثر تعصبا وأقل مرونة وأقل استبدادية وأقل تسامحا وأكثر عدا للثأثيرات الخارجية، وأثبت بذلك عدم قدرته على استعصام الأفكار والتقنيات التكنولوجية الجديدة التي تطورت في مكان آخر، هو الغرب، ومجاراتها. فيها كان الغرب يدفع إلى الأمام، امتزج الإسلام إلى ركود اجتماعي وثقافي واستبداد سياسي.

اسلحا مع هذا التفسير للتاريخ، مال الباحثون المستشرقون الأوروبيون في القرن التاسع عشر إلى التركيز على ما اعتبروه العترة، اللاسيكية، للإسلام. من ظهوره وحتى الفترة التي يقترض أن وصل فيها إلى ذروته وبلغ أكثر أشكاله نقاء، فكل ما تلا ذلك اعتبر أقل قيمة. وفي أقل فترة من انحدار وانحلال، أو على الأقل فترة تجمد وركود ثقافي واجتماعي، ووفق ذلك، قادت رؤية الأحكام كحضارة متماسكة ومتميزة، وحادية الثقافة من حيث الجوهر، كثيرا من المستشرقين إلى الزعم بأن الأفكار والمؤسسات السائدة في كل المجتمعات الإسلامية، وطريقة سلوك وتفاعل المسلمين في كل مكان زمان، هي في العمق نتاجات من جوهرة ثقافي التي للإسلام، وقيمه وأفكاره الأساسية، التي يمكن فهمها على أفضل نحو بدراسة نصوص فترة الإسلام المبكر، وبالتالي مال الباحثون المستشرقون إلى الاعتماد بدرجة أقل على اختلافات التفكير والسلوك في المجتمعات الإسلامية من مكان لآخر وتفرغها عبر الزمن - أي أقل اهتمامها بالتأثير والتعدد الدافين في المعتقدات والممارسات الإسلامية - أو بما فعله

المسلمون وفكروا حقيقة واقعا عاشوا، وبكلمات أخرى، كانت القيمة المنطعية الصريحة أو الضمنية في البحث الاستثنائي في معظم القرن التاسع عشر تقول إن هناك بالفعل، إنسانا إسلاميا، homo islamicus مميزا، لم يدرجه أو باخري تركيب يعني ثابت مختلف جوهريا بل ويشكل القضيض المطلق لتكوينه، الإنسان الغربي، ويمكن التعرف على الخصائص الجوهري لأعضاء هذا الجنس الفرعي من البشر باستعمال مناهج الدراسة العلمية لنصوص أساسية معينة. اعتبر أنها تضم المبادئ الأساسية للحضارة الإسلامية وطبيعي أنهم وضعوا القرآن في الصف الأول بين هذه النصوص، يليه مجموعة محدودة نسبيا من كتابات دينية وأخرى فلسفية وقانونية صدرت عن الشخصية المتعلقة قبل أن يبدأ اصطلاح الإسلام وفد أن الباحثون بدأ بقصدهم من خلال دراسة هذه النصوص الأساسية - يستنبطوا خصائص، المثل الإسلامي - على أساس الافتراض أن كل المسلمين، منذ ظهور الإسلام إلى الوقت الحاضر، كانوا مقيدون بالتفكير والإيمان والعمل داخل الحدود الصارمة التي وضعها الطبيعة الجوهري للحضارة التي انتموا إليها وتتمثل خلاصة سيادة هذا النموذج والمناهج الفلسفية التي تشكل أساسه في أن جميع حق الاستراقع مع الزمن حلالا معزولا للغاية ومعطولا على نفسه وغير رافع أو قادر على التغير لكي يسل إلى إدراك أفضل للعالم المتغير والمتطورات الثقافية الجديدة، ورغم المعرفة الهائلة التي تميز بها أفضل ما حاشي الاستراقع في القرن التاسع عشر وإسهاماتهم بالغة الأهمية في دراسة الإسلام.



على ذلك تشكل الاستراقع في سياق من التراجع عن شمولية التفكير عند كثيرين في أوروبا والتأكيد الجديد (أو الجديد) على التفوق بين الشعوب والحضارات، في هيراريكية جديدة للتقدم البشري يوضع فيها الغرب الحديث على القمة. وشبهتة أكثر القرن التاسع عشر استعمل هذا المنظور بشكل أكثر شيئا بكثير من كيفية انقسام البشرية. مذكور باختصار في العمل الثاني فقد بدأ بعض المفكرين الأوروبيين والأمريكيين يرون، بتأثير تعبير مفقود، مع نظرية تشارلز دارون Charles Darwin عن نشوء وانتقاء الأنواع كنتيجة للقاءات الطبعي، وتأثير السخرية الناعقة للاستعمار الأوروبي، أن القوى العترة الثقافية والسياسي ليس بساعة نتيجة القيم والمؤسسات المتوقعة

للك الحضارة والتي ربما تستعجب الشعوب غير الغربية بالإرشاد السليم أن تنسجعيها في النهاية - وأما بالآخرى نتيجة لخصائص البيولوجية العنصرية المتوقعة للعصر، الأبيض، - الذي سلم غالبا، الأري، أو، القواربي، ووفقا لهذه الرؤية، التي أصبحت مقبولة على نطاق واسع عند علماء ومنطقيين محترمين، شكلت جانبا كبيرا من البحث الأكاديمي، تكون البشرية منقسمة بشكل طبيعي إلى جماعات بيولوجية متميزة ومزينة بشكل هرمي بين أعراق رفيعة وأخرى دنيا وأسايد الذين اعتبروا متميزين على أساسهم بيولوجيا، التي طبيعتها هي العرق الأبيض في الكفاء والقدرة على إقامة حضارة - وهو نظام التصنيف على الحكم الاستعماري الأوربي يبدو بالطبع طبيعيا وحتميا. وكما قرر صحفي أمريكي شعبي، هو لوثروب ستودارد Lothrop Stoddard في كتابه الصادر في 1911، اند الصاعد اللون ضد السيادة البيضاء على العالسم The Rising Tide of Color Supremacy Against White World-Supremacy.

من طلال ما قبل التاريخ سرزت العناصر البيضاء إلى المقدمة، وأثبتت طريقا لا تخصص صلاحيتها للهيمنة على الشعوب البشري، لقد شكلوا بالتدريج حضارة متعززة، ثم حين أتيح لهم فرضهم الفردية للهيمنة على المحيطات قبل أربعة عشر، انتشروا على كل أنحاء الأرض، فهاذا، أمكانها الخالية بديتهم المتوقعة، وصلوا لأنفسهم الشق في العدد والسيدة... أخيرا توجت الكوكب تحت هيمنة عرق واحد بعنصرية مشتركة -

ويرغم أن الأمر لم يطل يوما من وجود كثير من الباحثين وفكرهم أدانو العنصرية البيولوجية بأعشارها على طبعية وعشبية، كان جانب كبير من الخطاب الأوربي - الأمريكي أو أواخر القرن التاسع عشر وأول القرن العشرين من العالم - بما فيه الشرق الإسلامي - يندرج تحتها مختلفة الانحلال العنصرية، كما أن معظم من رفضوا عنصرية بيولوجية صريحة قبلوا مع ذلك ادعاء طويل العمر وأسس الانتشار يقول بأن الأقل تنشخص وتعتصم الجماعات البشرية والأعراق والشعوب والحضارات المختلفة من حيث صافياتها الثقافية الثابتة بدرجة أو باخري، وهو ادعاء طل له لعودة حتى يومنا هذا.

إرنست رينان والمجازورة

لكي نهم بشكل أفضل هذا الادعاء، لكي يرى البعض أن ركزي في استراقع القرن التاسع عشر، والمؤرخين ندرك بعض الأفكار الواسعة

كل من زاروا الشرق أو أفريقيا صدمتهم الدوائر الحديدية التي تحيط برأس المؤمن الحقيقي وتحدد من عقبله بشكل كامل، بما يجعله مغلقا بشكل مطلق أمام المعرفة



في بعض الحالات، فقط ببعض المكاء،
ويصبح مقصدا ضيق الأفق. إنسانا أيا
خاصا تماما بتعاليم إيمانته، التي اعتقد
رئيسنا أنه يمكن استيعابها منصوص
الإسلام الرئيسية. وكان الإسلام عند رئيسنا
مضادا للحقلانية والعلم بطبيعته وبشكل
أبدي: فهذا متناصل في قلبه ذاته، في
جوهره، ولا يمكن أن يتغير.

وبمعنى ريمان متناصلا، كيف يمكن إذن
أن نفهم عبقرية العلم والفلسفة والإسلاميين في العصور الوسطى، حين
كانت الحضارة الإسلامية - تلك الغروب
المسيحي؟ تناول رئيسنا ليد المشكلة
بالتأكيد على أن الإسلام كان في البداية
من إنتاج العرب البدو، الذين كانوا مثل
غيرهم من الساميين، يفتقرون تماما إلى
أي اهتمام بالفلسفة والعلم، وفيما بعد،
خلال العصر العباسي، برزت الحضارة
الفارسية القديمة والمعرفة اليونانية
الفينيقية التي احتفظ بها المسيحيون
الحاليون تحت القشرة الإسلامية واتسعا
ازدهار الفلسفة والعلم والثقافة. ويرى
رئيسنا أن الخلفاء الذين أضفوا رعايتهم
على هذا الزاد الثقافي والعلمي يصعب
أن نساهم مساهمة... لأنه برغم أن هذه
الحضارة استعملت اللغة الفارسية، فإنها لم
تكن حقا عربية، وإنما كانت أساسا إفريقية
وفارسية - أي، أريية.

ولكن حينئذ نفد، مغلغل الإنسانية،
أدى أضاء لحظة بسطوع بالغ في الشرق
ونقل إلى أيد أخرى... كان غرنا هذا
يستيقظ بقفزة تامة من سباته... وحدث
أوروبا عبريتها، وبدأت ذلك التقدم العائق
للعادة، الذي سيكون حده الأقصى هو
التصحر الكامل للنوع البشري، سرعان ما
أنتى، المسيحيون، ليسيطر على معظم
الأراضي الإسلامية ويتسبب في نشر
شامل لغزو الكفار في الروح الفلسفية
والعلمية، فيذهبها إلى الانحطاط
القطبي. وعلى ذلك كان العرب بالتمسك
لرئيسنا كما هو الحال بالنسبة لكثير من
المكرين التاريخيين والاجتماعيين
الأوروبيين المعاصرين، بل يمس دوا تصميرا
أساسيا؛ فبعد اعتبار العرب العربي قادر
بشكل متناصل على التفكير الفلسفي
والعلمي، أو على محاكاة له، وكان الأتراك
بالمثل معوقين، ولكن العصور والإبداعات
استمررا في الأذهان بين المثقفين الغربيين
(الأوروبيين) حتى بعدما أصبحوا مسلمين
وعلى ذلك لا يهتم رئيسنا بما كان الفلاسفة
والعلماء المسلمون العظام في القرون
الوسطى يعتقدون فيه بشأن الفلسفة
إيمانهم واستخدامهم للعقل. فالإسلام
عنده بالتعريف وفي كل زمان ومكان

الانتشار في العرب في الإسلام، يمكن أن
نعود إلى إرنست رينان Ernest Renan
(1823 - 1892). ففي النصف الأخير من
القرن التاسع عشر كان رينان يعتبر على
نطاق واسع أبرز فيلولوجي وباحث في
الآداب في فرنسا. وبرغم أنه كتب أساسا
عن المسيحية واليهودية ولم يتلق تدريبيا
على الاستشرق أو يعتبر مستشرفا، فإن
منظوره عن الإسلام والعالم الإسلامي -
الذي عبر عنه بوضوح شديد وبطوة في
محاضرة مارسيلون عام 1883 بعنوان
الإسلام والعلم، Islam and Science
جاءت أدائها على نطاق واسع، وبالتالي
قد تشكلت هذه المحاضرة من أن تسترف
بوضوح على كيفية فهم كثير من
المستشرقين (ومثقفين آخرين، وكذلك
الموظفين الحكوميين والجمهور المثقف)
للإسلام والعالم الإسلامي المعاصر في تلك
الفترة.

فبرغم أن رينان بدأ محاضراته منتقدا
من يتكلمون عن الأصراق والأمم كما لو
كانت مفولات مصمتة وغير متغيرة، فإن
مناقشته لم أساء، التمتني الواقع لبلدان
الحديثة، والخطوط الدو التي يحكمها
الإسلام، والطور، المعكري للأعراق التي
تصل على ثقافتها وتصلبها من هذا
الدين وحده، كانت جوهرانية دوسوح.
بعضنا الأصناف على رؤية للإسلام كتيار
مصمت وحدى له جوهر أو شخصية في
متغيرة، تسيطر فوق ذلك، بالكمال على
الحياة العلمية والسياسية والاجتماعية
للمسلمين في كل مكان.

كل من زاروا الشرق أو أفريقيا صدمتهم
الدوائر الحديدية التي تحيط برأس المؤمن
الحقيقي وتحدد من عقله بشكل قاتل، ما
يجعله مغلقا بشكل مطلق أمام المعرفة.
غير قابل على تعلم أي شيء أو الانصاف
على أية فكرة جديدة، أو الفلسفة التي يحكمها
(المسلم - ت) منذ نشأة الدين في سن
10 و 1 سنة، والذي ربما كان يتسبب في
بعض الحالات بقدر من الدكاء حتى ذلك
الحزن، يصير بجمرية واحدة متصمبا،
بلينا بالجميع كتيار في مسارات ما يؤمن بأنه
الحقيقة المطلقة، سعيدا بما يحيط به كما
لو كان يحوز امتيازنا خاصا... (المسلم) لديه
اعتق الأزواء لتعلم، لتعلم، لكل شيء
يكون الروح الأوروبية. إن هذا الجبل القطبي
الذي يطعمه الإيمان الإسلامي في الدهن
قوى للعلم، إحيات تختص في كل الخلافات
بين الأعراق والقوميات مع التحول إلى
الإسلام

وجدير بالملاحظة أن رينان يتكلم بشدة
هنا على مسألة عمله، كالمعدي، بالمرء
أصلي المسلمين جميعا في كل مكان متماثلون
عنده من حيث الجوهر. فيمجرد أن يصبح
المرء مسلما، يقدرا رؤيا فيما يبدو كل فرد
التفكير التي يمكن أن يكون قد ولد بها (وهو
أن الأطفال المسلمين عند رينان يولدون

رؤى رينان محل إجماع، حتى بين باحثي
الإسلام المعاصرين له. فمثلا كان إجنار
جولدتسيهر Ignaz Goldziner (180 - 1911)
وهو باحث من أصول مجرية
يهودية وأحد أبرز مؤسسي الدراسات
العربية والإسلامية الحديثة، يتفق بقوة
ما اعتبره من جانب رئيسنا الأخلاقي
منتقضا بلا أساس عن التثني الأخلاقي
والثقافي والتفكري للشعوب، الساميين،
اليهود وكذلك العرب، ورفض ادعاه على
كل جماعة إثنية أو عرقية تشكك روحا
وعقلية فريدة يمكن أن تُنسب إليها
إلا إلى الخنثائية (أو انقراضها المزعوم
إلى الخنثاءات).⁽¹⁾ بالسؤال على
جولدتسيهر أن أصول وتطور الحضارة
الإسلامية يجب أن تدرس بالضرورة
الطبيعية للنسب الأصلية في سياقها
التاريخي. وقد قدر هؤلاء الدين اعتمادا
هذا التوجه، ومنهم الكثير من الباحثين
في وسط أوروبا (وغيرهم أيضا)، أن يشكلوا
تيارا مؤثرا داخل الاستشرق الأوربي في
القرن العشرين.

غير أن آراء رينان وأصحابها أيضا نفعوا
الحداد آخر، حين سخر رئيسنا من
الغيباءيين، الدلائل الذين يدعون عن
تأريخنا داخل الاستشرق الأوربي في
القرن العشرين.
غير أن آراء رينان وأصحابها أيضا نفعوا
الحداد آخر، حين سخر رئيسنا من
الغيباءيين، الدلائل الذين يدعون عن
تأريخنا داخل الاستشرق الأوربي في
القرن العشرين.
غير أن آراء رينان وأصحابها أيضا نفعوا
الحداد آخر، حين سخر رئيسنا من
الغيباءيين، الدلائل الذين يدعون عن
تأريخنا داخل الاستشرق الأوربي في
القرن العشرين.

في هذا الاتجاه، كان في ذهنه أنذاك أناس مثل ريمو ساكوان
Wilfred Scawen Blunt (180 - 1922)
وهو رجل إنجليزي اهتم بالإسلام
وعارض بشدة احتلال بريطانيا لعصر في
1882، والاستعمار البريطاني لأيرلندا
والهند. رأى بلنت أن الإسلام يتفق مع
العقل الإنساني ويمكن أن يمد تفسيره.⁽²⁾
يخدم احتياجات المسلمين المعاصرين.⁽³⁾
كانت الأفكار التي عبر عنها رئيسنا إلى حد
بعض أفكار المثقفين المسلمين الذين اتصل
بهم من غرب، ففي أواخر القرن التاسع
عشر كانت هناك مناقشات عبرية بين العالم
الإسلامي حول كيفية مقاومة التدخل
الاستعماري الأوروبي ويمكن
للمسلمين أن يتعلموا بالعلم والتكنولوجيا
الأوربيين. وكذلك من التقاليد الإسلامية،
ليستطيعوا مواجهة التحديات التي تواجه
مجتمعاتهم.



وكان المسلمون المتعلمون أيضا يزدادون
علما بما يقولوه الأوروبيون عنهم، وفي
الإسلام، وحاول بعضهم أن يجعل منظوره
الخاص يؤخذ في الاعتبار، في الواقع لم
تدع، أقوال رئيسنا عن الإسلام مغلقا بلا
صدى. ومثقفوا وأكاديميون في محاضرات
في السويدون نشرت صحيفة فرنسية
خطا في أن نشاط قيادي مسلم كان يعيش
في باريس وقابل رئيسنا لتكلم فيما
بينهما، وهو جمال الدين الأفغاني (1848 /

كتاب الزاوية



رسالة ابن فضلان

روس كأنهم النخل

قال أحمد بن فضلان: ورأيت الروسية وأهوا هي تجارتهن ونزلوا على «نهر إتل» فلم أر أتم أبدأنا منهم كأنهم النخل. شقر حمر. لا يلبسون القراوق ولا الخفافين ولكن يلبس الرجل منهم كساء يشتمل به على أحد شقيه. ويخرج إحدى يديه منه. ومع كل واحد منهم قاس وسيف وسكين لا يفارقه جميع ما ذكرنا.

وسوفهم صفائح مشطبة أفريقية. ومن حد ظفر الواحد منهم إلى عنقه مخضر شجر وصور. وغير ذلك. وكل امرأة منهم فعلى ثديها حقة مشدودة إما من حديد وإما من فضة. وإما من نحاس. وإما من ذهب. على قدر مال زوجها ومقداره. وفي كل حقة حلقة فيها سكين مشدودة على الثدي أيضاً. وهي أعناقهن أطواق من ذهب وفضة. لأن الرجل إذا ملك عشرة آلاف درهم صاع لامراته طوقاً، وإن ملك عشرين ألفاً صاع لها طوقين. وكذلك كل عشرة آلاف يزدادها طوقاً لامراته. فربما كان في عنق الواحدة منهن الأطواق الكثيرة.

وأجل الحلى عندهم الخرز الأخضر من الخرف الذي يكون على السفن يبالغون فيه. ويشترون الخزرة بدرهم. وينظمونه عقوداً لتسائهم. وهم أقدر خلق الله لا يستطيعون من غناظ ولا بول. ولا يتفلسون من جنابه. ولا يفلسون أيديهم من الطعام. بل هم كالحمير الضالة. يعيشون من يلبسهم هيرسون سفهم بإتل. وهو نهر كبير. ويبتون على شطبه بيوتاً كباراً من الخشب.

هوامش

(١) «الإنسان الإسلامي، مصطلح محور من مفهوم شائع هو «الإنسان الاقتصادي». والمقصود بالأخير السفيرة من الخزانة الإنسان في كالي الاقتصادي، يتحرك بدوافع اقتصادية بحتة وعلم تماماً بالاقتصاد. والخصي المقصود هنا هو تلميط مشابه للمسلمين بتصوير كل منهم ككائن إسلامي. أي اختزاله في جملة لدين الإسلام. بصرف النظر عن الفروق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية فيما بين هؤلاء البشر، وسيشرح المؤلف هذا لاحقاً.

(2) Rodinson, Europe, p. 60
(3) نقلا عن خطاب كتبه جون. ر. لير للمصور: The New York Times Book Review, November 1998

(4) Lothrop Stoddard, The Rising Tide of Color Against White World Supremacy (New York: Charles Scribner's Sons, 1921), pp. 299-300. أوصى العنصرية في تلك الفترة بطفر George W. Stocking, Race, Culture, and Evolution Essays in the History of Anthropology (New York: The Free Press, 1968) and Victorian Anthropology (New York: The Free Press, 1987), and Elzari Barkan, Retreat of Scientific Racism: Changing Concepts of Race in Britain and the United States between the World Wars (Cambridge: Cambridge University Press, 1992).

(5) Ernest Renan, The Poetry of the Celtic Races, and Other Studies, trans. William G. Hutchison (Port Washington, Kennikat Press, 1970), p. 6.

(6) Lawrence I. Conrad, "Ignaz Goldziher on Ernest Renan: From Orientalist Philology to in The Jewish Discovery: a Study of Islam, of Islam Studies in Honor of Bernard Lewis, ed. Martin Kramer (Tel Aviv: The Moshe Dayan Center for Middle Eastern and African Studies, 1999) pp.

(٧) للاطلاع على سيرة موجزة لبلنث، انظر: Albert Hourani, Europe and the Middle East (Berkeley: University of California Press, 1980), ch.

(٨) يمكن العثور على النص الكامل لخطاب جمال الدين الأفغاني في: Nikku R. Keddie, «An Islamic Response to Imperialism: Political and Religious Writings of Sayyid Jamal al-Din "al-Afghani"» (Berkeley: University of California Press, 1968) بالذكر أن الأفغاني قد حرص على ألا يترجم أو ينشر خطابه في منطقة الشرق الأوسط. خوفاً من أن يهدم ذلك الرأي العام الإسلامي ويقوم أعداءه السياسية أود أن أشكر جوان كول Juan Cole على أنه ذكرني بهذه النقطة.

٩- ١٨٩٧)، الذي ولد وترى كمسلم شيعي في إيران، وتعلم ليصبح رجل دين شيعياً ولكنه أخفى أصوله وأدعى بالمخالف أنه أفغاني سني لأنه أراد أن يؤثر على العالم الإسلامي السني الأوسع. كان الأفغاني (الذي تعرف عليه جولدستشير أيضاً خلال إقامته في مصر في أوائل سبعينيات القرن التاسع عشر) نوعاً من محرضي وداعية محترفة، لقد ارتحل عبر العالم الإسلامي من الهند إلى أفغانستان إلى إيران إلى الإمبراطورية العثمانية إلى مصر. وكذلك عبر أوروبا، لبحث المسلمين على التحالول لإصلاح مجتمعاتهم ومقاومة التهديد الاستعماري الوشيك.

مدح الأفغاني في خطابه للصحيفة المعرفة الواسعة قريشاً وبصيرته، ولكنه رفض حتمته القابلة بأن عظمة الحضارة الإسلامية لا تدين للخراب بشيء. وافق الأفغاني على أن الإسلام قد حول أن يحدد العلم: فطناً ظلت البشرية موجودة سيطر الصراخ قلما بين العقيدة والبيعت الحرة. بين الدين والعلمية، بين المسلمين كما بين المسيحيين. ولكن الأفغاني وأصل الفلاس، لا أستطيع أن أوقف عن الأمل في أن تنجح المجتمعات الحديثة يوماً في كسر قيودها والسير بعزم في طريق الحضارة على طريقة المجتمع الغربي، الذي لم يكن فيه الإيمان السبيح، ورغم تفضيلي وعدم تضامني، عقيدة منيعة بحال».

بدا رينان ذو على خطاب الأفغاني بوضعه داخل نظام التصنيف العرقي المؤلف: أوصح رينان أن «الشيخ جمال الدين أفغاني متحيز تماماً من تحيزات الإسلام؛ فهو ينتمي إلى تلك العرقي المشعلة لإيران العليا الواقعة على الحدود فوق الهند، التي ما زالت الروح الأرية تزدهر فيها بقوة تحت اللباس الإسلامي السطحي». إنه أفضل إيات تلك الديهيبة العظيمة، التي أعطى عنها كثير. وهي أن قيمة الدين يجب أن تُحدد بقيمة الأعراق التي تكتسبها... الشيخ جمال الدين هو أنشئ حالة يمكن أن نستشهد بها للاحتجاج العرقي على الغلو الديني. وأدعى رينان أنه لم يؤكد أن الإسلام يسير نحو دأما في الجهل، وإنما أصغر على أن البنيات الأرضي الإسلامي لا يمكن أن يتم من خلال إصلاح الإسلام، وإنما من خلال إضعافه، من خلال تحرير المسلم من دينه الخاص، عن طريق التعليم أساساً تماماً مثلما تخطى الأوروبيون عن المسيحية الأرثوذكسية وأمثاها العقل والعلم بدلا منها

إننا لا نعرف ماذا كان يمكن أن يقوله جمال الدين الأفغاني إذا على إرثمت رينان، الذي كانت له إذن الكلمة الأخيرة في هذا الحوار. وبالفعل، رغم النقد المتقطع من المسلمين ومن أوروبيين مثقفين، ظلت آراء مثل تلك التي عبر عنها رينان قوية النموذ إلى فترة متقدمة من القرن العشرين، بين



تضمن حرية العقيدة والتعبير. ولا تأخذ موقفا مناوئا للدين وشعاره كما فهمها وطبقها هو... فقط أقام ديكتاتورية الحزب الواحد (حزب الشعب الجمهوري)... وأعطى لصحوته مفهوما (فاشستيا) أراد فيه للجماهير أن تكون كمثل بلا ملايح بلا معالم بلا أفكار... هأنسى المحاكم الشرعية واستعاض عنها بالقانون المدني السويسري والقانون الجنائي الإيطالي والقانون التجاري الألماني ومنع تعدد الزوجات... حين صدرت هذه القرارات قامت ثورة الشيخ سعيد النورسي في شرق الأناضول ورغم وصفها بالكرديّة الانفصالية فإن أهم مطالبها كانت المطالبة بعودة الخليفة (وحيد الدين) آخر سلاطين بني عثمان... وشملت أيضا الجماعات النقشبندية وبقيت حركات الرهف والماعة هذه مستمرة حتى عام ١٩٣٢... وحين اشتد الضغط عليها اتجهت إلى السرية خاصة بعد المحاكمات والإعدامات.

ولأن القوانين الحمائية أقوى من فعل الأفراد كما يقول ابن خلدون والدين في حياة الأمم من أحتم الحتميات فبعد نصف قرن من هذه التجربة الشاذة بدأ للنخبة التركية أنها كمن كان يشرق أشق على باب مغلق طوال السنين السابقة وأن الخلل لم يكن بين القبعة والطربوش وأن القصة

والغريبة... فما بالك إذا كان هذا الدين هو الإسلام الذي هو بطبيعته طريقة ومنهاج شامل للحياة وما بالك إذا كان هؤلاء الناس هم الأتراك شذبتهم وحدتهم وقوتهم... والغريب أنه أثناء حرب الاستقلال ١٩٢٠ اعتمد أتاتورك على أئمة المساجد في تعبئة الجماهير وتحفيزها... وكان يبيع الزمان النورسي (الكردي) من أوائل العلماء الذي وقفوا إلى جانبه، بل إن رجال الدين أنفسهم ساهموا في التمهيد لحجبه (المؤنبر الأول للجمعية الوطنية كان يضم ٧٣ عالما دينيا من بين ٣٦١... وحين أصدر شيخ الإسلام في الأستانة فتواه المشهورة بتفخيز أتاتورك رد عليه مفتي أنقرة بفثوى مضادة تحمل توقيع ١٥٢ عالما دينيا بتحريض من أتاتورك...).

يضعل أتاتورك أي شيء في سبيل الإصلاح الحقيقي والذي كان المجتمع التركي - كما كل العالم الإسلامي - بحاجة حقيقية إليه. فخلل الريف التركي كما هو على تخلفه وبقره تحت سيطره الأغوات وبقى الأشراف في المدن كما هم يمارسون استغلالهم وتسلمهم... حتى العلمانية المستوردة لم يقد أتاتورك بتطبيقها كما اخترعها الغرب فالعلمانية الغربية كانت تعني التخلص من ظروف الحروب الدينية والتي طأها اصطلت بها شعوب أوروبا. وليست من الدين... وتطورت فأصبحت

اللغة التركية فصدر قانون بالكتابة بالأبجدية اللاتينية ونقيت التركية من الكلمات الفارسية والعربية وأصبح الأذان للصلاة بالتركية. ثم جاءت الهجمة الشرسة على أسماء الشعب فيما عرف بـ (معركة الألقاب)... وحقيقة لم أعرف في تاريخ (الضرورات) أعرف وأغرب مما فعله أبو الأتراك... فقد بدا واضحا أنه ورجاله يسمون لتعبير دين الشعب وهيبته وأسمائه وكل ما يتعلق بهويته وأصل وجوده شكلا ومضمونا... وفي الذكرى المباشرة لتأسيس الجمهورية التركية جمعت المصاحف والكتب الدينية ووضعت على ظهور الإبل ليقدوها رجل يرتدي الزي العربي متجها بها نحو الجزيرة العربية وعلقت على رقاب الإبل لافتة تقول: (جاءت من الصحراء ولتعد إلى الصحراء وجاءت من العرب فلتنهب إلى العرب)... أخبط أتاتورك في حق أمته خطأ فاحشا حين اعتبر الإسلام عقبة في طريق التقدم والنهوض ناسيا حقائق الحياة وهوسا مركب الحضارة (لذي يمزج) الإنسان والتراب (والوقت) فالفكرة الدينية راقت والما تركب الحضارة عبر التاريخ كما يقول مالك بن نبي... أو كما قال برتراند رسل (الدين) كلمة لها تاريخ طويل... وحقيقة الناس هي العقل والدين

■ قام الإسلام - ولأزال - بدور بارز في تاريخ الأمة التركية وكان العامل المهم دائما في توجيه الروح التركية. فهو الذي أعطى للدولة العثمانية شخصيتها الدولية وكيانها التاريخي وهو الذي منحها شرعية قيادة العالم الإسلامي طوال ستة قرون وهو الذي ساعد على تحقيق التجانس والدمج الاجتماعي بين القوميات والحنسيات المختلفة في ربوع الإمبراطورية...

ورغم إلغاء مصطلح كمال أتاتورك الخلافة في ٣ مارس ١٩٢٤ فإنه لم يستطع أبدا إلغاء الإسلام من قلوب وعقول ووعي ووجدان الناس. وهو الذي لم يدخر وسعا ولم يترك وسيلة لحاربة الإسلام وسلخ تركيا منه إلا وفعلها... في حالة مدحشة من حالات التطور التراجعي... إذا جاز الوصف... كان أتاتورك فيما يبدو متأثرا فيها بمفهوم (العلمانية الثورية) التي قال بها فلاسفة مثل ماركس وهوبز وياغ في أواخر القرن التاسع عشر. والتي كانت تستهدف هدم الدين وتخليص الدولة والمجتمع من تأثيراته تماما... في حين أن منشا العلمانية كان يفرض الحد من أثر الدين والكنيسة على شؤون المجتمع وسياسة الدولة فقط... ولم تكن هناك ذوايا لمخاصمة الدين وعادله.

فقام أتاتورك بفرض القيمة على الشعب مالمعول وبطش الدولة وحارب الأبجدية العربية التي كانت تكتب بها

عام ١٩٥٠ أصدر رئيس الوزراء عدنان مندريس قرارا يرفع الحظر عن الأذان باللغة العربية وكان ذلك أول ثورة تنفّض في جدار القهر الآتوركي



حزب النظام وبقي أركان في الطل بعد عودته إلى البلاد. وخاض الحزب الانتخابات البرلمانية وحصل على (١٩) مقعدا ودخل في حكومة ائتلافية مع حزب الشعب الجمهوري وتضمن الائتلاف العامة وحرية الصحافة والعمو عن السجناء السياسيين. وتولى أركان منصب نائب رئيس الوزراء وأجاويد رئيسا وكانت حظوة واسعة للبلاد بالنسبة للحركة الإسلامية التي حصلت على مكاسب مهمة في حقيقة الأمر من هذا التحالف مثل فتح عدد كبير من مدارس الأئمة والخطباء وكانت أهم إنجازات هذه الوزارة إقناع قيادة الجيش التركي بإزالة

والاقتصادي فتعبرت كثير من أمتاض الحياة وعلى المستوى السياسي انتشرت الأحزاب اليسارية في صفوف الطلاب والشعبي وطهرت أيضا في تلك الفترة توجهات سياسية (إسلامية واضحة وصريحة فظهر البروفيسور نجم الدين أربكان الذي عين حزب العدالة رئيسا لاتحاد مجالس الصناعات والتجارة التركية وقد كان تشو قادمة من ألمانيا حاملا الدكتوراه في صناعة الحركات الميكانيكية ثم كان الظهور القوي له في الحياة المسياسية حين فاز كمرشح مستقل عن دائرة قونية وكان فوز كبيرا وساحقا بما يتجاوز كونه فوزا لثالث له جماعه.

وبعد ترده طويل وافق على وضع التعليم الديني في نظام الدولة خاصة بعد شعور الجميع أن الدولة بحاجة حقيقية إلى رجل دين مثقف وتوفر لديهم فتاعة بأى رجال الدين المثقفين سيقومون بأدوار هامة في تحقيق التماسك الاجتماعي للوطن. وبدأ الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري يتنافسان على أصوات الجماهير بقرارات الانفتاح الديني وعندما فاز الحزب الديمقراطي بالأغلبية عام ١٩٥٠ أصدر رئيس الوزراء عدنان مندريس قرارا يرفع الحظر عن الأذان باللغة العربية وكان ذلك في حد ذاته حدثا هائلا بكل المقاييس وأول ثورة

أبعد عمقا من كل ما فعله أبو الأتراك الذي ترك له بعدد وهم تتدد وكثير من الجراح. فما أن جاء عام ١٩٦١ حتى ألغى نظام الحزب الواحد والقرر التعددية وأصبح الدين حاضرا في كل البرامج الحزبية.. وحدث تحول في سلوك النظام تجاه الإسلام عندما أدرك حزب الشعب الجمهوري (حزب أتاتورك) حجم الصراع الذي لم يستطع النظام أن يملأه في المجال الديني فاقترح السماح بإجراء تعليم ديني بشرط أن يكون تحت حكم وسيطرة الدولة. وفي ١٩٦٧ قرر الموافقة على اقتراح بالسماح بتعليم الدين الإسلامي بالحروف اللاتينية بشكل خاص وخارج المدارس

البديهة!

قواتها في جزيرة قبرص شعبي كبير واحتلال أكثر من ثلثها لخدمة المصالح القبارصة (الأتراك) وأصبحت الحركة الوطنية المتمثلة في حزب السلامة الوطنية رافعا معها في الحياة السياسية التركية.. وهو ما لم يكن مقبولا من النخبة العلمانية التي زادت مخاوفها أكثر وأكثر فاحتلّت أزمة سياسية واستقال أركان ومؤيدوه من الوزارة كان أركان في موقفه الحارم من قضية الإزلال التركي في قبرص زعيما شعبيا باتميان.. ذلك أن الشعب التركي يعتبر جزيرة قبرص جزءا منه خاصة بعد أن قامت بريطانيا بتسليم قبرص اليونانيين منها حتى يصبحوا أكثرية وهي الجزيرة التي لا تبعد سوى ستة كيلومترات عن الموانئ التركية في حين تبعد عن اليونان أكثر من ستمائة كيلومتر. انقلب حزب الحكومة عام ١٩٧٥ من حزب العدالة في حكومتي ١٩٧٥ ١٩٧٨ وكان أركان يشغل منصب نائب رئيس الوزراء وتبنى الحرب في هذه الفترة مصفايا ذات طابع اقتصادي بالأساس وكان أركان مسكونا بتجربة النهوض العظيم في ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية فقام أركان بحملة قومية لإنشاء صناعات كبيرة خاصة في مجال الأسلحة القوية فانتفض في ١٩٧٦ أكثر من مائه مؤسسة صناعية كبرى وعمل على إصدار

وفي عام ١٩٧٠م أسس أركان حزب النظام الوطني منفصلا عن حزب العدالة الذي كان بدوره منفصلا عن الحزب الديمقراطي.. تميز برنامج الحزب بالانحياز شرقا نحو الاتحاد السوفياتي والتاريخي للأمة التركية وبدأ في انتقاد حزب العدالة وحزب الشعب وفي نفس الوقت كان ملتزما بالنظام القانوني للبلاد.. ولم يحاول أبدا الخروج عليه وفي العام التالي إقام الحزب مؤثره المستوى الأول يمشيلا الحزب بالنشيد الوطني واختير أركان أميناً له... حلمي يقود خطاى.. كانت هذه العبارة تتسم بالثقق الحكومات البلاد من أزمت حادة لم تنجح الحكومات المتعاقبة في حلها وهو ما دعا الجيش في ١٢ مارس ١٩٧١ إلى توجيه مذكرة لإصدار لرئيس الوزراء وقتها سليمان ديميريل إنذاره فيه إلى إجراء إصلاحات سريعة من أجل القضاء على أسباب هذه الأزمات.. وقال أركان الجيش سيمارس حق الدستور ويتولى مقاليد الحكم وعرف هذا الانقلاب في الحياة السياسية التركية بـ (انقلاب المذكرة) فاستأقلت الحكومة وحظر حزب النظام الوطني وألغيت مقراته ومكاتبه واضطر أركان لفرار البلاد حتى تهدأ العاصفة.

تمتص في جدار القهر الآتوركي.. وتم ترسيم المساجد وأصبح النشاط الإسلامي ممنوحا به بعد أن كان محظورا غير أن هذه التوجهات السياسية ذات البعد الاجتماعي والسياسي الخطير لم تستطع النخب العلمانية الشريفة احتمالها واستخدمت عصاها العظيمة.. فقام الجيش بانقلابه الأول في ١٢/٥/١٩٦٠م وأعلن الحامي ليدائ أتاتورك العلمانية وحامي الجمهورية وتم إعدام (عدنان مندريس) رئيس الوزراء في هذا الانقلاب وتولى قائد الانقلاب (جمال جورسيل) رئاسة الدولة والوزراء وزارة الدفاع.



وفي عام ١٩٦١ انشق حزب العدالة عن الحزب الديمقراطي ووصل إلى الحكم عام ١٩٦٥ وأحدث تحول آخر مهم داخل حزب الشعب الجمهوري بتولى بولنت أجاويد رئاسة الحزب واعترف لأول مرة أن الصراع لم يكن بين الطريوش والقبعة بل بين الفقر والاستغلال وألغى كل الأحزاب استقلال الدين لإخضاع عجزها السياسي والاقتصادي والاجتماعي.. كانت فترة الستينيات قد شهدت تحولات خطيرة على المستوى الاجتماعي

الرسمية على أن يتم ذلك تحت إشراف وزارة التعليم. وفي ١٩٦٨ أعلن برنامج المواد الدينية التي ستدرس للصفين الرابع والخامس الابتدائي وفي ١٩٦٩ أصبحت المادة الدينية تدرس في المدارس الابتدائية بموجب إذن كتابي من ولي الأمر يشترط أن تدرس خارج أوقات الدراسة الرسمية وفي الفترة التي كانت فيها الحكومة الانتلالية مكونة من حزبي الشعب الجمهوري والسلامة الوطنية عام ١٩٧٣ تم وضع المواد الدينية في جميع الصفوف تحت مسمى (دروس الأخلاق) على أن تكون بمعدل ساعة أسبوعية وشكل إجباري.. وكانت مدارس الأئمة والخطباء قد أغلقت تماما بعد عام ١٩٣٠ بسبب عدم وجود طلاب.. ولكن مع التحول لحياة التعددية الحزبية وتخلي حزب الشعب الجمهوري عن مصلته - من نظرت للإسلام باعتباره عاملا إغاة أساسا - التحديدات المستنوسة.. ومع التسوية نحو الديمقراطية في الفترة التي حكم فيها الحزب الديمقراطي البلاد بعد هزيمته لحزب الشعب الجمهوري عادت هذه المدارس لتأخذ وبدا السياسيون يتزلمون على (التأخيرين من أجل الحصول على أصواتهم وتوجهوا إلى جماهير كاثب مهمة منذ أعوام طوال وخشي الحزب الشعب رافع راية العلمانية من أن تهرب منه الأصوات نحو الأحزاب الأخرى....



كان أوزال يرى أن الإسلام المعتدل كإطار أيديولوجي مهم لمنع نمو الأفكار المتطرفة خاصة بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران



ان أعلنت تشييلر قبولها للانتلاف السياسي معه على أن يتولى أركان رئاسة الوزارة وتكون الوزارات السياسية المسادية من نصيب حزب الطريق القويم وفي يوليو ١٩٩٦ تشكلت وزارة انقلابية برئاسة نجم الدين أربكان والمثل في هي افضل من عدم خصوص التحيرة فقد أصبح أربكان بذلك أول (إسلامي) يصعد إلى قمة السلطة السياسية في العصر الحديث في الشرق الأوسط عن طريق الانتخابات رغم أنه لم يكن هناك شمة فشل... فالتجربة على قصرها تعد ناجحة - أو برفقة لنجاح (٢٨) مليار دولار إلى (١٥) مليار دولار (١٨) مليار دولار إلى (١٥) مليار دولار في يدات قيادة الجيش في توجيه انتقادات لاذعة لأربكان فسازمت الأوضاع السياسية ما دفع أربكان إلى الدعوة لانتخابات مبكرة وقدم استقالته من رئاسة الحكومة.

كانت الحركة الإسلامية أمام خيارين بعد هذا الحضور والنجاح وبعد اعتقال رجب اردوغان أحد أهم رجال أربكان. وإسقاط حكومة أربكان في ١٩٩٧ وافترض الإقامة الجبرية عليه.

الخيار الأول التحريض والتعبئة الجماهيرية والدخول في مواجهة مسلحة مع الجيش في ظل تركيبة عرقية مركبة بعض الشيء وهو ما يعني أن المواجهة ستكون شديدة القسوة وهم الطرف الأضعف فيها والمسكرين في هذا الأمر على استعداد لفعل ما تشييب له سود التواصي (الجزائر نموذجاً) مما سيؤدي للحالة الإسلامية في تركيا إلى المربع وهم رافد والخيار الثاني هو المحاولة والمدارة والعمل الهادئ للخروج من خيط الضيق المصنوب. فكان الخيار الثاني ذو مصيبي ومصحح وكان الالتحام الأكثر بالشارع والطبقات الاجتماعية فيه والمعيد من اعتبر يامسه ونظر لنفسه.. وأسس الانقلابات عبر

توفي بأزمة قلبية مفاجئة في ١٩٩٧ قبل أن يكمل فترة رئاسته وتولى الحكم بعده (سليمان ديميريل).



ومع تناسل الحشور الإسلامية في تركيا وسيطرة حزب الرفاه على عاصمتي تركيا - أنقرة وإستانبول توحدت أحزاب اليمين واليسار ضده لتستطيع مواجهته وعلى العكس حقق الحزب فوزاً كبيراً في انتخابات ١٩٩٤ وهو ما أقلق الأحزاب المختلفة فيها بعضها يحاطب الجماهير عن طريق فتح معاهد لتدريس القرآن الكريم كال نجاح تجربة حزب الرفاه في الانتخابات البلدية وتأكيداته المعلنه على حزب نظيم وقرب من الهوم العادية للناس وترقائه للخدمات في البلديات التي فاز فيها دون وثبات فحقق شعبية كبيرة واسعة أخرى للأمام وانتقل الحزب من شريعة المسجد إلى شريعة المجتمع بهوده وقوة وثبات فحقق شعبية كبيرة ورغم ما واجهه من حملات تشويه أدائه والتقليل من أهميته وتجهلت هذه الجماهيرية للحزب في الانتخابات البرلمانية في ١٩٩٥ حيث حصل على (١٥٨) مقعداً من (٥٥٠) مقعداً وحصل في الانتخابات البرلمانية الجزئية التي جرت في ذلك العام على ٣٣٪ من الأصوات وأعقب هذا الفوز الكاسح لرهاف انهيار الحكومة الائتلافية بين حزبي (الطريق القويم) و(الوسطى) وتحالف جميع ضد وصول حزب الرفاه للحكم فهدد الرئيس ديميريل إلى تانسو تشييلر زعيمة (الطريق القويم) بتشكيل الوزارة فقبلت.. وقدم الرفاه ملفاً تدونها بالقلماء وحصل على موافقة من البرلمان على إجراء تحقيق حول تورطه في القضية. (أما مسعود يلماز) زعيم حزب (الوطن الأم) فلجأ إلى حيلة المحكمة الدستورية العليا والتي استطاع اقتراع منها على حكم بعدم دستورية اقتراع الثقة على حكومة أربكان فأدى ذلك إلى فوضى سياسية مع إصرار عبد على عدم صعود أربكان لرئاسة الوزارة لكن الحزب أدار هذه الأزمة بحكمة وخبرة عالية فكان

تولى أوزال رئاسة الجمهورية في نوفمبر ١٩٩٨ وقبل توليه الرئاسة بيوم واحد نظمت طالبات جامعة أنقرة مظاهرة كبيرة اشترك فيها خمسة آلاف طالبة احتجاجاً على منع الحجاب في الجامعات التركية بقرار من المحكمة الدستورية العليا وأحدثت هذه المظاهرة اثراً كبيراً في الشارع التركي حيث رأى البعض أن الظهور المكثف للمحجبات هو خرون أن النساء رافعن رايات الانتماء للإسلام بإرتداء الحجاب لتثبت الحركة الإسلامية في تركيا أنها موجودة في الجودات الخشمية وذلك استطاعت الحركة الإسلامية أن تنقل معركتها مع العلمانيين إلى الشارع لتتحريك الشارع الإسلامي لدى الوطني التركي ولا شك أن هذا الأداء من قبل الحركة الإسلامية كان يهدد إلى عدم حدوث انفكاسة للإسلاميين كالتسوية حدثت في بداية الثمانينيات. وكان أربكان قد أسس حزب الرفاه عام ١٩٨٣ وكان برنامجاً تحت عنوان (النظام العادل) مشيراً إلى النظام الإسلامي. كان برنامج الحزب يهدف إلى إلغاء العلمانية الثورية أو (الشاملة) كما سماها لاحقاً العلامة الدكتور عبد الوهاب المسيري. وخاض به أربكان الانتخابات المحلية عام ١٩٩٨ من يحصل خمس بلديات وفي عام ١٩٩٦ كانت نجاحاً المعتبرة في الوسط السياسي التركي ففوزه الكبير في الانتخابات... كان اقتراب الحركة الإسلامية من السلطة في هذا الوقت اقتراباً حكيماً ونيذا يستند على قاعدة اجتماعية قوية ومما ساعد على ذلك أيضاً انشغال المؤسسة العسكرية التركية والانتقال الحكومي بمواجهة حزب المحاصل الدستوري وزعيمه عبد الله أوجلان فاستمر حزب الرفاه ذلك الأمر في إعلانه رفضه المطلق للعنف وأنه لن يخرج على شريعة الدولة بل الله عزه من هذه الشريعة والتي في بؤورها تشمخه شرعية وجوده ونشاطه. أيضاً كان وجود الرئيس توجروچ أوزال في الحكم بأفكاره غير المتطرفة تجاه الإسلاميين عاملاً مهماً ساهم في تقوية موقفه إلا أن أوزال

قانون يلغى الفوائد الربوية على القروض الزراعية تيسيراً على الملاحين وتم إحلال زراعة الحبوب محل زراعة الدخن.. ولقام بإصلاحات اجتماعية واقتصادية كبيرة.

وفي عام (١٩٨٠) عقد الحزب مؤتمراً شعبياً تحت شعار (انقذوا النفس) ورفض فيه الأعلام الخضراء وظهرت دعوات لإقامة دولة إسلامية في تركيا!!! وبدأت الحركة الإسلامية تتصمد على ذاتها وتستولدها حمماً جديداً ولم يكن الزمن مواتياً ولا الريح موافقة بعد لمل ذلك فقام الجيش على الفور بانقلاب عسكري وسيطر العسكريون على السلطة السياسية وتم حل الأحزاب ومن بينها بالطبع حزب السلامة وتركزت السلطة في يد مجلس الأمن القومي وقويت الحريات العامة ولم يسمح بدخول انتخابات عام ١٩٨٣ من ثلاثة أحزاب في حزب الديمقراطية ويتكون من جنرالات الجيش المتقاعدين وحزب الشعب الجناح الأتاتوركي وحزب العمال بقيادة (توجروچ أوزال) وهو الذي هاز في تلك الانتخابات وظلت الحياة السياسية في تركيا على ما بها من قلق وعدم استقرار. وأوزال مهندس كيرباني له خبرة لا بأس بها بالشئون الاقتصادية والسياسية وكان من قبل مرشح حزب السلامة الوطني عن ولاية (إزمير) ويوصف بأنه مسير العرب في تركيا ورغم ذلك فإن الحركة الإسلامية في عهده - سواء كان في رئاسة الوزراء أو في رئاسة الجمهورية - تمتعت بحرية كبيرة وإحالة مساحة أكبر إلى الشارع التركي. فقد كان أوزال يرى أن الإسلام المعتدل كإطار أيديولوجي مهم للحد من تطرف الأحزاب التي أضرت بالأمة التركية.. وأيضاً تمنع نمو الأفكار المتطرفة خاصة بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران.. لذلك تبنى سياسات إسلامية معتدلة مقارنة بسلبيته فهدم المدارس التي تخرب الأمانة والتعلماء لتصل لشيخ خريجهما إلى ٢٠ من خريجي المدارس المتوسطة وسمح بالاندسوة الإسلامية في الإذاعة والتلفزيون وسمح لفشليات بإرتداء الحجاب بعد أن كان ممنوعاً وسمح بقيام مؤسسات الأوقاف كما سمحت السياسات الاقتصادية التي بنائها بوجود شركات ومشروعات إسلامية



مع تنامي الشعور الإسلامي في تركيا وسيطرة حزب الرفاد على عاصمتي تركيا؛ أنقرة وإسطنبول توحدت أحزاب اليمين واليسار ضد تستطيع مواجهة

١٤٢٤

كبير هالحيش الان لم يعد هو القوة الأولى والوحيدة في تركيا ومن الصعب قيامه بانقلابات مثلما كان الامر في الماضي... يمنحه من ذلك ألا الوصع الدولي وثانيًا أن حزب العدالة لم يفرح عن الإطار الديمقراطي الذي توافقت عليه الجميع، وبات واضحا للجميع أنه لا يتم حسم هذه المعركة المصرية دون مساعدة الاتحاد الأوروبي وأمريكا التي لعبت دورا مؤيداً لجميع الانقلابات العسكرية السابقة.

الجهاز الإعلامي له تأثير قوي ويقتل على الشائعات عليه طابع الخاصة للدين وتوجد في تركيا الحديثة من المؤسسات الإعلامية ومحطات الإذاعة والتلفزيون ومقنناتها تؤيد العلمانية الشاملة وتهاجم الإسلاميين بصعارة وتعمل على إظهارهم بالظهور الرجعي المنزع الكاره للعلم والحضارة وكالعادة يعمل الإعلام على إلقاء الجماهير بأخبار الكفرة والمحنين والأزمات والسلطات وكل ما من شأنه تسطيح وعي الناس... وستمكن رجب أردوغان فيما بعد من نزع (أحد) هذه المؤسسات المهمة من صاحبها وتحويلها إلى ملكية الحكومة بعد كسب التلاعب المالي لصاحبها وستبقى مع صاحب أكبر مؤسسة إعلامية والتي تتبع لها (إن) التركية على ألا تتهاجم وورثته وأن تفسح المجال لرجلها بالظهور فيها والكتابة في صحفها. رجال الإعلام أيضا من المناهضين عن العلمانية بشدة طبعية الحال لأنها توفر لهم أجواء التراخي والتفكك تلك الأجواء الهامة للنمو السريع لثروات... لكننا سنرى أيضا نجاح أردوغان في إقناع العالمية منهم تليده ومقاتلة الجيش بضع المجال الجديد (العلمانية والتنمية) باعتبارها الداعي القوي لتقوية المكانة الإقليمية لتركيا بحسين اقتصادها ومجارية الفساد وزيادة الحريات وعلى الجانب الآخر هناك الأحزاب السياسية والتي تطورت تطورا كبيرا على مدار ثمانية عقود هذه الأحزاب تنتمي بدرجة أو بأخرى للتيار اليساري واليميني والتهاب الإسلام.

وهذه الأحزاب: ١. حزب الشعب

الحكومة التي لها مطلق الحرية في الأخذ أو عدم الأخذ بها كما لم يعد هناك شرط كون السكرتير العام للجنة شعما عسكريا وبهذا تكون لجنة الأمن القومي استثنائية فقط مثلها مثل اللجان الشبيهة لها والوجود في بعض الدول الغربية مجلس الأمن القومي في أمريكا) مجلس الدفاع الأعلى في فرنسا) هذه اللجان تقوم بمهام استثنائية فتقدم المعلومات والاستشارات للحكومة في الشؤون الدفاعية والسياسية والخارجية ولا تتدخل في الشؤون السياسية وبات واضحا أنه لا يمكن رؤية عليها أو تدبير انقلابات عسكرية أو إسقاط حكومة.



كما نصت التعديلات الأخيرة التي قام بها حزب العدالة على قيام لجان من البرلمان وبوزارة المالية بمراجعة نفقات الجيش وهو ما لم يكن مسموحا به من قبل مع بقاء القوات سرية تعتبر من جهة الأمن القومى من أسرار الدولة. كما نصت التعديلات الجديدة على قيام لجنة الأمن القومي بعقد اجتماعاتها لجلسة مرة بدلا من كل شهر. هذه القوانين الجديدة تزيل حفيضة نكل مكنى الكلمة لأنها تحول الهيمنة العسكرية على الحياة العامة في تركيا. على أنه يجب الترتيب قبليا في الحكم على نجاح التجربة قبل مرور وقت كاف على تطبيقها وتوحيها إلى حقيقة راسخة في الحياة السياسية التركية لأن الجيش الآن يخوض معركة وجوده ولأن الجيش العلمانية في تركيا ليست جيدة ولها قدرة كبيرة على حيد الممارسات والمصطنع الأوامر الحكومية من جهتها تعتبر معركتها مع العسكر معركة مصير وهي تسير قدما في اتجاه خطوات جديدة لتكوين الإدارة التركية إدارة مدنية خاصة... ويبدو بالفعل أن متحن (العسكرية) قد أخذ مسارا هبوطيا. فمثلا تم ربط رئاسة الأركان العامة بوزارة الدفاع وإعطاء حق الدفاع لمخطاط المخطرون من الجيش أمام الحكومة العسكرية. الاتحاد الأوربي وأمريكا تابعا هذه التطورات بإصحاب

فقط. وواقع الحال أنها مؤسسة قائمة بداتها تماما وتقوم باتخاذ جميع القرارات المتعلقة بالجيش دون أن يكون لوزير الدفاع أو لرئيس الوزراء أى سلطة والقادة الفاعلين هم أعضاء هيئة الأركان الذي يضم قادة القسام الجيش البرية والحوية والبحرية والشرطة العسكرية. أما الهيئة التي يسيطرون على كل شيء من خلالها فهي لجنة الأمن القومي التي تتجمع مرة كل شهر برئاسة رئيس الجمهورية وحضور أعضاء مدنيين وعسكريين وهذه اللجنة لها صلاحيات كبيرة وسري حجم التطور الديمقراطي الذي أحدثه حزب العدالة في الحياة التركية حين نعرف ما ألت إليه هذه الصلاحيات بعد التغييرات الأخيرة تتبثق عن لجنة الأمن القومي سكرتارية تضم ٧٠٠ موظف وتتكون هذه السكرتارية من سكرتير عام وكل شهر يرأسه رئيس الأركان العامة ثم مساعد السكرتير العام ومساعدين ثم ثم المستشارين الرئيسيين ثم المستشارين الاعتياديين ثم مدبري الدوائر وأخيرا الخبراء في مختلف الاختصاصات.

هذه اللجنة تقوم بتوجيه جميع الهيئات الدستورية ولها حق جمع المعلومات من جميع الموائر الرسمية ولها صلاحية تفتيشية ولها صلاحية رقابية على جميع هذه الهيئات والدوائر وتقوم بكل هذا باسم رئيس الوزراء. على ضوء المعلومات التي لدى لجنة الأمن القومي من الجهات المختلفة تقدم بإصدار أوامرها حول كيفية قيامهم بالمؤسسات والهيئات بتطبيق وتنفيذ المصالح العليا للبلاد حسب رأيها في طبعها

(حكومة حزب العدالة والتنمية) قامت بطرح هذه المصلحة على واجهة الجدل العامة فقامت بإلقاء النصف التنفيذي والرقابية التابعة للجنة الأمن القومي وسكرتاريتها وأعطت لها صفة استشارية فقط كما سحب من رئيس الأركان العامة صلاحية تعيين السكرتير العام للجنة ونقلته هذه الصلاحية إلى رئيس الوزراء وإلى رئيس الجمهورية والنسء المهم هنا سحب صلاحية تدخل اللجنة في الهيئات والمؤسسات المختلفة والوزارات وحصر عملها ومهمتها في إطار تقديم الاستشارة إلى

نعيد واستطاعت الحركة الإسلامية في تركيا بذلك أن تقدم نموذجاً فريداً في الاستجابة لصفوف الواقع السياسي والاجتماعي المروض عليها والتكيف معه والاستفادة منه دون أن تتخلى عن أفكارها ودون أن تلجأ إلى العنف... فرفضت اقتدامها أكثر وأكثر في الواقع التركي واستطاعت أن تدرأ الصغر وتجنب المصلحة بحكمة واقتدار بالقي لا غنى لأي مهتم بالحالة التركية من الإلام الجيد بتركيبة (السلطة الفاعلة) في تركيا. والتي تشكل المؤسسة العسكرية فيها اليد الضاربة... لاعتبارات كثيرة أهمها بالطبع الاعتبار التاريخي لقيام الجمهورية التركية... يليها دوائر المال ودوائر الأعلام... لاعتبارات مختلفة مكوناتها ورجال الأعمال - الحاصرون دوما وبأبدا في لعبة السياسة والحكم -.



يذكر لنا التاريخ أن المؤسسة العسكرية كان دورها يبرز على الدوام في جميع الدول التي شكلها الأتراك في التاريخ كالدولة السلجوقية والدولة العثمانية وكان لها دور كبير في جميع الانتفاضات والتوسعات التي تمت وجعلت من الدولة العثمانية إمبراطورية كبيرة تمتد فوق ثلاث قارات ولكنها يبرور الوقت وباشترافها في تركيا والأعصيا تحولت إلى مشكلة كبيرة وسبب قوي من أسباب انحلال وسقوط الإمبراطورية العثمانية

في العهد الجمهوري مارست المؤسسة العسكرية دورا سينا في الحياة السياسية... تبدي ذلك في ٣ انقلابات ١٩٨٠ وفي ١٩٦٠ وفي ١٩٧٢ وفي ١٩٨٠ ونصف حركة انقلابية عام ١٩٧٢ عندما ساعدت على إسقاط حكومة أركان. والمؤسسة العسكرية في جميع وضع شديد الخصومية ففي تركيا الدول تكون رئاسه الأركان العامة للجيش تابعة لوزارة الدفاع وتمت جميع التعيينات والترقيات والإحالة للتقاعد أو الفصل من الجيش من قبل هذه الوزارة إلا أن المؤسسة العسكرية التركية - التي يرأسها رئيس الأركان - لا ترتبط بوزارة الدفاع بل برئيس الوزراء وذلك من الناحية الشكلية



حزب العدالة يقدم نفسه الآن على أنه حزب علماني وأنه ارتضى بالعلمانية كما ينص عليها الدستور وهو يطالب الجيش باحترام المبادئ العلمانية الحقيقية



أردوغان قدم النموذج العملي للزعيم الوطني المستنير بآلام الجماهير وأما لهم.. فعلى المستوى الخارجي لم ينطبق لسياسات بوش كبعض الدول وخصوصا في قضايا مثل العراق وفلسطين وغيرها وهو يسير وفق نظرية الزحف البطيء الهادئ باتجاه الشارع التركي بغية إعادة الروح الإسلامية له واستطاع أن يكون نموذجا لدول العالم الإسلامي والعالم الثالث...

فهو الاقتصادي المحنك الذي استطاع إيجاد حلول جذرية لمعضلات اقتصادية واجهت تركيا على مدى عقود مثل التضخم والامية وتزويد الخدمات واهتم كثيرا بالمليكات الفقيرة والتي كانت تحبس دائما للأحزاب العلمانية وهي التي كانت تتلاعب بعقورها وعزوها.. هؤلاء القراء الآن أصبحوا مدرسين للنسوية الإسلامية بملامحها الفكرية والسلوكية فهاجت لهم روحهم الإسلامية بغير طول غياب.. الحركة الإسلامية بدأت من المسجد والمدارس ثم ما لبثت أن انتقلت إلى العمل المدني يستمد أشكاله إلى أن وصلت إلى البلديات التي تتمتع بصلاحيات إدارية واسعة وتقديم خدمات متنوعة وقد نجحت الحركة الإسلامية في انتخابات أكبر البلديات.. استغلوا التي يقدر عدد سكانها بـ ١٥ مليون نسمة وأنقرة ومعلمي المدن الأخرى كانت الاختيار الحقيقي للإسلاميين في تركيا والذين استطاعوا تقديم نموذج رائع في التنمية الحقيقية والتفسير الجذري وإعادة الوجه الحضاري الإسلامي للمدينة التركية ببناء المساجد والاهتمام بها ونشر الثقافة الإسلامية وأيام دور الدين في حياة الناس وهو ما أعطى الحركة الإسلامية شعبية واسعة حتى في صفوف بعض العلمانيين فكانت البلديات في حقيقة الأمر خطوة مهمة للأمام باتجاه البرلمان ثم الوزارة...

عندما نجح حزب العدالة الوعده كان رجاله يوقنون أن الإسلام يقف على أرضية الأورج ويدخل في معترك السياسة ويقوم بالسياسات التي لا تمس المرجعيات الثنائية.. تنصرف بحكمة ومرونة كبيرة وتحافظ تماما على الممارك الثقافية ولم يطلق تصريحات استفزازية ضد أحد.. ولم يول اهتماما كبيرا

بموضوعات ذات حساسية خاصة كموضوع الحجاب لأنه كان يعد نفسه في حقيقة الأمر لإلحاحات تاريخية فقام الحزب بإصلاحات قانونية وحقوقية عديدة فسن القوانين التي توسع نطاق الحريات الفردية وشدت العقوبة على التنقيب سواء في المسجون أو في القسم الشرطة وسن قانون حرية التجمعات والمظاهرات وسن قانون حق الفرد في الحصول على المعلومات وحق التعبير السلمي عن الرأي بجميع أشكاله وحق الأقليات العرقية في التعلم وتعليم لغاتهم كما أصدر قانون العمل عن التمييز بين حزب العمال الكردستاني والانضما عن كل هذه الخطوات أظهرت أن هذا الحزب المهتم بالرجعية - كونه ذا جذور إسلامية - أكثر تقدمية وانفتاحا من أي حزب آخر وأقرب إلى المدنية المعاصرة من جميع الأحزاب الأخرى وإثبت ذلك عمليا على الأرض وبين الناس.



أهم ما قام به الحزب على الإطلاق بعد مواجهته للمعضلة العسكرية وقوانينها - هو نجاحه في النهوض بالاقتصاد التركي في فترة قصيرة وهو الاقتصاد الذي كان يعيش أزمة حادة من مدة طويلة... فقام بإصلاحات وإجراءات إسلامية بحق وإن لم يكن ذلك في شعارات وعقائد (كان الدين صاندا وكانت السواقي أكثر صفاء) فخفضت النفقات الحكومية (إلى أبعد مدى وخفضت هذه النفقات وأعاد الآله السيارات الحكومية والقطارات التي كانت مخصصة للثوب وشكل لجانب برلماني لتعقب الفساديين الذين سرقوا البنوك الحكومية والخاصة وأصدر قانونا يسمح للحكومة بوضع اليد على أموال أصحاب ومديري هذه البنوك وأموال أقاربهم من الدرجة الأولى والثانية واسترداد قيمة ما هب من هذه الأموال وهو ما أدى إلى إشاعة جو من الثقة والأمان بحق وحقيق كما يقولون.

وكانت النتيجة أن قيمة الليرة التركية ارتفعت مقابل الدولار أكثر من 30% وهبطت نسبة الفائدة بمقدار 4%

ورادت الصادرات بنسبة ٢٤% وهبط معدل التضخم بشكل كبير واتبع الحزب سياسة خارجية وشيدة فاهتم بتحسن علاقات تركيا مع دول الاتحاد الأوربي وأمريكا واثبت أن تركيا ليست تابعة لأمريكا عندما رفض البرلمان التركي (والحزب يملك فيه أغلبية ٣٨ مقعدا من ٥٥٠) دخول ١٠ ألف جندي أمريكي إلى شمال العراق من الأراضي التركية ولكنه لم يتفق جميع الأحزاب مع أمريكا وحاول استدراك التوتر الذي حدث بسبب هذا الرفض لأن عدم استعداد أمريكا كان ضروريا له ومعروف أن هناك قدر من التداخل بين البعد الداخلي والبعد الخارجي في علاقة السلطة الإسلامية بالإسلاميين في العالم الإسلامي (ومازال الانزهاك الذي حدث خلال العاميين الماضيين مع مذات الإصلاح في الأذهان) والسلطة هي العالم الإسلامي يمكن أن تكون متباعدة من الخارج لأن تفكير الإسلاميين الأقرب من السلطة.. سواء لسلطة الساحقة للأجهزة هي الدولة أو لطلب التماسل الإقليمي في شكل إجماع (عريسي) بالأساس على استبعاد الإسلاميين من دائرة البديل..

تجربة حزب العدالة ستؤثر بلا شك على وجهة النظر الأمريكية في الأحزاب الإسلامية.. في اتجاه قبول أمريكي محتمل للأحزاب الإسلامية في العالم الإسلامي مستقبلا.. وكان التقرير الذي أصدره مؤخرا مركز - مستند (صراعات) ومديره - ستورك - هو أحد مستشاري (سولانا) البعوض الأوربي الشهير.. فقد دعا هذا البعوض (للإسلام التنهوي) بالسير في طريق الاختبايات لتحقيق الأهداف التي يسعون إليها ولا فإن شباب هذا التيار سيحاول إلى الغف.. فنتركيا اليوم أكثر دولة إسلامية في العالم متقدمة في مجال الديمقراطية والحرة فهوون التي سمعوا وليس هناك شيء اسمه قزوين الاختبايات.. والناس هناك قزوين على تغيير الحكومات التي لا يريدونها..

حزب العدالة - فيما اتفقه - يريد إدخال تركيا إلى أوربيات التي يكون للإسلام صوت أمين داخلها.. صوت هي أحوج ما تكون إليه الآن.. والأل أكثر من

أي وقت مضى.. في كتابه (القيمة الحقيقية الثالثة) يقول جيرالد هيرد إن القيمة الثالثة هذه هي تلك القيمة التي يعتقدها الغرب التعيس بتحكيم القانون العلمي في كل شيء حتى غدا الإنسان اله قابله للتحكيم.. كل شيء له قابلية.. كل شيء لا هدف له لا أخلاق له لاقيمة له..

ما يحدث الآن في تركيا أمر بالغ الأهمية.. إنه أشبه بثورة حقيقية لم يحدث لها مثيل طوال عهد الجمهورية وستكون لها آثار كبيرة داخل وخارج تركيا كما ذكرنا من قبل سواء في العالم الإسلامي أو في أوروبا نفسها وستكون تركيا عما قريب المثلث لدولة ديمقراطية يقودها حزب ذو جذور إسلامية دولة استقرت فيها الديمقراطية بكل مؤسساتها.. ويصبح الحكم في تركيا نموذجا عمليا للدولة (بين عصرها) التي تستلهم الإسلام في أدب وثقافتها وإدارتها.. إلى أعلى مستوى التنمية والتقدم في اتجاه الأفضل والأرقى أو على مستوى ضبط العلاقة بين السلطة والمجتمع.. أو على مستوى التنوع والتعدد سواء على أرضية إسلامية أو وطنية وفي مستويات لم تبلغها دولة (إسلامية) من قبل.. ما بالك إذا كانت دولة إسلامية مفتاحا كما تصف مصر وتركيا وإيران في العلوم الإنسانية..

لا شك أن مناخ الحرية والانفتاح - وتوازات إقليمية أخرى - آتيا للحياة السياسية في تركيا قدرا كبيرا من النمو والثراء.. على رغم التهديد الدائم من المؤسسة العسكرية.. ولا هذا كان يمكن أن يكون عليه الحال لو أن حالة (تكنس) (الثبات) التي تعاني منها بعض البلدان الإسلامية كانت موجودة في تركيا... تركيا اليوم على أواب عهد جديد بلا مبالغة وقد رأيت بشائركم بنفسك أشياء تمارسها الأخيرة لحصون فضائيات الاحتفال بذكرى فتح القسطنطينية.. من رأيهم على استغلوا أو أقره سواء كانوا إسلاميين أم علمانيين.. يؤكدون ذلك.. و.. لا يبدو لي أن الأكسي سيدوم طويلا ضادوا الله أن يكون الآن ما نتمناه

منى إن تكن حقا تكن أسعد المنى ولا فقد شئنا بها زمانا رفعا..



الجمهورية «الثالثة»

كمال حسيب



العروض الدينية وزيارة اضرة (الأولياء وادي هريضة الحج والتفتت في عهده موجة انتدين ويزور الطرق الصوفية، وهو من وصف الدولة التركية بأنها عثمانية وإسلامية وديموقراطية، وقال ماذا لو انتهكنا الدستور ولو مرة واحدة؟ والعديد من الأفكار التي يحملها اليوم مؤسس الجمهورية الثالثة، جول وارذوغا والدنن معهما، مثل ضرورة تغيير الدستور وانتخاب الرئيس مباشرة من الشعب في من بنات أفكار «أوزال» الذي يحظى باحترام كبير بين النخب الاقتصادية التركية عامة والإسلامية منها خاصة فهو من فتح لهم الباب واسعا لتأسيس «أرس» الشركات التركية التي عرفنا باسم «أرس المال الأخضر»، وأوزال هو أول رئيس تركي يتحدث الجيش ويقبل رئيس الأركان واستخدام على نطاق واسع علاقاته الدولية خاصة بالولايات المتحدة الأمريكية والغرب ليحجم سطوة الجيش وتدخله في الحياة العامة والسياسة أهم ما طرخته الجمهورية الثانية هو أن العلمانية الكمالية ليست مقسمة وإنما لم تعد صالحة للتعايش مع حقائق العصر الحديث وأن التطور الاجتماعي والثقافي في تركيا والعالم لم يعد يقبل بأيديولوجية جامدة متعسبة أصبحت في مقام العقيدة السياسية ومن ثم لا بد للبحث عن أوليل جديد للعلمانية يتجاوز التفسير الكمالي ويعطيها وجهاً إنسانياً يجعله تقبل بالتعددية والتسامح مع الآخرين المختلفين مع الكمالية خاصة الإسلاميين، ومن ثم لا بد من احترام اختيارهم وأخذ رغباتهم الدينية في الحسبان.

أما الجمهورية الثالثة التي تسجل بداية لعصر جديد في تركيا والتي يقودها حزب العدالة والتنمية (أق باق) أو «الحزب الأبيض» فإنها تمثل ثورة صامتة في البلاد حيث ألتا أمام خبر من تقاليد يمين الوسط التركي فهو عزيز من تقاليد التعددية السياسية والاقتصادية والسياسية الاجتماعية تجاه الفقراء ولذا فإن التيار الاجتماعي الذي صوت لحزب العدالة والتنمية هو خليط من الإسلاميين

صلاحيات واسعة جعلت النظام الحزبي والمؤسسات العسيرة عن الجماهير والمجتمع رهينة لرضاهما.

الجمهورية الثانية كما تعرف في الجدالات السياسية التركية تنتمي إلى أرس تقاليدها وهو طروچوت أوزال، الذي أسس حزب الوطن الأم، عام ١٩٨٣ وحمل برنامجاً اقتصادياً متكاملاً حرره بالمشورية والإحسان ومتعدين والقطاع العام وهو ما فتح الباب واسعا والقطاع الخاص أصبح قوة اقتصادية إقليمية، أمام تركيا لتصبح قوة اقتصادية إقليمية، لقد كانت رؤية «أوزال» الثقافية لاستعادة الوجه المدني للدولة التركية لا تعتمد على إجراءات سياسية فقط بل على إدخال المجتمع في دورة حياة اقتصادية ليبرالية على الشمد الغربي بحيث يستحيل تلقائياً تدخل الجيش، وكان «أوزال» يعتبر نفسه المؤسس الثاني للدولة التركية، وهو أول مسئول رسمي تركي يدعو علانية إلى انتقاد الكمالية وطرح العلمانية على بساط البحث وقدمها طالماً أن قطعاً عن الشعب يرفضها، وكان أول رئيس جمهورية تركي يتأبر علناً وبصورة منتظمة على أداء

والبيروقراطية المدنية - وكما يقول ميكن هير وچاكوب لاندو، في كتابهما المهم عن الأحزاب السياسية والديموقراطية في تركيا - كانت تعبيراً عن القطاع الرأسي في الدولة ولم تتسع لتشمل القطاع الأفقي الذي يمرر من المجتمع، فالنخبة البيروقراطية التي ورثت الكمالية ابتدعت ما أطلقت عليه، عقلنة الديمقراطية، واعتبرت أن المسألة الذين حاولوا ممارسة الديمقراطية فعلاً هدوا مصالح الدولة ومن ثم لا بد من استبدالهم بسياسة يتمتعون بالمشورية والإحسان ومتعدين للاستجابة للديموقراطية عقلنة هي تغير من جدل النخبة لتحديد السياسة الأفضل وليس للتوفيق بين الرؤى والمصالح المختلفة

ومهندسو النظام السياسي التركي كما أرسته تقاليد الجمهورية الكمالية جعلوه يتركز على ركيزتين أولهما، الجيش الذي مثل دائماً روح الدولة التركية فهو الذي استعاد لها استقلالها ثم النظام الحزبي الذي تأسس ليكون حزبين كبيرين أحدهما يمثل اليمين التقليدي والثاني يمثل اليسار التقليدي. ومع انقلاب عام ١٩٧١ وعام ١٩٨٠ اكتسب الجيش والبيروقراطية الموثقية

■ ■ ■ مجيء عبد الله جول إلى قلب القلعة العلمانية ليحتل المكان الذي تبوأت من قبله «كمال أتاتورك» مؤسس الجمهورية الأولى يضرب لنا الأحاسيس، فالجمهورية الأولى كانت ضد مجتمعها تبنت العلمانية كمقدسة وبيروقراطية لا تعرف التعتد وترفض الدين الإسلامي وتوقل أن التقدم هو عند الغربي، ولذا فكل التماثيل المنصوبة لأتاتورك في العاصمة السياسية لليبلا، أنقرة، أو العاصمة الثقافية إسطنبول، تشير ناحية الغرب، الجمهورية الأولى التي أسسها «أتاتورك» جاءت على أسنة العنف والقتل استناداً إلى ثقافة دوتلية لا تعرف الرحمة، وكانت نموذجاً لدولة من بنات أفكار مؤسسها ولم يكن لها وجود في أرض الواقع، إلا ظل المجتمع مغاضباً لها وإفهاماً لتعجزها وأسلوبها الفوقي الذي أسس لنخبة روجيه ومصرفية مع الشرائك السابق للجمهورية، فحتى موت مؤسس الجمهورية الأولى عام ١٩٣٨ م عرف الدستور الذي وضعه عام ١٩٢٤ م أكثر من عشرة تعديلات دستورية كلها كانت تسعى لإلزام أي تغيير عن الإسلام في البنى القانونية أو السياسية أو الاجتماعية للدولة بما في ذلك طبعها الإشارة إلى أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام، ولم يوضع نص علمانية الدولة في الدستور إلا عام ١٩٣٧ م، ومثل «عصمت إينونو» خليفة «أتاتورك» معاً، كما كان يطلق على «أتاتورك» استمراراً لتقاليد الجمهورية العلمانية التي أصبحت العلمانية فيها أيديولوجية فاشية متعسبة، جعلت من مصطلح «كمال» الرجل الصنم، وتحت الضغوط الاجتماعية والخارجية معاً اضطر «إينونو» إلى أن يقبل بالتعددية الحزبية وطهر «الحزب الديموقراطي» الذي قاده «عبدان شنتريس» عام ١٩٤٦ وبذلك انتقلت تركيا من نظام الحزب الواحد إلى نظام التعددية الحزبية، وفي انتخابات عام ١٩٥٠ اكتسح «الحزب الديموقراطي» الانتخابات النيابية وتسد المشهد السياسي حتى انقلاب عام ١٩٦٠ م وهو الانقلاب الذي عمد التدخل العسكري في الحياة السياسية التركية

وفي الواقع فإن الديمقراطية التركية كما أسس تقاليدها العسكري

الديمقراطي اصواتا ساحله لعصر
تحاور الايديولوجيات السياسية المعقدة
هور. عبد الله جول، سرتاسه
الجمهورية الصعة العلمانية والى
حواره رئيس الحكومة طيب اردوغان
هو تعبير عما يمكن ان نصصه بالمصطلح
العثماني، واقعة خيرية معاصرة، تجسر
الصجوة، التي اقامتها الكمالية العلمانية
بين الدولة والمجتمع التركي وتفتح الباب
واسعا امام امل راووت الغالبية العظمى
للأتراك وهي كيف تستعيد الدولة
التركية ومؤسساتها السياسية والقانونية
وظائفها وعماليتها امام تحول
البيروقراطية العسكرية التي تتذرع دوما
بحماية العلمانية وتعرضها للخطر وهي
درعية كانت مقبولة وممكنة في ظل
الجمهورية الأولى اما في ظل الجمهورية
الثالثة ذات الوجه المستند إلى ارادة
الشعب واختياره من ناحية والى تمثل
العقل التركي الكبير الذي يعرف كيف
يصل إلى أهدافه دون مواجهة واستمزاز
هنا هناك امالا تتعاظم باستعادة دولة
الخلافة لهويتها وتماسكها في الداخل
و تأثيرها الإقليمي والدولى في وقت
تتعاظم الحاجة إليه في الخارج ■

محاولات جرت في هذا السياق لم تكتمل
بعد تمثلت في تغيير الدستور التركي
بما جعل العلية في مجلس الأمن القومي
التركي للمدنيين، كما سيأخذ في حسابه
المركب الطامس - الإسلامي، وكما يقول
هايتس كرام في كتابه الهام، تركيا المتغيرة
تبحث عن ثوب جديد، ليس الخيار
الحقيقي بالنسبة للأتراك في عظميه
تصميم دولة حديثة قادرة على مواجهة
تحديات القرن الواحد والعشرين خيارا
كفالية علمانية من ناحية وإسلام سياسي
أصولي من ناحية ثانية، فالخيار الحقيقي
هو الخيار بين أسلوب قائم على دولة أكثر
تسلطا في تنظيم مجتمع سريع التغير،
يشكل فيه الإسلام عاملا اجتماعيا يتعدى
استنصاله من جهة واسلوب قائم على
مجتمع مدنى أكثر ديموقراطية في
التعامل مع عملية التغيير من جهة ثانية
فتربكا الجديدة هي تلك التي تعتمد
أسلوبا للإدارة ذات طابع مدنى
ديموقراطي يأخذ في حسابه انتقال
الإسلام من الهامش الذى وضعه فيه
الأتاتورك، إلى القلب الذى فتح له طريقه
أوزال، ولم تعد الكمالية ولا حزب
الشعب الجمهورى أو اليسار

الحداثى والتراث والصميم الإسمانية
والعقلانية.



والتحدى الأكبر الذى يواجهه مؤسسو
الجمهورية الثالثة هو كيف تحول الدولة
التركية من دولة صميقة، إلى دولة فيها
جانب لا يمكن رايته أو معرفته يخترق
النظام السياسى لصالح فئات معينة إلى
دولة طليعية، يحكمها ويوجهها القانون
وحده ولا شيء غير، والدستور الذى يحكم
البلاد والدى وضع عام ١٩٨٢ هو محل
سخط النخبة التركية لأن الجيش هو الذى
وضعه متحالفا مع حزب الشعب الكمالى،
وقال عنه رئيس محكمة الاستئناف، سامى
سلجوق، عام ١٩٩٩ م، تركيا لا يمكن ويجب
ان لا تدخل القرن الواحد والعشرين
بدستور قاربت درجة شريعته الصفرة، ومن
ثم فإن مطلب تغيير الدستور هو على سلم
اولويات مؤسسى الجمهورية الثالثة، وهذا
المستوى سيأخذ في حسابه بالضرورة
التوازن المدنى - العسكرية بما يسمح
بتراجع تأثير العسكرية على المدنى وهناك

والمحافظين في بداياتهم وقيهمهم
والعلمانيين وساء الطليعية لوسلى
والطلاب والشباب والمرأة وكذلك قطاع مهم
من المضراء، فقد حصل الحزب على ١٧
من الأصوات فى الانتخابات الأخيرة التى
جرت يوم ٢٢ يوليو محققا بذلك تقدما
كبيرا مقارنة بنتائج الانتخابات الماضية
لتي جرت في نوفمبر ٢٠٠٢ م، ومثل
الإنجازات الاقتصادية التى حققها فريق
حزب العدالة والتسمية المحمى الرئيسى
لتصويت المواطن التركي له،
والحدث الأهم هو أن يمثل سدة
رئاسة الدولة، عبد الله جول، رفيق كفاح
رئيس الوزراء التركى، طيب اردوغان
تستخدم مؤسسات الدولة ومؤسسات
المجتمع معا من أجل إنجاز المهام الملقاة
على هاتق مؤسسى الجمهورية الثالثة
دوى، لجنود الإسلامية والمدنى يسمون
المنسجم بأنهم، ديموقراطيون
محافظون، والديموقراطية المحافظة
تصر عن استحضار التقاليد العثمانية
ذات الطابع المدنى التى تغلب التوافق
والولاء على المواجهة والصراع، كما
ترهص الاستقطاب والثنائيات التى تلى
الأخرى وتسعى لبناء حالة لتسجم فيه

...نعمل من أجلك

خطوط الطيران
و السفر

عقارات

مطاعم

لخدمة رسائل المجانية أدخل على موقع YellowPages.com.eg

موقعك للأعمال فى مصر



الشيخ والحركة

حسام تمام

■ الشيخ يوسف القرصاوي هو ابن خالص لحركة الإخوان المسلمين. فلم يعرف عنه انتماء حركي أو فكري لغير جماعة الإخوان ومدرستها. كما لم يعرف له خروج صريح منها أو عنها. وقد صرف القرصاوي بحركة الإخوان ريمًا بالقدر الذي عرفت به. وارتبطا معا في كل مراحل العمر كأنك تقرأ تاريخها حين تقرأ مذكراته التي صدرت في ثلاثة أجزاء حتى كتابه هذه السطور؛ وكأنه يكتب عن نفسه حين يلوخ للجماعة في كتابه. الإخوان المسلمون سبعةون عاما في الدعوة والتربية. يشرب عمر القرصاوي من عمر الإخوان (ولد في عام ١٩٢٦ وتأسست الجماعة بعد ميلاده بعامين) وتاريخه في الدعوة يكاد يتطابق مع الفترة الأبرز في تاريخ دعوة الإخوان.

كان القرصاوي واحدا من أبناء جيل من الأهرية الذين التحقوا بالجماعة وتعلموا في مدرستها ونشطوا في دعوتها. جيل هم أشهر الأسماء في عالم الفقه والدعوة من أمثال الشيخ محمد الغزالي وسيد سابق ومتولي الشعراوي وعبد الحز عبد الستار وعبد الستار فتح الله سعيد وعبد الرشيد صفور وأحمد العسال وعبد العظيم الديب وخالد محمد خالد ومناع القطان وأحمد الشرايبي وصالح أبو إسماعيل وأحمد حسن الباقوري ومحمود عبد الوهاب فايد ومحمد سيد طنطاوي ومحمد المختار المهدي وعبد الله الخطيب ومحمد الراوي ومحمد الجبري... حتى يمكن النظر إليه كمحل مؤسس في علاقة الأهر بالحركة الإسلامية الأم.

ورغم أنه كان واحدا من العشرات بل وربما المئات الذين التحقوا بالجماعة من طلاب الأهر الشريف وخريجيه إلا أن القرصاوي كان نسيج وحده في علاقة الشيخ بالحركة وفي وضعه الأهرية في الحركة الإسلامية؛ فالآخرون ممن تشابهوا معه في تجربة الالتحاق بالحركة الإسلامية إما استوعبهم الحركة كاملا داخلها هتماها فيها حتى فقدوا شخصية العالم الأهر المستقل. فلم يعد لهم وجود أو تأثير أو اجتهد خارجها (كما هو الحال مع الشيخ محمد عبد الله الخطيب عضو مكتب الإرشاد الذي يلقب بمفتي الجماعة وهو أقرب إلى ممثل للتشيع لدى الأهرية

أكثر منه ممثل الأهرية في التشيع. ومثله أيضا الشيخ أبو الحمد ربيع عضو مكتب الإرشاد الراحل). أو اصطفوا بها حين عبروا عن ذواتهم وأفكارهم وأحسوا مذاتهم الأهرية، وما تحمله أو تفرضه من استغلال العالم الأهرية (كما جرى مع الشيخ محمد الغزالي الذي فصلته الجماعة ضمن من عرفوا بمجموعة المشايخ الأهرية في تداعيات أزمة صداها مع النظام الناصري عام ١٩٥٤ أو الشيخ عبد الستار فتح الله سعيد الذي استقال من مكتب الإرشاد في عام ١٩٨٧ بسبب ما اعتبره سيطرة اليساريين على الجماعة وعدم اعتبارهم للأهرية). إنهم لبثوا مبكرا مقاربة تقوم على ترك مسافة بينهم كعلماء أهريين وبينها كحركة تجمع ما بين الدعوة والسياسة (مثلما فعل الشيخ محمد البري الذي صار رئيسا فيما بعد لجبهة علماء الأهر. والشيخ محمد المختار المهدي إمام أهل السنة الرئيس العام للجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة. والشيخ محمد متولي الشعراوي - إن صححت رواية أنه كان إخوانيا الذي ابتعد مبكرا عن الجماعة وكان يرى أنه من الأفضل للإنسان أن يبقى مع الإخوان فترة التكوين التي يأخذ فيها خير الحركة ثم لا بد أن يتركها قبل أن يطلوه أداما: الذي كاد يعني به صراعاتها السياسية).

وحده يوسف القرصاوي كان الشيخ الذي استطاع نسج علاقة خاصة وفريدة مع جماعة الإخوان؛ في علاقة الشيخ المتحقق والحركة التي دالما ما كانت ترتاب من كل من يجعل بداخله جينات الاستقلال في الفكر والحركة... حتى شاعت فيها مقولة أن (لا مكان في الإخوان لعسكري ولا أهرية)!

لقد امتلكه الشيخ يوسف القرصاوي مواهب وقدرات أتاحت له بناء علاقة خاصة مع حركة الإخوان المسلمين. وفي علاقة نادرة قلما تتكرر بين شيخ أهرية وحركة تجمع ما بين الدعوة والسياسة. إن تفهم هذه العلاقة الخاصة والفرعية يتطلب الإمساك بمفاتيح أساسية يمكن أن تفتح أمامنا أبوابا واسعة للتعرف على مساحات مارلت مجهولة في حياة الشيخ يوسف القرصاوي آخر حبات العقد في جيل من كبار مشايخ الأهر الشريف

لا يتفصل القرضاوى الإنسان عن الداعية حتى في عطلات الصيف وإجازات السياحة.

فهو في كل بلد يزوره يحل ضيفا على الحركة الإسلامية الممتدة في أنحاء العالم العربى وفي المهاجر: يدعو أبناءها في مناسبتهم وقايعلياتهم الخاص منها والعام يقوم بينهم خطيبا وواعظا. فهو لا يفصل بين وقت السفر والاستجمام والترفيه وبين ما يراه واجب الدعوة



والمحاضرات التى أنقأها هي العامس في عمل القرضاوى منذ أن عمل بقمس نشر الدعوة في بداية حياته وطوال أكثر من ستين عاما لم يتوقف فيها عن الخطابة ودروس الوعظ حتى وهو يكتب الكتب أو يقدم برامج داعية (ورؤية) أو يراجع التلنظ الشهيرة مثل (الشريعة والحياة) أو (هدى الإسلام). لقد بدأ القرضاوى الخطابة ودروس الوعظ ولم يتحصل بعد على الشهادة الثانوية. فخطب في مسجد قريته ولم يزل ابن الستة عشر عاما واشتهر حتى أصبح مناسج بأسسه. ثم استمر في الدعوة وبعظا وخطيبا هي الجامعة الأزهرية وفي صفوف الحركة الإسلامية التى كانت تستعين به في عمل قسم نشر الدعوة. وحتى حتى استأجنت به في قسم الاتصال في العالم الإسلامى فقد كان دوره دعويا يقوم على إعطاء دروس الوعظ والتعريف بالهكرمة الإسلامية خارج القطر (كما يحكى في مذكراته عن رحلته الأولى إلى مصر). وفي محبته مع الإخوان في الحاشية- القرضاوى إبان صدامها الأول مع النظام الناصري عام ١٩٥٤ كان القرضاوى الإمام الذى يصلى بأبناءه والمداينة الذى يخطب فيهم ليثبتم معاني الإيمان والخبر والنيات وكانت هذه مهمته الأولى وربما الوحيدة إذا اعتمدنا مذكراته الشخصية. حين هاجر إلى الخليج كان أبرز ما يرف به واشتهر كونه داعية موهبا يمتلك أسباب النجاح من قوة حافظه وسلامة لغة وحسن بيان وسعة ثقافة وقدره على الخطابة واستشارة عواطف الجماهير وهو ما كان سببا في توقيفه في الرحلات الدعوية التى كان يقوم بها في أنحاء العالم وما زال منذ انتقاله للإقامة في قطر.

يدكر له تاريخ الحركة الإسلامية في نشأتها الثانية في عقد السبعينيات في مصر كان الداعية الأكثر تأثيرا في الجماعات الإسلامية التى نشأت في الجامعات المصرية هذه الفترة، وأنه تقاسم مع الشيخ محمد الغزالي الدينامية كان سببها ما ولم يكن قد غادر البلاد وقت الحقبة الناصرية. مهمة التأثير في القطاع الأكبر من هذه الجماعات بما أدى إلى نقلها تدريجيا تيار الإخوان المسلمين ثم تنظيمها.

كان القرضاوى أول خطيب لصلاة العيد

كما كان من أول من تعاطى بقوة مع موضوع الحقوق الاجتماعية والسياسية للمرأة بدعم الأستاذ عبد الحليم أبو شقة في إصدار موسوعته الشهيرة (تحرير المرأة) في مصر (الرسالة) التى يمكن أن تعد أهم ما صدر في هذا الباب وتصدى بجرأة كبيرة مزاج التشدد والميل للتحريم في مسائل المرأة التى سيطر على الحركة الإسلامية إبان السبعينيات، ولم يذهب في بعض الأحيان إلى مخالفة شيخه ومرشده الشيخ حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان متلمذا فعل في إباحته لعمل المرأة كاملا والإفهار لها بالحقوق السياسية كاسية (المشاركة) في الانتخابات تصويتا وترشيحا) على الرغم من أن البنا كان يذهب إلى عكس ذلك. وللقرضاوى أصول لطيفة من البنا (مركز المرأة في الحياة الإسلامية) يمكن أن تلخص رؤيته الشاملة ومنهج في التعامل مع قضايا المرأة.

ولم تكن القرضاوى جراته كعقبه على التعامل مع عدد من الإشكالات الفقهية التى كانت عذبة أمام تطور الحركة في بعض مراحلها: خاص مسائل الفقه السياسى، فهاء القرضاوى ليسلك للحركة هذه التكايلات ويقدم لها المحفز اللازم فخلعت فتواه بجواز نشأة الأحزاب السياسية وتعمدها (باعتبار أن الأحزاب في السياسة مذاهب في الفقه) وبحق المرأة في ممارسة السياسة تصويتا وترشيحا.

ولم يكن القرضاوى في حركة الإخوان مجرد فقيه لثأى إليه في مسائل الفقه الخاصة. كما لم يتوقف دوره عند تلبية حاجات الحركة من الفقه المسير (فتح السنين) والميسر (بكرها)، بل كان فيها داعية مبررا تهتزل له أعود المنابر وتنتشر الخطبة ومواقفه البليغة والفاعليات والمقبات الإسلامية الخاص منها بأعضاء الحركة ومحازبيها أو الفتوة لجمهور الصحوة الإسلامية ووجه آخرهم هي وجوه القرضاوى التى أشرت إلى علاقته بالهكرمة الإسلامية.

ليست هناك إحصاءات موثقة كما ليس ممكنا الحديث عنها أصلا، لكن بالإمكان ويقرر لا بأس به من الثقة بالقول بأن القرضاوى كان الداعية الأكثر تأثيرا في تاريخ الحركة الإسلامية اعتمادا على كونه صاحب البايح الأكبر في هذا المجال عبر آلاف الخطب والدروس

بعد المسلم المعاصر يجد عنتا في التعامل مع الفقه ومسائله. بل صارت كتب الفقه جزءا من مكتبة المسلم المتمر كما هو الحال في كتاب الحلال والحرام نفسه والذى طبع ما يقارب من ثلاثين مرة وترجم إلى أكثر من عشرين لغة! يستثمر القرضاوى في توجهه هذا خاصة بعد القبول الحسن الذى لاقاه كتابه (الحلال والحرام في الإسلام) واستولى كتاباته التى تبسط مسائل الفقه وتقريره للقارئ غير المختص فيصدر له (فقه الزكاة) في مجلدين، ثم (فتاوى معاصرة) في ثلاثة مجلدات، ثم يخص سلسلة كاملة لهذا الغرض سماها سلسلة تيسير الفقه أصدر منها: الصيام، الطهارة، أصول الفقه الميسر... ليصبح القرضاوى أهم شيخ معاصرة تيسير الفقه وتقريره التى استفادت من حركة الإخوان والحركة الإسلامية في عمومها في بسط مشروعه الذى اعتمد على نقل مسائل الشرع من الخاص إلى العام وتجاوز احتكار المؤسسات الدينية للمعرفة الدينية.



لم ينف دور القرضاوى الفقيه على تبسيط الفقه وتقريره وتيسير مسائله على أهمية هذا العمل إذا ما وضع في سياقه التاريخى، بل تجاوز ذلك إلى المعنى لحسم كثير من المسائل الفقهية التى لم يكن يحوز على الإقترب منها والكلام فيها- فضلا عن التيسير بضانها- غيره من أولئك الحركة من قبل. فكان من أوائل من تكلموا في قضايا مثل الحكم الشرعى للموسيقى والفناء، فخصص جزءا وافرا من كتابه الفقه (الحلال والحرام) لهذا الموضوع وكذلك تطرق له في (فتاوى معاصرة) ثم أصدر كتابا كاملا في الباب نفسه فكتب كتابا من (الإسلام والنز) وثانیا عن (الفقه والفناء والموسيقى في ضوء الكتاب والسنة) وآخر عن (التهوى والترجيع). لقد تبنى القرضاوى في هذه القضايا المنهج التيسير والإباحتة ولم يتوسع في المنع والتحریم كما كان يفعل غيره وكان في عيه- دائما- حاجبة مشروع الإسلام إلى التيسير بإتباعه مشروع أمة وليس مشروعا فرديا يمكن لصاحبه أن يتوسع في المنع إتباعا لقاعدة سد الذرائع.

الجديد الذين ملئوا الدنيا وشعلا الناس.

أول مفاتيح العلاقة نجده في: تعدد وجوه القرضاوى ومن ثم المواقع التى احتلها والأدوار التى لعبها في الحركة. فالقرضاوى يمثل نمطا فريدا بين الأزهرية يستعيد ثرات العلماء الأوائل الذين يجمعون بين علوم ومعارف ينذر اجتماعها في شخص واحد في هذا الزمن الذى أصبح زمن التخصص بل والتخصص الدقيق داخل الفرع الواحد من المعارف والعلوم. ويكاد القرضاوى- الذى يبدو متأثرا بنموذج الإمام أبى إدريس الشافعى- أن يكون آخر حبات عقد هذا العقد الذى انقطع.

فالقرضاوى في أحد وجوهه هو أمرز ممثلى مدرسة تيسير الفقه الإخوانية التى قامت على أهمية تقريب الفقه وتيسيره واتى نجحت في أن تخرج الفقه من التثان الخاص إلى الشأن العام، وهى المدرسة التى بدأها الشيخ سيد سابق بكتابه فقه السنة الذى وضعه بتكليف من الشيخ المصطفى حسن البنا وقد لم يقصدته المستحسى به وتعرف بأهميته. وإذا كان للشيوخ سيد فضل السبق فقد كان القرضاوى الأشهر بين فقهاء هذه المدرسة والأكثر قدرة على التجديد والاستمرارية. وقد كانت بدايته مع كتابه الشهير (الحلال والحرام) فى الإسلام الذى أصدره عام ١٩٥٩، فكان أول وأشهر كتبه التى عرفت به فى العالم الإسلامى على نطاق واسع لا تنحصر أهمية كتاب (الحلال والحرام) للقرضاوى في مجرد اختياراته الفقهية التى تمثل لرفع الحرج والتيسير على الناس وهو منهجه الذى التزمه طوال حياته (التيسير في الفتوى والتشريع في الدعوة). ولكن تعداها إلى أهمية مقارنته التى تعتمد تقريب الفقه وإتباعه للمسلم غير المكشوف بالعلم الشرعى. إن القرضاوى في هذا الكتاب الذى افتتح به حياته في التأليف يخرج الفقه من كتب الفقهاء المكشوفة بلغة تراثية متخصصة بل ومفصلة أحيانا ويوصفه بلغة معاصرة سهلة قريبة من معجم المثقف بل والعصرى بما يسمح لغير الفقهاء بالتعامل مباشرة مع مسائل وقضايا يحتاج إليها في حياته اليومية.

مع كتاب (الحلال والحرام) وما تلاه من كتابات فقهية أخرى للقرضاوى لم



في كل قضايا الأمة ومعاركها وأزماتها كان حضور القرضاوى يتأكد يوماً فيوم كزعيم ومحرض سياسي للشارع الإسلامي والمسلم في كثير من الأحيان. حتى صار تبنيه لقضية ما مقدمة أكيدة لتحويلها إلى قضية من قضايا الأمة

بعض

وتحريض الناس من أجلها. هاجمته ف قضية فلسطين مبكراً اهتمامه، وخطب وحاضر من أجلها في كل مكان زاره وادّفع عن الحقوق الفلسطينية مؤكداً على أنها أرض إسلامية من النهر إلى البحر وأنه لا حل إلا بقيام دولة إسلامية على أرضها عاصمتها القدس. وقال فيها فحسانه من الشعر حفظ الناس من مقلعها يقول فيه: فلسطين بلا قدس... كجثمان بلا رأس.

وكان من العلماء الذين وقعوا على فتوى بأن أرض فلسطين كلها وقف إسلامي لا يجوز التصرف فيه سدا لطريق على التنازلات التي كان يخشى منها مع بدء الحرب معاوضات مع الكيان الصهيوني. واستمر الرجل يولى اهتماماً خاصاً بالقضية الفلسطينية باعتبارها قضية الأمة المركزية وادّفع عن العمليات الاستشهادية حتى وصّته الولايات المتحدة على قوائم المنوعين من دخول أراضيها ولا حقه اللّوئى الصهيوني في بريطانيا لشمه من ريارتها. ثم هو الذي دشّن من أجلها مشروعات الدعم المادى والمعنوى وعلى رأسها مشروع التلايف الخير. وزيما لم تتجرع قضية تهمة الأمة أو الحركة الإسلامية إلا لا وقف فيها القرضاوى محرضاً يقدم وقود الحركة. فعل ذلك من أجله الفتوى والاحتلال الصهيونى لأهاليها واستمر في حشد التأييد للمجاهدين حتى انسحاب السوفييت منها. وفعل ذلك في الهزى الأمريكى لتعراق فكان أعلى الأصوات وإكثرها تأثيراً في رفض الحملة الأمريكية على أراضيها فأبوى بوجود الجهاد لمقاومة الغزى الأمريكى ثم لجأوا هذا الاحتلال. وكان من أكثر العلماء الذين أعلنوا موقفهم صراحة من اعتبار القوات الأمريكية في العراق قوات احتلال يجب على الأمة مقاومتها ويجب عليها دعم المقاومين لها. وجر موقفه هذا عليه حملات إعلامية من بعض المنابر الإعلامية التى اتهمته بدعم الإرهاب.

تكرس الأمر في أزمة الرسوم العدد المائة وحسمة. أكتوبر ٢٠٠٧ م

عرف داخل الحركة إلى فترة تيمو قريبة حتى ما قبل انشغاله. ثم هو قضى فترة داخل الجماعة يقوم بمهام التريبية والتكوين للإخوان من خارج القطر المصرى أثناء عمله ضمن قسم الاتصال بالعالم الإسلامى كما يروى في مذكراته من رحلته إلى سوريا والأردن ولبنان. ثم هو الذى تصعد دوماً متابعاً الحركة في مراحل نموها بالنصح والتوجيه وسعى إلى إرشادها إلى الوجهة الصواب فكتب عدة رسائل مهمة كانت كلها تدور حول ترشيد الحركة من أمهات الصفوة الإسلامية بيس الجسود والتطهر والصحة الإسلامية وهجوم الوطن العربى والإسلامى. والنصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق الدموم. والصحة الإسلامية من المرافقة إلى الرشد. وس لأجل صراحة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدين. وأولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة... إلى غيرها من مؤلفات ناصحة للحركة ولكن من داخلها: قد تحمل نقداً ولكنه بروح الحب الحادب عليها.

وجود القرضاوى في حركة الإخوان تتجاوز الشيخ أو العالم الأزهري إلى المحررس السياسى الذى يقدم الوقود الدينى لقضايا الحركة السياسية ومعاركها سواء أكانت معارك خاصة بالحركة أو كانت تتعلق بالقضايا العامة. أو، فضليات الأمة، التى احتجبت لعمه أولوياته فيما بعد حين كف عن دخول السياسة من باب الحركة الإسلامية الخاص.

لقد شارك القرضاوى في مستقبل حياته بالخطابة السياسية تأليفاً وعملاً لرشحى الإخوان في الانتخابات البرلمانية التى ترشحوا لها في أوائل الخمسينيات. وكان يتنمّل بين المدخطينة حتى وصل في جولاته إلى جنوب الصعيد محرضاً الناس على تأييد مرضى الإخوان.

وحين انتقل إلى خارج البلاد وترجمت أعماله لتغطية التريبية القرضاوى بهذا الدور في فضليات الأمة لى كان أبرز من تولوا الدفاع عنها

به المرض فصنعه الأطباء من الحركة خضية تدمر حالته الصحية وإراحة له من غناء السفر والخطابة (وكان ينتظر تمام الثمانين أمد الله في عمره). ولما علم بأصرار إخوان الحركة الإسلامية في مدينة مكناس التى تبعد عنه بمئات الكيلو مترات واجتماعهم بالألاف انتظاراً لللقاء سافر طائرة خاصة وخطب هيهام أكثر من ساعتين متواصلتين لا يقطعها إلا التكبير وصيحات التحريم.



والقرضاوى لدى حركة الإخوان ليس الفقيه والناحية الذى يكتبه بعد الحركة ناظرًا الفقهى والدعوى حسب بل هو بالنسبة لها أيضاً المرى والمؤثر التريبى وهو وجه لا يقل أهمية فى وجود القرضاوى. فهو شارك مبكراً في وضع البناء التريبى والثقافى داخل التنظيم عبر سلسلة مقالات مطولة كتبها لهذا الغرض تحت عنوان ثقافة الداعية... كانت نشرها مجلة الدعوة التى كانت تصدرها جماعة الإخوان فى السبعينيات. (وقد صدرت مجموعة فيما بعد فى كتاب يحمل العنوان نفسه) ثم وضع كتاباً آخر عن (الوقت فى حياة المسلم) كان صوبها أساساً لجمهور الدعاة. ثم وضع كتاباً ثالثاً مالى الأهمية عن (مظاهر الغلو فى التكفير) كان له تأثير كبير في تحسين الوضع الصف الحالى من هذه الوجهة التى ضريت الحالة الإسلامية مدة عقدين. كما وضع القرضاوى تصوره فى التفصيلة التريبية للحركة فى كتاب مستقل (التربية الإسلامية ومرسة حسن البنا) بعد من أهم الكتب المعتمدة لدى الحركة فى هذا الباب.

كما كان من أبرز من شاركوا في عملية التطاير والتكوين لأبناء الجماعة داخل محاضراته التريبية الخاصة مثل لقاءات الاسر والكتائب وهى لقاءات مغلقة على أطر الحركة. وقد ظل يقوم بذلك منذ

الجامعة التى أعادت الجماعات الإسلامية إحياء سنة قافاتها فى الخلاء. فخطب أول خطبة صلاة عيد الفطر فى الحلة فى ميدان عابدين عام ١٩٧٦ واتى صارت من بعدها تقليداً ثابتاً. كما خطب فى العيد التالى فى استاد الإسكندرية. استمر القرضاوى فى عمل الداعية حتى بعد أن استقر استاذاً فى جامعة فطر. ولم يصرفه العمل البحثى والكتابة عن القيام بعمل الداعية من خطابة ووعظ. بل لم يتوقف عن هذا العمل حتى بعد أن بدأ يصفا على البرامج الدينية فى محطات التلازم والعضائيات. فرغم أن أكثر من أربعين مليون مسلم عبر العالم يتابعونه عبر برنامج الشريعة والحياة فى فضائية الجزيرة الشهيرة مازال القرضاوى ملتزماً بدور ومهام الداعية فى أسقط صورها. فلا يتخلف عن خطبة الجمعة فى مسجد الشهيير مالعاصمة القطرية الدوحة (مسجد عمر بن الخطاب) إلا لسفر أو مرض. ولا يعتبر عنها أو عن الصلاة برون المسجد أيا كان عددهم وإمامة صلاة التراويح لهم فى رمضان ووعظهم بين الركعات ثم الدعاء بهم دعاء طويلاً فى الوتر الأخير من الصلاة... لا يعترف القرضاوى بأن وسيلة من وسائل الدعوة يمكن أن تقضى عن أخرى. ولا يقلل أن يتوقف عن درس دعوى يحصره عشرات أو حتى مئات الناس لحساب برنامج فى قناة يشاهده الملايين.

بل لا يتفصل القرضاوى الإنسان عن الداعية حتى فى عطلات الصيف وأجارات السباحة. فهو فى كل بلد يزوره يحل ضيفاً على الحركة الإسلامية الممتدة فى أنحاء العالم العربى وفى المهاجر يدعو أبشاه فى مناسبتهم وهاعليتهم الخاص منها ويعمل ليقوم بينهم خطيباً واعظاً. فهو لا يفصل بين وقت السفر للاستجمام والترفيه وبين ما يراود واجب الدعوة أكثرنا كنا ضيوفاً فى ملتقى إسلامى فى المغرب. فى صيف ٢٠٠٦. وكان القرضاوى يقضى إجازة الصيف مع أهله فى مدينة طنجة. وألم



مثلما حسم القرضاوى انتماءه وولاه للخط العام الحركى للإخوان فقد وضع حسم انتمائه أيضا للتيار العام الفكرى الوسطى للحركة والذى أسسه مؤسس الجماعة. وهو التيار الذى يعرف بالتيار البنائى (نسبة للشيوخ حسن البنا)



لتلما بين جماعات الدعوة والعالمين فى حقها. فكتب عن: شمول الإسلام، والمرجعية العليا فى الإسلام للقرآن والسنة، وموقف الإسلام من الإلهايم والكشف والبرؤى ومن الثمائم والكهانة والرقى، والسياسة الشرعية فى ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها. وكيف تتعامل مع الترات والاختلاف والتمذهب... وكانت كتاباته فى هذا الموضوع - فى مجملها - شرحا وتطويرا للأسس العشرين التى وضعها الإمام حسن البنا كأصول للمشروع الإسلامى الحركى الأول (الإخوان المسلمين)، ولكن بصياغة جديدة وأكثر مناسبة للضدية التى صارت إليها الصبغة الإسلامية.

ثم لما صارت الحركة الإسلامية فى حسم سؤال الدولة، سواء نظريا أو واقعا كما جرى فى بعض البلدان التى تولت فيها السلطة اتحد القرضاوى إلى بيان شكل الدولة الإسلامية، التى يتصورها، وسعى لإجابة على إشكالات هذه المرحلة فكتب، ملامح المجتمع الإسلامى الذى ننشده، وشرعية الإسلام صالحة لتطبيق فى كل زمان ومكان، غير المسلمى فى المجتمع الإسلامى، الأقليات الدينية والحل الإسلامى، جريمة الردة وعقوبة المرتد فى ضوء القرآن والسنة

ولما انفتحت الحركة على سؤال الدولة والانفتاح على الآخر كان له سق الاشتراك مع أسئلة اللحظة، هكتب المسلمون والعولة. خطاسا الدينى فى عصر العولة، الإسلام والمسلمون وعلوم المستقبل على أعقاب الضرر القادم، المسلمون والتخلف العلمى، ورعاية البيئة العولة، وحوار الأديان والحصارات الإحاطة اللازمة بموضوعاتها نظرا لبيتها الفكرية المقدمة وأسس التى لمعها الشيوخ (كتب فى ذلك بعد السبعين) لأنه أن كان والدا فى توجيهه الحركة

عند التدقيق - تشابه وخريطة اهتمامات حركة الإخوان وبساطاتها حتى لكاد تتطابق معها. لقد اشتغل القرضاوى فى قصايا الدعوة والتربية، وقصايا الفقه والتفسير، وقضايا الاقتصاد والتنمية، وقضايا الثقافة والفكر، وفى العمل الحسى والإغاشى، وفى قصايا السياسة... وكان فى كل حركته يتفانى فترا ومنهجا مع حركة الإخوان إن لم يتطابق معها. ليس هذا فحسب بل إن كتاباته تأتى دائما إما لتقديم الأسس الفكرى والتشريع لعمل الحركة أو لتعكس قصايا الانتماء ومساحات الثور التى تعمق حركتها.

إبان الحقبة الناصرية فى الستينيات حتى كانت الحركة تواجه تحديا على مستوى مشروعها الإسلامى الذى صار موضوعا للفتد والتحدى من قبل أنصار المشروع الاشتراكى كان اهتمام القرضاوى بالدفاع عن هذا المشروع وحمائيه من موجه النقد التى كادت تعصف به فكتب الإسلامى (الحل الإسلامى فريضة الإسلامى) حاضرا كغفية أو كداعية وكعرض سياسى... ولذا غاب فلم يكن يغيب شعرة الحماسى الذى يلعب الشاعر ويشير العواطف ويجسد الأنصار والجماهير على قضائها.

وفى إبان انفتاح الصحوة الإسلامية على السبعينات اصعب عهد القرضاوى فى قصية ترشيد الصحوة الوليدة، فكتب سلسلة رسائل ولكت مهمة فى هذا الطوط (ظاهرة الفتو فى التفكير، أبى الخلل)، فقه الأولويات، الصحوة الإسلامية بين الجهد والتطفر، والصحوة الإسلامية وهجوم الوطن العربى والإسلامى، والصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتريق الدوم، والصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد، ومن أجل صحوة واحدة تجدد الدين وتقدس وجدانها وألويات الحركة الإسلامية فى المرحلة القادمة.

ثم لم تعدت تيارات الصحوة والجماعات المعاصرة له بما فتح باب التنافس بينها والتصادم فى بعض الأحيان حاول القرضاوى وضع أسس

اشتهرت قصيدته المؤبلة التى كتبها فى السجن الحرسى يصف فيها الأحوال التى عاناها مع معتقل الإخوان فى هذا السجن المرعب، وتعد مع قصيدة أيتاه للشاعر هاشم الرفاعى - من أهم قصائد السجون التى اشتهرت بين أبناء الحركة الإسلامية فى نصف القرن الأخير.

وللقرضاوى ديوانان من الشعر (نضجات ونضجات، والمسلمون قادمون) مثلت قصائدنا وقودا لتياب الحركة الإسلامية ببيت روح الثورة والرفعة فى الاعتقاد من الظلم ويلهمه معانى التصحية والعداء من أجل أمته. شاءت حرب الإبادة التى تعرض لها المسلمون فى اليوسنة والهرسك كانت هالعات التضامن التى تقيمها الحركة الإسلامية لا تبدأ أو تنتهى إلا بإبشاد قصيدته التى يقول فى مطلعها، أما عائد القسمت أنى عائد والحق يشهد لى ونعم الشاهد وعسى الخفيفة والكتاب القائد ويقودنى الإيمان نعم القائد وفى كل هالعات الجماعة التى كانت تقيمها الحركة الإسلامية كان القرضاوى حاضرا كغفية أو كداعية وكعرض سياسى... ولذا غاب فلم يكن يغيب شعرة الحماسى الذى يلعب الشاعر ويشير العواطف ويجسد الأنصار والجماهير على قضائها.



أما الفتح الثانى لفهم خصوصية هذه العلاقة الفريدة بين الشيخ والحركة فهو فى اتساع خريطة افكار الشيخ القرضاوى واهتماماته وشاملاته وتطابقها مع متيلتها لدى الحركة حتى يكاد يمثل وحدد حركة موازية لها دون تعارض معها.

لقد اتسعت خريطة اهتمامات القرضاوى وأعمالا بصورة ينذر أن تتكرر لدى أبناء جيله بصورة من خلفه من شيوخ الأزهر وعلمائه حتى من التحقوا بالحركة الإسلامية، وكانت المارقة أنها

الدنماركية المسينة للرسول صلى الله عليه وسلم فوقف القرضاوى محرصا للشارع المسلم على الغضب احتجاجا على إهانة الرسول الأعظم وقاد معركة الاحتجاج ضد الدنمارك وكان أبرز من دعا إلى مؤثر مصررة الرسول الذى عقد بالعاصمة الجبرينية النخامة، ودش حملة المقاطعة للشركات والمنتجات الدنماركية حتى اضطر حكومتها إلى اتخاذ خطوات لتهدئة الراى العام المسلم، وحدث ذلك أيضا فى الأزمة التى خلعتها تصريحات البابا بنديكطوس بابا الماتيكان والتى تصممت إساءة إلى الإسلام والبنى محمد صلى الله عليه وسلم، فقد كان القرضاوى الأعلى صوتا والأكثر قدرة على حشد الشارع المسلم للاحتجاج ضد هذه التصريحات. وفى كل قضايا الأمة ومماركها وإزائمها كان حضور القرضاوى يتأكد يوما بيوم كزعيم ومحرض سياسى للشارع الإسلامى والمسلم فى كثير من الأحيان، حتى صار تينيه لقضية ما مقدمة أكيدة لتحويلها إلى قضية من قصايا الأمة. لقد كان القرضاوى صاحب الصرخة الشهيرة (ادفع دولارا لنقد مسلما) والتي سعى من خلالها لتعبئة جهود الأمة لدعم العمل الحسى والدعوى الذى تتهاجه، على أساس من دعوته هذه تأسست الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية فى الكويت والتى قامت لتحقيق هذا الهدف.

أما الوجه الذى لم يجب دائما للقرضاوى وكان شريكا فى كل وجوهه الأخرى وكان حاضرا فى كل أدواره داخل الحركة الإسلامية فهو وجه الشاعر، فهدم شرح شيايه وشعر القرضاوى حاضرا بين أبناء حركة الإخوان كتب ميكرا ولم يزل طالبا فى المرحلة الثانوية من سرحته الشهير (عالم وظافية) التى يصيد فيها من مقاومة الظلماء - فى نموذج سعيد بن جبير - ظلم الحكام العلة - فى نموذج الحجاج بن يوسف، فكان أبناء الحركة الإسلامية خاصة فى أوساط الشباب الجامعى يؤدون هذه المسرحية فى مناسبتهم وقافليتهم، كما



باستثناء رسالة (دعاة لا قضاة) لم تقدم الجماعة نقداً مؤسسياً لأفكار سيد قطب، بل كان الغالب أنها استحضرت أفكاره في مراحل مختلفة، خاصة بعد إعدامه وتحوله رمزاً للحركة الإسلامية



بأى اتجاهات فكرية أخرى فرعية تخرج به عن هذا التيار، بل لقد خاض ميكرًا مواجهات فكرية، ضد هذه التيارات خاصة المتشدد منها وكان من أبرز من تصادف لها.

حدث ذلك ميكرًا حين اختلف القرضاوى مع شيخه وأستاذه البهى الخولى مسئول الدعوة في المكتب الإدارى للإخوان في مديرية الغربية التى كان يتبع لها، فقد جمع الخولى عددًا من أبناء الإخوان النابهين وكون منهم ما أسماه بـ (كتيبة الذبح) بفرض تربيته تربية روحية خاصة مع المنهج الصوفى الذى يرى أن من لا شيخ له فلا شيوخه، وشيخه ويبلغ في طاعة المرشد تشيخه، دعا الخولى لتمييزه القرضاوى مع عدد من أقرانه النابهين (منهم أحمد الصال وعبد العظيم الديب من الأزهر). فرفض القرضاوى الشاب دعوة أستاذه بسبب ما رآه من تربية تخلف المنهج البناوى حيث تقوم على السمع والطاعة المطلقة وتستعسر الطريقة الصوفية التى تتقدم فيها شخصية المرشد لشعوب التى إرادة شيخه، وكان هذا وعيا مبكرًا من القرضاوى- ولم يزل شابًا في المرحلة الثانوية- بالتأثير الفكرى والتربوى الذى يتبنى إليه ويتمسكه بحيث يمكن أن يدافع عنه أمام من كان وقتها يقف منه موقف التلميد.

تكرر ذلك في خروج آخر ولكنه أكبر وأشد تأثيرًا على التيار البناوى فى الجماعة، وهو التيار القطبى (نسبة إلى الشهيد سيد قطب)، فقد تأثرت جماعة الإخوان بدءًا من النصف الثانى من عقد الستينيات بأفروحات سيد قطب التى كانت تحمل في داخلها أفلانا على أفكار المؤسس حسن البنا. كانت الأطروحات القطبية أكثر تشددًا وكثافة على النათ، وأكثر ميلًا للمفاضلة مع المجتمع والتصدى لما تراه خروجًا على المنهج الإسلامى، ومن ثم أكثر استعدادًا للتصادم مع المجتمع.

رما باستثناء رسالة (دعاة لا قضاة) التى تنسب للمرشد الثانى القاضى حسن الهسيبى لم تقدم الجماعة نقداً

المعارض للهسيبى وسياساته (يمثله الشيوخ محمد الغزالى وسيد سابق وعبد العزيز عيد الستار...) فلم يهمل الأمر بالقرضاوى إلى الانضمام إلى هذه الجبهة حين انشقت على الجماعة أو احتجت على قرار فصلها. بل التزم القرضاوى ما انتهت إليه القيادة المسكة بدفة التنظيم، وعاش معها فترة السجون والتزم بأوامرها وتكليفاتها دون أن يعلن خلافه معها أو رفضه لقيادتها رغم وقع السجن وهول التعذيب وسعى جمال عبد الناصر ونظامه لضرب وحدة الإخوان والتنظيم.

تكرر الأمر كذلك مع حزب الوسط الذى يمكن النظر إليه كأكبر انشقاق تنظيمي عرفته الجماعة منذ أزمة المرشد الثانى، فرغم أن القرضاوى كان متعاطفا مع هذا الشروع وغريما من أبناء الجيل الذى قاد التجربة - جيل الوسط - ورغم أن أصحاب الشروع الحزبى أكدوا في وقتها المديونية تأخرهم باجتماعها وأرأته في الفقه السياسى (جوار التقدمية الحزبية، وفكرة الإسلام الحضارى) إلا أن القرضاوى لم يدخل طرفها في هذا الشروع خاصة بعدما انتقل من محاولة تجديد إلى خصومة تنظيمية مع جماعة الإخوان والقيادة الشرعية لتنظيمها الشرعى، واكتفى بموقف الناصح للجماعة الناقد لسياساتها في هذا الملف والداعم فكريا ومعنويا من طريق غير مباشر لهؤلاء الشباب من جيل الوسط... واستمر القرضاوى يلقى سنويا وفي كل إجازة ربيع محاضرة في المنتدى الذى يعقده حزب الوسط يعقر المركز الدولى للدراسات في الوقت الذى يحل ضيفا على الفاعليات التى تقبها الجماعة في بعض النقابات المهنية أو نوادى أعضاء هيئة التدريس.

ملحعا حسم القرضاوى انتماءه ولاءه للحلح العام الحركى للإخوان فقد وضع حسم انتمائه أيضا لختيار العام الفكرى الوسطى للحركة والذى اسمه مؤسس الجماعة وهو التيار الذى يعرف بالتيار البناوى (نسبة لتشيع حسن البنا). ولم يعرف عن القرضاوى ارتباطه

للكتلية الأوروبية للدراسات الإسلامية في فرنسا. هيئة الرقابة الشرعية لشركة الراجحي للاستثمار بالسعودية هيئة الرقابة الشرعية لعصر قطر الإسلامى وبينك قطر الإسلامى الدولى ومصرف فيصل الإسلامى بالبحرين وباكستان وبينك الشقوى بسويسرا، المؤسسة الإسلامية الإسلامية العالمية بإسلام آباد، مجلس إدارة جمعية البلاغ الثقافية لخدمة الإسلام على الإنترنت، المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث والشلاف الخير... ثم الاتحاد العالمى لعلماء المسلمين الذى أسسه القرضاوى كأهم تجمع لعلماء المسلمين في العالم.



امتلك القرضاوى المفاتيح السايعة ولكنه لم يظدر بها بل ربما شاركه فيها آخرون بقدر يزيد وينقص، أما المضاغ الذى انخرط به فهو الفترة على صياغة علاقة فريدة مع التنظيم تتجاوز دون أن تصطبغ به، وقد نجح القرضاوى في ذلك بسبب توافره على جملة صفات خاصة وسبب استراتيجيته التى اتبعها في علاقته مع تنظيم الإخوان.

لقد حسم القرضاوى أمره ميكرًا وطوال علاقته بالحركة بالانتماء للخط العام في الحركة والدواء لقيادتها الشرعية الجمع عليها دون الارتباط في مشروعات جانبية يمكن النظر إليها باعتبارها تصيل -جويًا- تنظيمية أو تيارات مخالفة للجماعة، التزم القرضاوى بهذا الانتماء مهما كانت تقديره لكفاءة هذه القيادة مادامت شرعية ومجمعا عليها، ولم يتورط في مشروعات جانبية مهما كان اتفاهه مع أفكارها وتقديره لها.

لعد التزم القرضاوى هذا حين وقعت الأزمة الشهيرة عام 1984 واختلقت الجماعة حول شخص المرشد الثانى المشاشر حسين الهسيبى، فرغم أن القرضاوى كان أقرب إلى منطق وجهة من عرضوا بختيار المضايف والأضرعية

والاتجاهات الإسلامية إلى أهمية الاشتراك مع مثل هذه القضايا.

وقد عدد القرضاوى من وسائل وأليات عمله التى جمعت ما بين التقليد والحدائق، من الخطبة والدرس الوعظى والمحاضرة العلمية.. إلى برامج الإذاعة والتلفاز والمصانيف وموقع الإنترنت كما قارب ما بين الخاص والعام في حركته - من دورس تكوينية داخل الأملر التنظيمية بمستوياتها المختلفة إلى الوسائل المفتوحة التى تناسب العام من خارج التنظيم، وهو دائما رجل التنظيم بكل مستوياته ورجل العام بكل شرائحه وطبقاته.

كما نوح الشيخ القرضاوى في بناء مشروعه بين الجهد الفردى وبناء المؤسسات، حتى ندا أقرب إلى مؤسسة متكاملة، فقد نجح القرضاوى في بناء شبكة عالمية تشمل بكل انشطته وهتماماته وتغطيها حتى يكاد لا يستثنى مؤسسة من مؤسسات العمل الإسلامى بتخصصاته المختلفة في الأعمال العامة تقريبا منها إلا كان له بها صلة وثيقة، فهو عضو ان لم يكن مؤسسا لأهم مؤسسات العمل الإسلامى العالمية، تدين منها على سبيل المثال لا الحصر. مجلس إدارة مركز بحوث إسهامات المسلمين في الحضارة في قطر، مجمع الفقه الإسلامى التابع لرابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة، المجمع الفقهى التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامى بجنة المجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) بالأردن، مجلس الأئمة للجماعة الإسلامية بإسلام آباد، مجلس الأئمة مركز الدراسات الإسلامية في أكسفورد، رابطة الأدب الإسلامى، جمعية الاقتصاد الإسلامى بالقاهرة، الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت، مجلس الأئمة لمنظمة الدعوة الإسلامى في أفريقيا ومركزها الخرطوم، الهيئة الشرعية العالمية للركاة بالكويت، مجلس إدارة صندوق قطر الإسلامى لشبكة والصدقة، مجلس أئمة الوقف الإسلامى لجلة السلم المعاصر، المجلس العلمى



أدرك القرضاوي مبكراً أن موقعه الصحيح لخدمة دعوته وفكرته ليسس في العمل التنظيمي بالجماعة حتى وإن كان في قسمة همره



عنه تبدو دينية أو لأنها صعبة. لذلك تحول القرضاوي إلى مرشد لأنساء الجماعة وجموعها دون سؤال منهم عن موقعه التنظيمي داخلها.

كما امتلك القرضاوي كذلك القدرة على تجاوز الإطار التنظيمي وعقبائه ولكن دون الوقوع في مآزق الاضطراب للخروج عليه ومن ثم الاصطدام به. فهو استطاع إنجاز انتقال هادئ من المركز إلى التهم ومن التهم إلى خارج التنظيم

تخرج ودون صدام، لذلك لم يعرف عنه خروج تنظيمي رغم أنه حدث. ولم يتطرق جمهور الإخوان إلى السؤال عن علاقته بالتنظيم رغم أنه خارج التنظيم فعلا. بل وربما اكتشف الإخوان- فيما بعد- أنه

من الأفضل عدم إثارة هذا السؤال الذي يسهل له أن يطرحه من حيث يشترط عليه أن فعل أو موقف من الرجل إيجاباً ولا سلباً. لقد أدى امتلاك القرضاوي لهذه

القدرة في صياغة علاقة خاصة مع التنظيم إلى تحاوزه الإطار القرضاوي لهدد تنظيمياً وحركة إلى مواقع أخرى لم تكن مفتوحة فيها قبل أمام المدرسة الإخوانية مثلما هو الحال مع تيار السلفية

الإصلاحية. فصار القرضاوي مقبولاً بل وأحياناً مرجحاً معتمداً لدى تيار السلفية الإصلاحية في السعودية ودول الخليج. وصارت بينه وبين مروره صلات قوية كما هو الحال مع الشيخ سلمان بن فهد

السعودي وسفر الحوائلي وصالح بن جري - مثلاً مع الشيخ محمد الغزالي رغم وحدة الفكر التي تجمعهم كما في التطابق. ولم يكن مرد الأمر إلى حدة

العزالي إقصائه في نقد السلفية بما جر عليه خصومات وأعدت بينه وبينها الممارك. بل لقدرة خاصة لدى القرضاوي في إدارة العلاقات مع الضاعفين- الاتمامين بما يجعله قادراً ليس فقط على تجاوز الانتماء التنظيمي وما قد

يتمتع من من خلق برجائتي بقدر ما كان يقدر بدقة موقعه المقترض من الجماعة ويستشعر التغيرات التي تطرأ عليه ولزومه.

وقد استطاع القرضاوي الانتقال في علاقته بالتنظيم من موقع التبرعية أو الانضباط التنظيمي إلى لعب دور الإكترون الحر الذي ينتمي إلى الحركة ولكن دون أن يقع أسير مخططاته التنظيمية. إلى نقد قتل الجميع يعرفون

القرضاوي كواحد من جماعة الإخوان دون أن يماولوا في العمل التنظيمي. وضعتهم بقولا ورفضاً من قيادة التنظيم. ومع الزمن صار مثل هذا

التساؤل يقابل مسخريه إما لأن الإجابة قد عاد وجدد الرفض مرة ثانية عام مشهور حين عرض عليه المأمون الهضيبي التنازل عن المنصب له إذا ما قبل قيادة الجماعة. واعتبر القرضاوي

وقتها أنه قد صار ملكاً لألمة كلها بما يمنعه من أن يحضر نفسه في جماعة أو تنظيم ولو كان بحجم وانتشار وتأثير الإخوان المسلمين.... ولم يكن القرضاوي

يقارب الأمر من منطلق برجائتي بقدر ما كان يقدر بدقة موقعه المقترض من الجماعة ويستشعر التغيرات التي تطرأ عليه ولزومه.

وقد استطاع القرضاوي الانتقال في علاقته بالتنظيم من موقع التبرعية أو الانضباط التنظيمي إلى لعب دور الإكترون الحر الذي ينتمي إلى الحركة ولكن دون أن يقع أسير مخططاته

التنظيمية. إلى نقد قتل الجميع يعرفون القرضاوي كواحد من جماعة الإخوان دون أن يماولوا في العمل التنظيمي. وضعتهم بقولا ورفضاً من قيادة التنظيم. ومع الزمن صار مثل هذا

سياق صياغته لعلاقته مع الإخوان فهو قدرته المدهلة على تحديد موقعه المناسب له في الحركة وتطوير هذا الموقع وفق تطوره الشخصي وبحيث يتناسب مشروعه الخاص مع مشروع الحركة العام



مبكراً حدد القرضاوي موقعه في الحركة واختار أن يكون عمله فيما يتصل بتخصصه ومجال اهتمامه ونبوغه، فعمل في قسم نشر الدعوة الذي يتناسب

واهتماماته ومكانته الذاتية. وحين التحق بقسم الاتصال بالعالم الإسلامي ظل عمله داخل القسم منصباً على نشر الدعوة خارج القطر المصري ولم يكن عملاً تنظيمياً. بل إن القرضاوي لم يتردد دائماً

ومكراً في رفض العمل التنظيمي إلا ما يتصل منه بتسريعه لدى الشرعي. لذلك فلم يرحب بتولي المهام التنظيمية وكان أول موقع تنظيمي قبله هو مسئولية

الإشراف على الأزهر الشريف. ثم للرجل قدرة تثير الإعجاب على أن يحدد بدقة متى يبدأ التنظيم والعمل التنظيمي ومتى ينتهي في حياته وأين يلتقي معه وأين يتعد عنه،

وهو قادر على استشعار التغيرات التي تطرأ أو التي يجب أن تتم على علاقته بالتنظيم حضوراً وغياباً قريبا وبعداً. لذا لم يتردد الرجل الذي بدأ حياته

في جماعة الإخوان واعتقل بسببها مرتين أن يرفض منصب المرشد العام للصومانية وقبل أن يسقط نجمه. لقد رفض القرضاوي- حتى قبل أن يصل إلى الدنيا ويضلل الناس- منصب المرشد حين عرض عليه عام 1971 الذي كان قد خلا بعد وفاة المرشد الثاني القاضي حسن الهضيبي وبقيت الجماعة مدة عامين من دون مرشد.. لقد أدرك

القرضاوي مبكراً أن موقعه الصحيح لخدمة دعوته وفكرته ليس في العمل التنظيمي بالجماعة حتى وإن كان في

جدى مؤسسيا لأفكار سيد قطب. بل كان الغالب أنها استحضرت أفكاره وكتاباتاته في سبيلها الفكرية وتثريتها في مراحل مختلفة، خاصة بعد إعدامه وتحوله رمزا للحركة الإسلامية في كل أنحاء العالم

وأكد أجزء بأن الشيخ القرضاوي كان من أوائل من تجرأوا على نقد سيد قطب وسوا. إلى استعادة الإخوان للمنهج البناوي.

في الثمانينيات من القرن المائت وأثناء هلو الخطاب القطبي وسطوته كتب القرضاوي مقالة في جريدة الشعب المصرية القريبة من الحركة الإسلامية كانت الأولى في نقد بعض أفكار سيد قطب. ثم خصص فيما بعد مساحات كبيرة في الجزء الثالث من مذكراته

لاستكمال هذا النقد بما أثار عليه ثائرة عدد كبير من الكتبات والقيادات الحركية الإسلامية حتى من داخل جماعة الإخوان نفسها.. فكانت واحدة من المعارك الفكرية الإسلامية المهمة في الأوام الأخيرة.

ومثلما جسد القرضاوي للحركة خط الدفاع عن تيارها العام في مواجهة أفكار وافدة تعددت في فراغ غياب المؤسس مثلما حدث مع سيد قطب. فقد جسد القدرة على شتيل الخط العام للحركة

فكريا وفقهيا ولكن من دون الجمود الذي بل مع إعطائه طلاقة تجديدية، فربما أنه صار يمثل امتدادا فقهيا وفكريا وتثريو للإمام المؤسس للبنا إلا أنه لم يكن امتدادا

المقدد المشيخ بل الجدد القادر على مخالفة إمامه ولكن بخلاف التلمذ مع شيخه وليس خروجاً عليه تماماً كما فعل في رفضه ما ذهب إليه البنا من منع المرأة من حقوقها السياسية، ورفضه لموقف

البنا الرفض للأحزاب والحزبية، أو خلافه مع ما ذهب إليه البنا من إسكان ليس الجن بجسد الإنسان والقرضاوي يسوق اجتثاثه في هذا الصدد في سياق المجتهد الذي يكمل على خطى شيخه ولكنه يخالفه في بعض اجتثاثاته دون أن يمنعه ذلك من الإقرار له بالفضل والتقدم.

أما أكثر ما تميز القرضاوي به في



القرضاوى مرجعاً

معتز الخطيب

١ - السياق التاريخي:

■ شهدت العقود الأخيرة من القرن العشرين صراعاً على الإسلام؛ عقيدته وشرعيته ومرجعية. فقد نشب صراع بين الأنظمة القائمة وحركات الإسلام السياسي، كما نشب صراع بين الإسلاميين والتقليديين والاصوليين. ولا يزال ذلك الصراع قائماً عبر أشكال مختلفة. ومرد ذلك كله إلى مساحة التصورات وعالم الأفكار، وفي القلب منه تقع مسألة المرجعية التي يتم التنازع فيها وعليها. وتحديداً في الإسلام السنّي.

سقطت الخلافة الإسلامية في النصف الأول من القرن العشرين. وبعد الاستقلال عن الاستعمار نشأت الدولة الوطنية في العالم العربي. وحين صيغت الدساتير في تلك الدول وضع نص - في معظمها - يفيد بأن دين الدولة الرسمي هو الإسلام. والشرعية الإسلامية هي مصدر رئيس أو المصدر الرئيس من مصادير التشريع فيها. ومع ذلك نشب صراع حاد بين تلك السلطات والتيار الأصولي حول حقيقة (إسلامية الدولة، ونشأت أطروحة الدولة الإسلامية، التي تلخص مهمتها في تطبيق الشريعة، وتتفق على هذا المطلب جميع حركات الإسلام السياسي وإن اختلفت في وسائل تنفيذها

وفي ظل ذلك الصراع والتجدل الذي كان يدور معه، كانت فكرة المرجعية تشغل المركز فيه. ففي بعض الأحيان حافظت المؤسسة الدينية على استقلاليتها عن السلطة القائمة، ومارست سلطاتها بموازاة السلطة السياسية. وفي أحيان أخرى لجأت السلطة السياسية إلى استتباع المؤسسات الدينية لأجهزة الدولة، فأنشأ منافسوها مرجعيات دينية مرورية كثيراً ما اكتسبت شعبيتها من استقلالها عن الدولة.

المرجعية في الإسلام السنّي تقوم - في تكوينها وسيرارها التاريخي - على مرجعية فكرية غير مرتبطة بأشخاص. ومع وجود السلطة الإسلامية - تاريخياً - والتي ينتج عنها الفقه الإسلامي على اختلاف مذاهبه - بسلطة واسعة وفاعلية كبيرة في المجتمع. اتسع نطاق تلك المرجعية المرتبطة بمنظومة فكرية يعود الفصل في تشكيلها إلى تراكم معرّي تاريخي توارثه علماء علماء كثيرين. كان الفقيه هو ينظم جميع أفعال المكلفين المسلمين - مع في مركز العمل. وحياة المجتمع الإسلامي، وتلتخص

المصطلحات الحديثة في صوغ المصطلحات التراثية في سياق وعي ساد لدى العلمانيين بلا معقولة الدين، وأنه إحالة إلى التخلف. كما أن جزءاً كبيراً من خطاب الشيخ كان - على رغم موهبته تجاه العرب - يهدف للحفاظ على الهوية ومقاومة التقريب الذي هو تحول روي وفكري بانحياز ديانة الغرب، النبوية على حد تعبير جيرار ليكلرك



وعلى المستوى الفقهي، استطاع القرضاوى أن يحدد مقولات جريئة في الفقه التقليدي، ليضفي عليه طابع المعاصرة، وليثبت الفاعلية فيه فيستعيد دوره في الحياة العامة بعد أن قصته الدولة الوطنية، ومن هنا شكل كتابه الأول «الحلال والحرام» (كتبته سنة ١٩٥٩م) مساهمة بارزة استطاع من خلاله أن يوسع دائرة «الحلال»، ليجعل من الفقه أقل عبئاً على المسلم في حياته المعاصرة. الأمر الذي أسهم في انتشاره الكبير في الشرق والغرب، وأدى إلى اعتماد كثير من المسلمين فتاواه، وهذا أحد الأسباب التي جعلت منه أحد أهم رموز «الصحة» الإسلامية، التي ألفتت العلمانيين الذين كان يخوض مباركته الفكرية معهم. وفيما يخص الفقه السياسي الذي ضمير في الفقه التقليدي، فقد استطاع أن يسمي في تسميته بشكل واضح من خلال بحثه في مسائل الذمة والأقليات والدولة الإسلامية والحريات وكذلك في المجال الاقتصادي والبنوك الإسلامية، ومعالجة الفقر وغير ذلك مما يجب في نصرة فكرة «شمولية الإسلام»، التي وإن لم يكن منشئها، إلا أنه كان - في تقديري - من استطاع أن يحولها إلى وعي شعبي عام، بأن جعل من الإسلام نظام حياة - لجمهور كبير من المسلمين.

وهو في سبيل ذلك كله، كان يجرؤ على اقتحام مساحات سكت عنها غيره، وكانت تملأ بتجرا على الخوض فيها، وكانت توجهاته وأقواله تعكس استجابة جيدة لتحديات العصر، ومعرفة جيدة بالواقع. من خلال ما أسماه «فقه التفسير»، إلى جانب أنواع أخرى من الفقه، مثل «فقه الأولويات»، و«فقه الأقليات»، و«فقه المقاصد»، التي أصبحت (إلى جانب غيرها من المقولات، الدولة، الحريات، الديمقراطية، شمولية الإسلام ...) جزءاً من الخطاب الإسلامي المعاصر. كل - وجميع عوامل كثيرة ساهمت في تكون رؤيته، لعل من أبرزها، موسوعيته. فقد شارك وأسهم في علوم كثيرة، إلى

به الشيخ كثيراً، فمصطلح «الشريعة» يحمل أبعاداً سياسية، خاصة أنه انتشر في ظل الصراع على الإسلام الذي كان يتوغل على اتجاهات ثلاثة هي: خطاب يعتبر الإسلام المرجعية الشاملة. ومن أنز رموزه القرضاوى. وخطاب الدولة والمؤسسات الدينية التقليدية التي كانت تسعى لاحتواء الإسلام، والخطاب العلماني الذي تحول لاحقاً إلى ممارسة تجريد الدين لمحاولة كسب معركته على أرض خصومه.

٢ - مكونات المرجعية

والجدال بين تيارات المحافظة والتجديد كان يدور على ساحة الشريعة - بمعناها الشامل - ومحورها الفقه الإسلامي. وهنا يبرز الدور الذي أسهم به القرضاوى (إلى جانب شخصيات أخرى كالشيخ محمد الفزالي) في بناء مرجعيته وخطابه عبر أكثر من نصف قرن. فوسطيته التي تحدث عنها كثيراً قامت على حلول توفيقية وتصالحية، جمعت بين المحافظة والتجديد بعد أن نشأ صراع بينهما منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر. وهو في هذا استطاع أن ينشع خطاباً معاصراً يستثمر فيه

مهامه في ثلاث: التطبيق في المحاكم والقضاء، وأنه معيار المؤمنين في تصرفاتهم. وكذلك هو مصدر الشريعة للمجتمع والدولة. فالفقه هو الذي كان يقوم بدور الشرع وليس الدولة. وسلطة الفقهاء كانت سارية على الدولة فهو مصدر الشريعة للأفراد والمجتمع والسلطة. ومن هنا لم تستطع معظم الدساتير الحديثة أن تتجاهل مرجعية (الشريعة الإسلامية). لكن بقي ذلك على نطاق ضيق وغير فاعل في أغلب الأحيان. وهذا ما أدى إلى الحديث عن فكرة «الدولة الإسلامية»، والصحوة الإسلامية، بهدف إعادة الطابع الإسلامي للحياة العامة، وهنا كان اللجوء إلى الفقه لتلصق على حلول مناسبة لأسئلة الناس والعصر. شكلت تلك الشريعة الشغل الشاغل للشيخ يوسف القرضاوى. فهمة الدولة الإسلامية تطبيق الشريعة، وألف كتاباً سماه «المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية»، كما سعى لبرنامج التهور عبر قناة الجزيرة الفضائية «الشريعة والحياة»، والشريعة هنا ليست تطبيق قوانين العنصرية الإسلامية، بل إعادة الطابع الإسلامي للحياة، وهو ما يجسده تعبير «الحفاظ على الهوية» الذي انتقل

كتاب الزاوية



رسالة ابن فضال

عندما يسافر الروس!

قال أحمد بن فضال: وساعة تواش سفنهم إلى هذا المرسى يخرج كل واحد منهم ومعه خبز ولحم ويصل ولين ونبيذ. حتى يواشي خشية طويلة منصوبة. لها وجه يشبه وجه الإنسان. وحولها صور صفار. وحلف تلك الصور خشب طوال قد نصبت في الأرض، فيواشي إلى الصورة الكبيرة ويسجد لها. ثم يقول لها: «يا رب قد جئت من بلد بعيد، ومعى من الجوارى كذا وكذا رأساً، ومن السمور كذا وكذا جلدًا». حتى يذكر جميع ما قدم معه من تجاربه. ثم يقول: «وجئتكم بهذه الهدية». ثم يترك الذي معه بين يدي الخشبة - ويقول: «أريد أن ترضقني تاجرًا معه دنائير ودرهم كثيرة فيشتري منى كل ما أريد ولا يخالفنى هيمًا أقول». ثم ينصرف.

فإذا تمسر عليه بيعه وطالت أيامه، عاد بهدية ثانية وثالثة. فإن تعذر ما يريد، حمل إلى كل صورة من تلك الصور الصغار هدية. وسألها الشفاعة. وقال: «هؤلاء ساء ربنا وبناته وينوء، لا يزال يطلب إلى صورة صورة يسألها، ويستشفع بها ويتضرع بين يديها، فربما تسهل له البيع فيباع». فيقول: «قد قضى ربي حاجتي، وأحتاج أن أكافيه». فيعبد إلى عدة من الغنم أو البقر فيقتلها ويتصدق ببعض اللحم، ويحمل الباقي فيطرحه بين يدي تلك الخشبة الكبيرة والصغار التي حولها. ويعلق رؤوس البقر أو الغنم على ذلك الخشب المنسوب في الأرض. فإذا كان الليل واظت الكلاب فاكلت جميع ذلك، فيقول الذي فعله: «قد رضى ربي عنى وأكل هديتى».

وجغرافياً، انبثت من خلال عوامل عديدة. فقبل الإعلام تكوّن من خلال كتاباته الثكيرة. وسفره الدائم. وعلاقته بالأخوان المسلمين والحركات الإسلامية ككل. ومع الإعلام توسعت شعبيته كثيراً بفعل حرصه على استخدام التقنيات الحديثة في نشر خطابه وتدعيم مرجعيته. ومن هنا كان لفضائية الجزيرة. وموقع. إسلام أونلاين. وموقعه الشخصي على الإنترنت، دور مهم في ذلك. إذ شكّل كل ذلك منابر غير تقليدية وذات جماهيرية كبيرة تستطيع مخاطبتها وإيصال أفكار إليها. وهو يبقى محافظاً على استخدام تلك المنابر جميعاً جنباً إلى جنب. التقليدي منها وغير التقليدي (خطبة الجمعة. الحوارات الصحفية. الكتب والمنشورات. الإنترنت. الفضائيات، الدروس العامة في المساجد. المنشورات والمحاضرات. والمؤسسات الأهلية...).

٣ - مفهوم المرجعية

وهكذا أسهر نشاط الشيخ القرضاوى من تحول فكرة المرجعية من المنظومة إلى الشخص بما يمثل من توجه، في ظل السياق التاريخي الذي شرحناه. وهذا ما دفع شخصاً مثل حسن نصر الله (الأمين العام لحزب الله) إلى وصفه بأنه «يمثل ما يشبه المرجعية عندنا». ويقصد المرجعية الشيعية. لكن مرجعية القرضاوى ليست من نضج المرجعية الشيعية بالتاكيد. وبعيه بذلك كان سبب تفكيره بإنشاء مرجعية عالمية، تمثلت في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين. فمرجعيتها القرضاوى ليست إلزامية تعرضها البنية الكهنتوتية كما لدى المرجعية الشيعية. وإنما هي مرجعية اختيارية فرضتها عوامل عديدة كما شرحناها: شخصية وعلمية وإعلامية وسياسية. ومن هنا باتت تحرس معظم المؤسسات والنشاطات العلمية والخيرية على وجود اسم القرضاوى فيها بما يمنح من مصداقية ومشروعية لها.

وأصبح أن وفقة القرضاوى الذي يبلغ الثمانين سنة الآن، ستطرح بعض التحديات الصعبة، فلا اعتقد بوجود شخصية موازية له بكل مكوناته السابقة. مؤهلة لأن تشغل الأورار العديدة التي اضطلع بها مجتمعة. كما أن سؤال من ينوب عنه في كل تلك المؤسسات التي أقامها سيكون سؤالاً صعباً للغاية. فهو لم ينشئ تلاميذ شخصيين. وإن كان أنشأ مدرسة فكرية. وهذا - من المحتمل - أن يعيد المرجعية إلى مرجعية الأفكار والمنظومة الفكرية من جديد. ■

جانب سهولة خطابه الذي استطاع أن يقرب الكثير من الأفكار لأذهان الناس. فأنشأ - إلى جانب الغزالي فيما يخص الفكر السياسي تحديداً - تياراً عريضاً يستطيع الآن أن يحركه معه إذا تحرك، ويمكن أن يوصف بالتيار الغالب أو الرئيسي. فقد استطاع بنشاطه الواسع جداً، عبر العلوم المختلفة. والندوات والمؤتمرات والمنظمات الكثيرة التي يشارك فيها أو يرأسها، أن يكون حالة يمكن البناء عليها في تكوين ذلك التيار الأساس.

إلى ذلك فإن حرية الحركة والنشاط التي اتجهت له في قطر أسهمت في تكوين مرجعيته. فقد جاب العالم كله انطلاقاً منها. وكان يحرص في رحلاته على إقامة الصلات العلمية مع مختلف العلماء. وكذلك مع عدد من المسؤولين السياسيين. ومع هذا فإن ازواجية علاقته بالسلطتين العلمية والسياسية لم يجعله يذوب في واحدة منهما. فحافظ على قدر كبير من استقلاليته. ومن هنا نعت قوة مرجعيته من أمرين: اقتناع الناس بأفكاره. وقدرته على إبقاء الاحترام له ومشروعيته وشعبيته في ظل فساد عدد من العلماء. أو استبعادهم المؤسسات السلطة. وكذلك في ظل غياب عدد من الرموز العلمية المؤثرة كالفرازي والأشعرى والغطاوى وآخرين (وكلهم كان له حضور إعلامي). فضلاً عن انحسار مرجعية الأزهر لأسباب عديدة.



ولم يكن حرصه على إنشاء مرجعية علمانية عالمية، - تجسدت لاحقاً في (الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين) برئاسة - خارجاً عن دائرة تحركاته وواقعه تأخيره. فقد قابل موسوعيته العلمية بمكانة مرموقة لدى العلماء والشعوب الذين التقاهم. وهم لا يحضرون وعلى الخصوص: ابتغائه بمسلمي الغرب والشرق معاً، سعياً لتجسيد دالة الإسلاميه، التي يتحدث عنها باستمرار ويجتهد لأجل وحدتها. وهو هنا لا يفادر الوعى التاريخي بدور العالم في الحياة والجمع. ففي حين انحسرت الهقه عن الحياة العامة وتقلص دور العالم (الدینی) في المجتمع بمعل عوامل عديدة. نجد القرضاوى يستصحب مرجعية التقدير ودور الفكر المنفصل بقضايا الأمة، فتجده حاضراً في القضايا الكبرى ومعبراً عن موقفه منها ومعيناً الجماهير لأجل ذلك. شعبيته الكبيرة والواسعة، فئات

معرض منسوجات اليدوية - ليل الحجاز

دواسات حمام

ملا

متواجد في مراكز بيع بواقى الن

قطع موكيت

س

سجاد أطفال



مدير المنتشرة في كل ارجاء مصر

شرقي

مطبوع

مشايات

لادة صلي

www.inacartel.com

اللطائف و القطائف

لله در قطائف محشوة من فستق دعت النبواظر والبيدا
شبهتها لما بدت في صحنها بحقق عاج قد حشين زبرجدا

١٤٤٤

محمد معوض النجار

الرد على من أخلد إلى الأرض وجعل أن
الاجتهاد في كل عصر فرض، «تقرير
الاستاد في تفسير الاجتهاد، بل ونجد
له فتوى فتحت عليه باب معركة كبرى،
وذلك وكأنه من مؤسسي إحدى منظمات
الحفاظ على البيئة في عصرنا الذي
نعيشه الآن، إذ أفتى بمنع البناء على
التيل لأن ذلك يفسد ماء التيل ويشوه
منظره فتعرض له ابن الكركي الذي يقال
أن بيته كان قد بذر على التيل بربوا
واضحاً، وادعى ابن الكركي أن السيوطي
يفتني مهدم مقبضات الروضة فألّف
السيوطي في ذلك مقامة باسم، «طرس
العمامة».

وقد نشأ السيوطي في عصر سادت
فيه الأمن والقلقل وكثرة تنازع أمراء
المماليك فيما بينهم كي يصلوا إلى كرسى
السلطنة، فعاصر أحد عشر سلطاناً إلا
أن السلاطين الذين أدرهم وعيه هم
إيليا والظاهر مرثيغا والأشرف سيف
النصر قايتباي وقد كان من السلاطين
الأقوياء والناصر محمد بن قايتباي ثم
الظاهر قنصوه ثم الأشرف جاميلا ثم
العادل طومان باي بن قنصوه وهؤلاء
السلاطين الأربعة مدة حكمهم جميعاً
لا تصل لخمس سنوات ثم جاء السلطان
قنصوه العمري، وفي عصره توفي الإمام
السيوطي، وهذه الفترة كثرت فيها الفتن
والأوبئة وارتفعت فيها الأسعار وشحت
الأقوات وقل البيضان إلا أن الحركة
الثقافية والعلمية كانت مزدهرة فلقد
أصبحت مصر مولد لعلماء وألفت في
الموسوعات مثل السلوك للتقريب
والتجويد الزاهرة لابن تقي
بردي، فهاية الأرباب في فنون

خفيف الروح وكان شاعراً وأديباً وليس
ادل على خفة روحه من أسماء بعض
مصنفاته مثل «الكاوي في تاريخ
السجاري»، وتعرّيف الأعجم بحروف
العجم، والمصابيح في صلاة التراويح،
«الشماريخ في علم التاريخ»، «اللفظ
الجوهري في ردحباط الجوجري». هذا
عدا ما نجده من استعمال التورية في
شعره ونثره وقد ألف في نوادر قراقوش^١
وكم هي طريفة تلك النوادر.

ويجوز ليك وأنت تقرأ في رسائل
السيوطي ومقاماته أنك لست في آخر
عصر سلاطين المماليك بل إنك في
التلاتين والأربعين من القرن الماضي
حيث ازدهرت الصحافة الأدبية ونشبت
المحارك الأدبية الضارية التي دارت بين
الأدباء الكبار من أمثال الراجحي والفياد
وطه حسين وركي مبارك. كانت الحياة
الثقافية والعلمية في عهد السيوطي
موازة لا تهدأ، يكثر فيها الأخذ والرد...
وتجد السيوطي في أسلوبه واضعاً جلياً،
حقاً أنه يستخدم السجع ولكنه قد
يتخلل عنه.

والعجب في أمر السيوطي أنه يذكر
شيوخه في التحدث بنعمة الله فينكر
مائة وثلاثين علماً أحميت فيهم ثلاثاً
وثلاثين سيداً ويقول عنهم: «هؤلاء مائة
وثلاثون هم عوالي شيوخه في الرواية
على اختلاف طبقاتهم»^٢،
يختلف العوالي بينهم ثلاث وثلاثون
سيدة منذ أكثر من خمسمائة عام ليس
هذا جديباً وجعلنا نعيد النظر في وضع
المرأة في تاريخنا؟

وقد كان السيوطي علماً مجدداً رافضاً
لإغلاق باب الاجتهاد فخرى له مؤلفي

الجد التاسع للإمام السيوطي ويسمى
الشيخ همام وكان متصوفاً من أصحاب
الأحوال
رغم أن السيوطي قد نشأ يتيماً وفقد
إخوته وأولاده فيقول في نيرة حزينه
«فكنا غالب إخوتي وأولادي مائوا
شهداء»^٣، فقد مات أولاده جميعاً في
حياته وكان له ابن يسمى ضياء الدين
يحضر الدروس مع السيوطي عند بعض
الشيخوط لطلب العلم وقد توفي في حياة
السيوطي، وآخر أولاده فتاة ماتت قبل
موته بحوالي عام ونصف وزعم ذلك فإن
السيوطي كان يمتاز بثلاث صفات:

(أ) الإيمان القوى حتى أنه اعتزل
قراءة العشرين عاماً متصراً للعبادة.
(ب) الروح العلمية التي تجعله يذكر
إيجابيات خصمه كما فعل مع الجوجري
بل ويصعب بعض مؤلفاته (مؤلفات
السيوطي) بقوله: لا أعتد بها لأنها من
طريق البطالين الذين ليس لهم اعتناء
إلا بالرواية المحضة الفتها في زمن
السماح وطلب الإيجاز، أي زمان التلمذة
مع أنها مشتملة على فوائد بالنسبة لما
يكاتبه الغير»^٤ وقد كان السيوطي يرى أنه
لا بد لكل نقل من ذكر مصدره بل مصادر
والأ يلقى الكلام على عوامته والدقة في
النقل والأخذ مع التحقيق والتتبع.
(ج) إلى جانب أنه عالم متبحر برب
في أغلب علوم زمانه كعلوم اللغة والفقه
والحديث والعصرى والبدعي والتاريخ
وأهدى المكتبة العربية في هذه الأمور
أو الفنون كما كان يسميها، أمهات الكتب
التي تعد كلها من المراجع الهامة
كجامع الكبير والإيمان في علوم القرآن
والزهر وحسن المحاضرة... كان السيوطي

■ رمضان شهر القرآن والمعجاة
والصوم والبر والإحسان فيه تصفو
النفوس وتتألف وتكثر الاحتفالات
بالياليم المباركة حيث يعطى القيام ويتلى
القرآن.. وتكثر وآلام الإفطار التي
انتشرت في كل أقطار العالم مسلمة وغير
مسلمة. ويمتاز رمضان بأن له ألواناً من
الاطعمة يقبل الناس فيه على تناولها
ولعل من أشهر هذه الأطعمة حلوى
الكنافة وحلوى القطائف
ولقد أهدى الإمام السيوطي إحدى
رسائله للكنافة والقطائف والخرجها
باسم «سبل اللطائف في الكنافة
والقطائف».

والإمام عبد الرحمن بن أبي بكر وله
نسب طويل لا داعي لتكراره المشهور بجلال
الدين السيوطي. والسيوطي من سيوط
وهي لغة في أسبوط، حيث ولد سنة تسع
وأربعين وثمانمائة للهجرة الموافقة لسنة
أربع وأربعين وأربعمائة بعد ألف
للميلاد وفي مقدمة رسالة منهج
اللطائف نجد أن تاريخ ميلاده كان سنة
ثمان وأربعين وثمانمائة إلا أن مقدمة
كتاب التحدث بنعمة الله للدكتور عوض
الفياري^٥ والدكتور عصام عبد فهمي في
مقدمة كتاب أصول النحو عند السيوطي
يذكر أن تاريخ الميلاد سنة تسع وأربعين^٦
وقد توفي أبوه بعد أن انتقلوا للقاهرة
وسى السيوطي ثمانية أعوام وقد دفن
السيوطي بالقاهرة سنة إحدى عشرة
وتسعمائة للهجرة. وقد كان والد
السيوطي علماً وله مصنفات وأخذ عنه
الكثيرون ويذكره السيوطي بأنه كان
صالحاً يختم المصحح كل أسبوع. أما
الشيخ السيوطي المحظوظ بأسبوط فهو







الأدب للسنيوي وصيبح الأعشى للقيشتمني وقد أثنى علماء ذلك العصر الثقافة العربية والإسلامية بمؤلفاتهم وكان آخرهم ابن أبياس الحنفي الحموي مؤلف بدائع الزهور في وقائع الدهور وهو تلميذ الإمام السيوطي وكان السيوطي أحد أبرز مظاهر تلك النهضة وقد دعمت مكانة السيوطي العلمية أن يعد نفسه لأن يكون رجل المائدة الذي يجدد للأمة دينها وخاصة وأنه قد علم ودرس في أكثر مدارس القاهرة كالسعيد الطولوني والمدرسة الشيعونية والخانقاه البيرسية.



مؤلفات السيوطي البعض جعلها ثلاثمائة ملف ومنهم جورجى زيدان والسيوطي نفسه والبعض قال إن مؤلفاته ستبائة مؤلف منهم ابن أبياس المارح^(١) وغير الدين الزركلي ود. طاهر محمود وأوصلها إيد خالده الطباع إلى أربعة وتسعين ومائة بعد الألف والحق أن للسيوطي في مؤلفاته كتباً ورسائل وعملات كان يعطي صورة لا يدور بنفسه ومجتمعه فهي ردة على السخاوي. وقد أبان عن نفسه بالبحج المقتبسة وبأسلوب الذي يفرض سخرية وحرارة مخلصاً للعلم والحق منزهاً نفسه عن سرقة كتب غيره كما ادعى السخاوي، الرسالة... صدرت في أربع وستين صفحة من الحجم المتوسط ولكن الأربع عشرة الأولى عبارة عن مقدمة والأربع عشرة الأخيرة عن الفهارس ويدل ذلك على الرسالة من صفحة خمس عشرة إلى نصار ومراجعتها أحمد عبد الثواب عوض والناسخ دار الفضيلة وتقول المقدمة أن السيوطي حين ألف حسن المحاضرة لم يذكر اسم منهل الطلائف وكذلك لم أجد اسم منهل الطلائف في كتاب التحدث بسعة الله^(٢).

وتقول مقدمة منهل الطلائف في الكفاية والطلائف، يورد ذكر المؤلف في مرجعين صنفاً في ذكر مؤلفات السيوطي وأماكن وجودها وهو بعنوان دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها، صنفاً الأستاذ أحمد الخارندار مسئول مكتبته المخطوطات العربية جامعة الكويت والأستاذ محمد إبراهيم الشيباني مسئول لجنة المخطوطات

جمعية إحياء التراث وطبع الكتاب في طبعته الأولى سنة ١٤٠٣ هـ سنة ١٩٨٢م بمكتبة ابن تيمية^(٣) وفي مقدمة المصنف يذكر السيوطي، قال الجوهري في الصحاح القطيعة دثار مخمل والجمع قطايب وقطف ومنه القطيعة التي تؤكل. ويقول أما الكفاية فلم يدكرها أحد من أئمة اللغة ولا هي الألفاظ اللغوية ما يصلح أن يكون مادة لها والذي يظهر أنها لنقطه أعجمي أو يوناني^(٤).

ويتقل السيوطي عن ابن فضل الله في المسالك، كان معاوية - رضي الله عنه - يجوع جوعاً شديداً فشكا ذلك إلى محمد بن أثال الطبيب فاتخذ له الكفاية يأكلها في المسحر فهو أول من اتخذها^(٥).

وأنا أشك في أن معاوية أول من اتخذها وأن الطبيب محمد بن أثال قد اخترع الكفاية اختراعاً كذلك اعتقد أن الكفاية ذات أصل عربي. فلي مادة كنف بلسان العرب نجد. يوضع عليه كنفه يستمر وتكتفوه واكتشفوه أحاطوا به والكنيف الترس المسترة والحظيرة للإبل والغنم لأنها تحيط بها إذن كالتف هو الإحاطة والكفاية مدونة تحيط بوسط، السانبة التي تعمل بها ويجوز أن تكون لأنها تلف حول حشوها فلقد قال عمر - رضي الله عنه - عن عبد الله بن مسعود - كيف ملأ علما^(٦).

وكذلك معنى القطائف فإن لسان العرب له رأى غير القطيفة فيقول صاحب اللسان القطف ما عطف من الشعر والجمع قطوف وهو اسم لكل ما يعلف كالنبيج والطحن فلي هذا شيهت بالتملح. وأسماء الحلوى قد اتخذ أسماء الثمار مثل بلع الشام. وهذا معنى مقبول ويقول ابن منظور نقلاً عن أبي حنيفة القطف ضرب من شجر الجبل وهو مثل شجر الأجاص في القدر ورقته

خضراء مفرضة حمراء الأطراف خشناء وانظر إلى قول أبي حنيفة، ورقته خضراء ممرضة حمراء الأطراف، ألا تشبه تلك الورقة واحدة القطائف. هذا والله أعلم ورحم الله السيوطي ورحمته^(٧). يقول مؤرخو الأدب عن المصنف العباسي الثاني إن من الموضوعات الشعرية التي تتناولها شعراء ذلك العصر وصف العلمة وصانعيها فهذا ابن الرومي يقول في وصف خبز:

إن أنس لا أنسى خبازاً مرت به يدحو الرفافة مثل الملح للخبز ما بين ريفتها في كنه كفة وما بين ريفتها كوراء كالقهرم إلا بمقدار ما تنفاح دارة في لجة الماء يلقى فيه بالبحر^(٨)

وقال أيضاً ابن الرومي: وغبيصة صفراء دينارية

لعمنا ولولنا زلفها لك جؤذر صطفت فكادت أن تكون لوزة وثوت فكاد إلهابها ينقطر

وقال في اللوزينج: يغلطنني منك لوزينج إلا بد أعجب أو عجباً تلقى الشهوة البرابيا إلا أبت زلفه أن يحجبا

وقال أحمد بن يحيى في القطائف. قطائف قد صفت باللوز والسكر الماذي حشو اللوز تسبح في أذى من الجوز سرت لما وافتت في جوز وقال ابن الرومي في القطائف. دانت قطائف بعد ذاك لطفائف ترضى الهلابة بها وترضى الحنجر ضحك العميون من الطوبى قولها نزع العميون من الدخان بمصر

ومن الأمور التي يمكن أن نلاحظ أن الشعراء العباسيين قد أولعوا بالحديث عن القطائف ولم يدركوا الكفاية ولعل ذلك راجع إلى أن الكفاية طعام شامى أموى وكراهة العباسيين لتأصيليين شديدة خاصة أن أغلب الأبيات السابقة قد أشتمت في مجلس الخليفة العباسي المكتنى.

إن لما ذك لم يدكر شعراء منى أمية الكفاية؟

شغل الأمويون شعراءهم بالثقاض، وشغل الشعراء بالفريق، كالشبيبة والخورج والزبيريين.... إلخ.

قال نفاذ الأبي إن الشعر في عصر المأمون، والأكثر أن قد تناول الأغراض الثقافية وتكرروا مثلاً لذلك أن شاعراً قال قصيدة فيهم إهداء نمر واعتبر التمر غرضاً نافيها: ترى ماذا يقولون لو عرفوا الحسان عرف بشاعر الكفاية وهو أبو جعفر الجوزاء ولندخل في رسالة السيوطي منهل اللطائف، من الملاحظ أن الرسالة قد اعتمدت على عدد قليل من قصيدة فيهم إهداء نمر واعتبر التمر ومن الظريف أن بعضهم قد تعصب لكفاية ومدها وفصلها على القطائف وهو أبو الحسن الجوزاء ولكن السيوطي يذكر له أربعة أبيات في مدح القطائف، يا من إلا الحطب بدأ ليلته

جئة أنوار له أشرقت سقت أبايدك عروس المنا حتى رايهاها وقد أذرفت مهلا فإن السحب إلا واطئت أرض بهتان الحيا أشرقت قطائف وأظنبا لعمراها فاستجرت من بعدما شرفت وهو الذي قال في الكفاية وقد تلخها حبيبة حسناء غاضبة تنهمه بحب القطائف فلذا غصبت عليه وصدته.

ومالى ترى وجه الكفاية مغنينا ولولا رضاه لم أرن رضاهنا صجبت لها في رقة كيف أظهرت على جفاء صدعتي جفاها ترى اتهمتني بالقطائف فاشتت تصد اعتقاداً أن قلبى خالها ومنذ قاطعتني ما سمعت كلامها لأن لسانى لم يخاطب لسانها

وقال أيضاً في الكفاية وكم كان ظريفاً سقى الله أكتاف الكفاية بالقطر وجاء عليها سكر دالم النثر





وتيا لأوقات المخلل لها

تبريلا نفع وحسب من مصرى
أهيم فراما كلما ذكر الحمى
وليس الحمى إلا القطار بالمصر
وأشفاق إن هيت رياح قطاظر
السحور سجدا وهي عاطر النشر
ولى زوجة إن تشمتي قاهرية
أقول لها ما القاهرية فى مصر^(١)

ويذكر السيوطي للشاعر جمال الدين بن نياته هذه الأبيات التي ضمنها أشعرا من شعر الآخرين كما في الشطر الأخير في البيت الثالث:

ذكرتك والأسماء تذكر بالكتى
فله يا أسماء الكنافة والتكر

ولم انس ليلات الكنافة قطرها

هو إلخ إلى أنه السحب القهر

تجدد على ضفتي فاهتز فرجة

دكما التقط الصقور بلله القطر

ويقال أن أسما ابتنته وكان يمن لها

مع الكنافة، فله كانت أسما مقيمة

بدمشق وهو بالقاهرة وينتقل إلى شعراء

القطائف.

فقال زين القضاة السكندري:

لله درقطائف محبوبة

فيستقيم دعت النواظر واليد

شبهتها لما بدت في صحنها

بحقائق حاج قد حشين زيرجدا

وقال بعضهم

وقطائف مصفوفة في الجام

كعصاية سجدت وراء إمام

فرش الطبرزد هزها فكنها

أزُرُ مُعَدٌ على ظهور نيام

وقال جمال الدين ابن نياته:

وقطائف رقت جوسما مثما

فعلقت قلوبا وهي لى أحياب

تحلو لها تقلى فاهذه قطرها

الفياض أن يذلى على سحب

وقال سعد الدين بن محمد بن

الشيخ الصوفي محيي الدين بن عربي

مفضلا الكنافة.

هبت الكنافة بالقطائف تسخر

وتقول إلى بالفضية أجدر

طويت محاسنها لنشر محاسني

كم بين ما يطوى وآخر ينشر

لحلاوى تبو وتلك خفية

وكذا لحلاوة فى البوادي أشهر

حقا، إننا نجد في هذه الأشعار

أخطاء نحوية كما في بيتي ابن نياته

شروى بأود مضمومة والثى يليه بأود

مكسورة وكذلك نجد ركائلا. وذلك شيئا

لا نذكره - ولكننا نلمس ظرفا وخمة روح -

إلا تضلع مع ذلك الشاعر أبو الحسين

الجزاري الذي يقول وتيا لأوقات المخلل وال

ترق وتحن مع ابن نياته الذي ذكر ابنته

الثانية بدمشق حين رأى الكنافة.

الا نستخلص من تلك الأبيات أنسا

ظريفة وروحا مصرية لطيفة، وكان الله

بعث بالكنافة والقطائف. ليعشق فيهما

الشعراء التعبير عن أنفسهم وعن الظرف

المصري رغم ما قيل إنها أغراض قافية

عبيت عليهم وعلى عصرهم: إلا أنهم

سدقوا في التعبير عن ليعتقم إلى

الكنافة والقطائف واليس تلك الصورة

صورة القطائف وهي مصفوفة طرفها

الرفيق للأمام وطرفها الحشو الكبير

للخلف كأنها مصلون وراء إمام.

ونجد في الرسالة لفخر لزين الدين

أبو كثير في القطائف وهو لفخر نثرى جاء

فيه «اسم يعنى الصالحون غالبا

بتحصيله وتناسل الأكاير في جملة

وتعصبيله، خماسي الحروف في

الترصيف والترتيب مسطح الشكل في

البساطة كرسى عند التركيب إذا حذف

خمسه رأيت طائرا...

قال الصلاح الضفي فكتبت الجواب

وجهزت له منه صحتا.

أمولى زين الدين منك مهتدي

لده وإن كان الصلاح غدا يهري

بعث بلخر قد حلا منك لفكته

فأجلم ذكر القطر فضلا عن الشهدى

فاسمح قدك أوضحت لك صورة

على أنه لايد من فرج ماعندي

وقال السيوطي نفسه في لفخر له نثرا

وشعرا:

شبابه بيت العنكبوت، وله في النحل

رغوبته يدب دبيب النمل في الرمل، يسيل

من عين القطر ويجري من عيون كأنها

عيون الحشاء تجري على صخر، يجري

ثم يجمد ويكوى بالنار ويكمد... ويخال

القطر وله إمام بكتاب القطر لابن هشام

فهو لا يزال ينشد من قول من قال:

اسعنى شربة ألب عليها

واسق بالله مثلها ابن هشام

عصلا ياربا مياه سحاب

لنى لا أحب شرب الحمام^(٢)

تبا لتلك الانقار التي ابتلى بها

شعراء العصر الملوكى والتركى والتي

كان الهدف منها إظهار البراعة في

صناعة الكلام لا إظهار ما يعتمل في

النفس والتعبير عنها بصنق وقد أوردنا

هذه الألفاظ لأننا نحدث عن رسالة منهل

الطائف وما حوته^(٣).

وقال الصلاح الضفي في قطائف

كثيرة قليلة الحلاوة.

قطائف كثيرة لم تحو

لفرا وما أتت بطعم حلو

كأنها قول ابن معلى النحوي

عندنا ألف خلعت من حشو^(٤)

فقط

ولا شك أن أمير هذه الرسالة ظرفا

وخفة روح هو الشاعر أبو الحسين يحيى

بن عبد الحميد الجزاري المصري الذي أرى

أن من الواجب أن تلقى الضوء على

حياته، ونستعين بذلك بمقال نشره

الدكتور محمد رجب البيومي في مقال

نشره له الهلال في عام تسعة وخمسين

وتسعمائة ألف وكان وقتها مدرسا

بالمدرسة الثانوية بالمقصورة ولم يكن قد

حصل على درجة دكتور بعد^(٥).

فيقول الدكتور البيومي عن الجزاري

«بوصلة الجزاري برمضان بصلصة طريفة

كشخصه الطريف، فقد كان ينظر هذا

الشعر المبارك لا ليشرح لمصنوعه ولا

لصلاته كما يفعل الزهدة المتورعون، بل

ليتلهم حلاوة الجميلة ويتعزل في كفايته

وقطائفه وليستدئ الماسير من الناس

نماذج لذئذة من مشتهياته ومغرياته.

وشاعر يحتفل بمأكولات رمضان هذا

الاحتفال جدير أن نتذكره في شهر

الصيام ليكون طرفه من طرافته العذاب

وبعض الدكتور بيومي متحدثا عن

شاعره: فقد نشأ في أواخر العصر

الأيوبي فمدح الملوك والوجهاء وئال

الهيئات الواهرة وداع صيته فروى العامة

شعره وقرره الخاصة بفراعهم وهاتكهم

واكلهم وشاربهم وكانت الكنافة أحب

طعام إليه يتلهم لها في غيبتها تلهم

العاشق ويبت شعره شجوبه في غيبتها

وقد سبق أن أوردنا المقطوعة التي أولها

«وماني أن وجه الكنافة معشيا... لنشد

طار ذكر الشاعر وتنادى الجميع أشعاره،

وسريه أبوه سرورا عظيما، وكان والده هو

الذي شجعه على قول الشعر وتعبير إذ

تعبير لذلك الوالد الأسمى الذي شجع

ابنه على قول الشعر الفصيح بل ونرى

والد الوالد يأخذ ابنه إلى شارع مشهور

عرف بأبي الإصبع ورأى الشاعر الكبير

الشاعر الجزاري

يشتمل بين البحور المختلفة في

المقطوعة أو القصيدة الواحدة فقال له

إلى عوام ماهر... فلو قال له لا تحافظ

على وزن لضابطه وصياقي أداء وجرم

نفسه من هدية اللحم التي جاء بها أبوه

وعندما ذهبت دولة الأيوبيين وجاءت

دولة المماليك للنيل لا يقصرون الشعر

صار الشاعر يستهدي أحد المؤسرين

الكرام الكنافة وقد كان هذا المؤسر كريما.

لا يدخل على الشاعر بحبيبة الكنافة

وقد قال الجزاري لصديقه المؤسر شرف

الدين عندما نهان عن امتنان الجزارة

لا تلتمني يا سيدي شرف الدين إذا

ما رأيته قصبيا

كيف لا أشكر الجزارة ما عشت حافلا

وارضوا الأدا

ويها أضحت الكلاب ترجيسى وبالشعر

كنت أرجو الكلابا

ويبدو أن مهنة الجزارة لم تكن تدر

عليه في هذه الأيام دخلا يجنيه يروى

نهمه لذلك فزاره يشكو من قله ما تدر

مهنة الجزارة في أيامه - من دخل

يحمه يعيش في حال من الفقر ولا

يدقو اللحم:

أصبحت إماما وفي البيت لا

أعرف ما راحة اللحم

جهلة فقرا فكتبت الذي

أشله الله على علم

ووجهات بصر

٤٧



كتاب الزاوية



رسالة ابن فضالان

طقوس الموت

قال أحمد بن فضالان: وإذا مرض الواحد ضريبوا له خيمة ناحية عنهم، وطرحوه فيها، وجعلوا معه شيئاً من الخبز والماء، ولا يقربونه ولا يكلمونه، بل لا يتعاهدونه في كل أيام مرضه لا سيما إن كان ضعيفاً أو مملوكاً، فإن برئ وقام رجع إليهم، وإن مات أحرقوه، فإن كان مملوكاً تركوه على حاله تأكله الكلاب وجوارح الطير.

وإذا أصابوا سارفاً أو لصاً جاءوا به إلى شجرة غليظة وشدوا في عنقه حبلاً وثيقاً وعلقوه فيها، ويبقى معلقاً حتى يتقطع من المكث بالرياح والأمطار.

وكان يقال لى إنهم يفعلون برؤسائهم عند الموت أموراً أقالها الحرق، فكنت أحب أن أقف على ذلك، حتى يلفنى موت رجل منهم جليل، فيجلوه في قبره، وسقموا عليه عشرة أيام حتى فرغوا من قطع ثيابه وخياطتها.

وذلك أن الرجل الفقير منهم يعملون له سفينة صغيرة، ويجلونه فيها ويحرقونها، والفنى يجمعون ماله، ويجلونه ثلاثة أثلاث، فثلاث لأهله، وثلاث يقطعون له به ثياباً، وثلاث يبنون به نبیذاً يشربونه يوم تقتل جاريته نفسها، وتحرق مع مولاه.

وهم مستقرون بالنبيذ يشربونه ليلاً ونهاراً، وريما مات الواحد منهم والقدر في يده، وإذا مات الرئيس منهم قال أهله لجواريه وزلمانه: «من منكم يموت معي» فيقول بعضهم: «أنا» فإذا قال ذلك فقد وجب عليه، لا يستوى له أن ترجع أبداً، ولو أراد ذلك ما ثرك، وأكثر من يفعل هذا الحواري.



المواش

(١) السيرة الذاتية للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي في كتاب التحدث بنعمة الله دعوس المباري صا سلسلة الدخائر والتحدث بنعمة الله لحلال الدين السيوطي تحقيق الترابيث ماري سارئين ص٢٢٨ سلسلة الدخائر
(٢) أصول النحو عند السيوطي عاصم عبد أبو غربية ص٢٢٨.

(٣) السيرة الذاتية للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي في كتاب التحدث بنعمة الله ص٢٢٨
(٤) التحدث بنعمة الله ص١٣٨ وكلمة الغير التي فيها غير معرفة لا ترضى بعض النحاة لأن غير لا تعرف ولكن الدكتور محمود الطنحاني في كتاب مستقبل الثقافة العربية ذكر أنه وجدها معرفة عند أبي هلال العسكري في النحائي وكتاب الهمائل والشواهد لأبي حيان التوحيدوي وأبي مسكويه (كتاب الهلال ص١٥٨)

(٥) الكفاية في مصدر شوقي ضيف ص٨٨ سلسلة

(٦) التحدث بنعمة الله ص٢٢٨

(٧) التحدث بنعمة الله ص٢٢٨

(٨) بديع الزهور في وقائع الدهور لابن أبي

الحوي ص٢٤٨

(٩) السيرة الذاتية للإمام الحافظ جلال الدين

السيوطي في التحدث بنعمة الله ص٥٩ والذ

السيوطي في الرد على السلاوي - الذي كان

مولوداً بتجريح كل من تحدث عنهم من الأعلام -

مقاترين هما صاحب سيف علي صاحب حيف،

العابري دين الحنفيت والسارق

(١٠) راجع أسماء الصفات التي ذكرها السيوطي

في التحدث بنعمة الله من ص١٠٨ حتى ص١٣٦

(١١) منهل اللطائف في الكفاية والقطائف مقدمة

الحق محمد محمود نصار ص١٠

(١٢) منهل اللطائف في الكفاية والقطائف مقدمة

النصف ص١٢٨

(١٣) منهل اللطائف في الكفاية والقطائف مقدمة

النصف ص١٢٨

(١٤) لسان العرب لابن منظور مادة كشف

ص٣٩٤ ص٣٩٤ لسان العرب لاس

منظور مادة كفيف ص٣٩٨ ص٣٩٨

(١٥) لسان العرب لابن منظور مادة كفيف عنده

ذكر السيوطي معنى القطائف والكفاية ذكر على

معنيين هما الصحاح للجوهري والقاموس

المختل الأول للفيروزبادي ولكننا نورد هنا ما جاء

في لسان العرب.

(١٦) خصائص الهشتيم لسياسي ص٢٠٣

والطبرندالسكر.

(١٧) فادرية اسم نوع من الحولي

(١٨) ابن هشام عالم نحوي معاصر لكتاب قطر

التمذي وبيل التمذي.

(١٩) منهل اللطائف ص٢٠٤ إلى ص٢٠٤

(٢٠) ابن معطي عالم نحوي أصله من المغرب وشع

النحوية في النحو تولى كل قواعد النحو قبل أن

يؤلف ابن مالك النحوية وقد أشار إليه ابن مالك

في اللمعة حين قال

وتقتضى رسماً يعبر سطح
وهو يسبق جانز تصميلا
قلعة أمية ابن معط
مستوجب شألي الجميل

(٢١) مجلة الهلال مقال، أبو الحسن يحيى

الجزار، بقلم محمد رجب البيومي

ولنر تعبيره أضله الله على علم
فرغم ما عنده من علم إلا أن علمه لا
يتفعه ولا يهتدي به وكذلك حاله
فرغم أنه جزار وعنده اللحم إلا أن
لحمه لا ينفعه ويميش في شوق إليه
ويبدو أنه كان يعيش في شوق لكل
الذائذ ولكنه لا ينكر للجزارة أفضالها
فيقول.

الا قل لخشى يسأل

من قومي وعن أملي

لقد تسأل من قوم

كرام الفرع والأصل

ترجيهم بنو كلب

وتغشاهم بنو عجل

وقد قال الجزار مداعبا أباه عندما

تزوج أبوه في شبخوخته من امرأة

مسنة.

تزوج الشيخ أبي شيخة

ليس لها عقل ولا ذهن

لو برزت صورتها في الدجى

ما جمرت تبصرها الجن

كانها في فرسها رمة

ولمصرها من حولها قطن

وقائل قال لها سننها

فقلت ما في فيها سن

ويصل حب التهريج بالجزار إلى أن

يسخر من ملايسه ودمه فإن فمن ذلك

قوله يتكلم على دار سننها:

ودار خراب بها قد نزلت

ولكن نزلت إلى السابعة

فلا فرق ما بين إلى أكون

بها أو أكون على الشارع

تساورها مفروات التسميم

فتصفي بلا أفن سامعه

وأخفى بها أن أقيم الصلاة

فتسجد حيطانها الرماكة

إذا ما قرأت (إذا نزلت)

غشيت بها تقرا الواقعة

وتترجم من الدكتور محمد رجب

البيومي في الحزاز الشاعر الخريف

الساخر الذي احتل بظفره مكانة في

الحياة الاجتماعية في عصره وجعل

القرص في السلوك وأبى تفرى بردي في

التجود الزاهرة يتحدثون عنه مع من

تحدثوا عنهم من أعلام عصرهم ولعل

الجزار يشعره وظرفه قد استحال

إلى شخصية رمضانية طريفة فرحمه

الله. ■



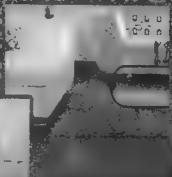
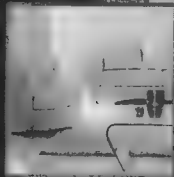
life style
rugs & carpets

A Division of Oriental Weavers

مجموعة النسيج الشرقى

City Area 240p number 15426

Phone: sales@orientalweavers.com Tel: 02-24802475 Fax: 02-24802467



صورة لمندوق العجب
المصور تيمر معروف



صورة حائل جوهري في الثياب العسكرية القشمية بـ خمسة في العسكرية في بيروت لجمعية الجوهري بـ بركة من مجموعات مؤسسه لدراسات للسلطانية في بيروت



تاريخها متكامل كونها تعكس وجهة نظر كاتبها أساساً. وهي أمور مختلفة ومتغيرة وليست متكررة (مثل التكرار المجهود في وثائق الحاكم مثلاً). ذلك يعكس مذكرات القادة أو سيرهم التي يكتبها مؤرخوهم والتي قلما تشكل من أحداث كتبت عشوائياً لأسباب ذاتية أو مزاجية. مما يزيد العملية تعقيداً إن مذكرات القادة يمكن معانيها عبر مقارنتها بأحداث ومصادر معروفة مثل وثائق حكومية. تواريخ مكتوبة وما إلى ذلك. أما المذكرات الشخصية فهالها ما يصعب مقارنة المعلومات الخاصة بها والتي تتعلق بما شاهد الكاتب أو ما شارك به.

مذكرات واصف جوهري وهي أساساً مذكرات شخصية لـ مواطن مقدس عادي لم يتمتع بصلاحيات سياسية كذلك التي يتمتع بها الرؤساء والقادة لتشكل مذكراته سيرة ذاتية لا تعتبر من وجهة نظر المؤرخ التقليدي مصدراً أساسياً لدراسة التاريخ. لكن المذكرات الجوهري تشكل مثلاً مهماً يثبت خطأ وجهة النظر التقليدية التي تضع المذكرات الشخصية للحياة اليومية لأبناء الفئات الشعبية مدرجة أقل أهمية من السيرة الذاتية للكاتب.

مذكرات واصف جوهري تشكل دليلاً على أن المذكرات الشخصية من الملك أن تكون أدلة ومصادر لدراسة الحياة الاجتماعية في زمان ومكان كتابتها. ولأن واصف جوهري كاتب بارع وملاحظ دقيق وكون الأحداث التي يصفها ويرويها تدور في مدينة القدس في مرحلة ملوحتها النسيان ولم يكتب حولها الكثير أو أن ما كتب عنها يتعلق فقط بالأحداث السياسية الجسيمة وليس بأحوال الناس إبل المراحل المرحل المرحل لها تشكل مذكراته وثيقة مهمة دون أدنى شك. ومما يريد من أهمية الوثيقة الجوهري هذه كونها تصف الحياة في المدينة في مرحلة غائياً ما يكتب تاريخها بطريقة انتقائية تقصد منها إلقاء ومحو ذاكرة المشهد القدسي الاجتماعي لتلك الفترة وتهميش دور أبناء وسكان المدينة الأصليين. أمثال واصف جوهري. في مسع تاريخ المدينة. أما أهمية المذكرات من ناحية كونها تشكل دليلاً وثائقياً حول طبيعة الأحداث السياسية المهمة التي كانت تجري آنذاك هي وإن كانت بلا شك كذلك. لكنها ليست محط اهتمامنا الرئيسي إذ ما أخذها معزول عن مشروع واصف جوهري الشامل وهذا ما سألني على كره لا أحاق. تقع قيمة الوثيقة الجوهري في كون كاتبها شاعداً على عصره أكثر منه مشاركاً

تصف لنا أرواح الناس والتقاليد المرتبطة بالوفاة. خاصة في الأجواء التي يصف بها واصف وفاة أبيه وأخاه رئيس البلدية سليم الحسيني. كذلك الأمر فإن المذكرات تصف لنا أيضاً علاقة أبناء القدس بالسلطانين المحليين والعثمانيين وعلاقة السلطانين المحليين بالبلدية بالسلطة المركزية. أما على المستوى الأعم والأكبر فواصف يعطينا وصفاً لأوضاع الجيش العثماني إبان الحرب العالمية الأولى ولحقاً الإدارة البريطانية في فلسطين. راسماً صوتاً

محمد حمدان
عبد الله الحماس
بشار نخريه بديف
بشعل بنوع
نصير جبريل



المصورة التي تركها لنا مع مخطوطه مذكراته مرهفاً معها مخطوطات توصيفية حول الصور واحدة تلو الأخرى. هذه الألبومات تدلنا على أن مشروع واصف جوهري هو أكبر بكثير من مجرد مشروع مذكرات توثيق لأحداث عائلية أو محلية معينة. فالصور الكونية للمجموعة ليست صوراً شخصية بقدر ما هي صور سياسية عامة واجتماعية توثقية تزيّن حياة فلسطين ومجتمعها بين مراحل الأحداث السياسية الكبيرة التي عصفت بها منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى النكبة. الصور الشخصية في الألبومات سواء كانت لأصدقاء أو الأقارب أو حتى لواصلت نفسه قليلة الوجود في الألبومات.

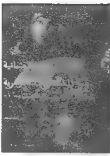
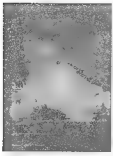
الإشكالية التي علينا التعامل معها هنا ترتبط بالسؤال التالي: لماذا اختار واصف الألبومات هذه الصور الخاصة ضمن إطار المجموعة الفوتوغرافية المصاحبة للمذكرات بالرغم من أنها أحياناً تصور أحداثاً وأشخاصاً ذكرت بالتفصيل في المذكرات؟ لماذا اختار واصف أن يكون الجزء المصور من مذكراته خالياً تقريباً من التفاصيل الخاصة بالرغم من أن المذكرات ذاتها مليئة بمثل هذه التفاصيل؟

هل من الممكن أن يكون واصف قد نظر للألبومات المصورة على أنها الجزء من المجموعة الجوهري المرتبط بالتاريخ الرسمي الذي غالباً ما تمهده واصف خارج إطار المذكرات؟ بالطبع من الصعب أن نجيب عن هذا السؤال بطريقة قاطعة. لكننا نعتقد جازمين استناداً للأبومات ذاتها بأن واصف على ما يبدو فكر بأن الصور في الألبومات تشكل الخلفية الضرورية التي عبرها يمكن فهم الأحداث الخاصة والعامة التي يدكرها في مذكراته. فمثلاً في أحد ألبوماته المصورة نجد واصف قد وضع صوراً لكل رؤساء بلدية القدس منذ تأسيسها. ربما في ذلك صور أولئك الذين لم يعرفهم بالرغم من أن هذه المادة لا تشكل جزءاً من المذكرات. ما يدكر في المذكرات جوازاً رؤساء البلدية لتعلق فقط بعشرة رئاسة صديق والده حسين الحسيني أو ما تفرقة التي عمل فيها واصف في البلدية في بداية مرحلة الانتداب وأن كانت البلدية رؤسائها قد شكلت جزءاً من اهتمام واصف كما يتضح من المذكرات فماداً عن وضعه لصور كافة متصرفي القدس العثمانيين منذ تأسيس البلدية وحتى نهاية الحكم العثماني عام ١٩١٧م في جزء آخر نجد أن المؤلف يضع صوراً لحملات باشا العائد العسكري التركي وغيره من

شخص. وهذا النوع من الكتابة، بحسب ما يشير دي سورتو، تحوي مداخلها جهداً يحول الامتعة إلى فضاءات كما يحول الفضاء الاجتماعي إلى مكان. فالقصص التي يرويها واصف تخلق العنصر وتصبح جزءاً من المدينة كمكان تماماً كما تصبح القصص جزءاً من الفضاء الذي يشكل الرواية. فمصبح المواقع مرتبطة بأشخاص وأحداث تماماً كما تصبح الأحداث جزءاً من معرفة المدينة ذاتها. لكن الجزء المهم من مشروعه يسمى بدون شك الألبومات السبعة

وبالتالي فإن مذكرات واصف تشكل بلا شك مصدراً مهماً في دراسة التاريخ الاجتماعي لمدينة القدس. دون أدنى شك في مرحلة الانتداب ونهاية الحكم العثماني. إن ما يجمع كل هذه المواضيع سوياً ويجعلها تشكل وحدة واحدة في نص مذكرات المؤلف هو تحديد أنها أحداث ووقائع مقدسية وهنا برأيي تكمن أهمية شيء سرور الحياة القدس ذلك يكونها مذكرات مكان أكثر من كونها مذكرات

تصليية لتتخلاته مع أبيه ومن ثم وحد بين المدن والقرى المختلفة من خلال علاقته مع عائلته ومع العائلة الحسينية في القدس. والمذكرات أيضاً تصف لنا العلاقات ما بين عائلة واصف المسيحية المقدسية والتي تتفاعل مع المشهد الإسلامي كجزء منه. وكذلك فهي نصف دوعية العلاقات ما بين أبناء القدس المسلمين والمسيحيين واليهود. واصف جوهري ينقل لنا صورة بهذا الإطن لم نعهد سماعها منذ فترة طويلة حول الانفتاح الديني في المدينة.



سليم حسين الحسيني ح
رئيس بلدية القدس في مدينة
القدس ١٩١٠
مستور لأمريكيين كوس

مستور كوش الحسيني
والرئيس لبلدية القدس
في القدس
مستور سيرة مستور
مستور الحسيني



تجارب محددة. لكن الدين كشوا كواسم
نص عن الحياة اليومية للناس العاديين
وعلاقتهم بالأحداث التي عاشوها هم فئة
عموما واصف جوهرية يعطيان الكثير من
الانطباعات الشخصية عن الأحداث
وخاصة عبر ترتيب الصور واحكام ما يتم
تمثله عرشف لكنه قد خاضع
قاربه يستتبع وينتقل مصوبا وبالجمال الى
القدس كما عرفها واصف بذلك من
خلال وصفه الديني للمواقع الختامة
ولأشخاص، لشار اليهم وسرد البارع
لتفاصيل الحدث ١٤

في العدد القادم:
سليم تماري، يوميات مقدسية.

بدانها كتاريخ تفريفا متكاملا للمدينة
الذالك. والفكرات في الجانب الآخر أيضا
نقف بدانها كمصدر مهم لدراسة الحياة
الاجتماعية في القدس. والصور والمذكرات
مما يعطوننا صورة اكبر ومهمة جدا حول
الحياة الاجتماعية والسياسية، العامة
والخاصة، الكبيرة والصغيرة، التي سادت
في فلسطين آنذاك. وهو بذلك يقدم لنا
عملا يستحق التقدير العظيم ويشكل
مساهمة قد تكون اهم كثيرا مما قدمه
الساسة في مذكراتهم عن تلك المرحلة
امثال عبدالله قائد الجيش العربي خلال
معركة القدس او انور نسيمة الذي سرد
مذكرات تتعلق ايضا بذات الحركة وغيرهم
من كتبوا حول مراحل أخرى أو حول

المشاركين الإيجليز (وهم اثنان فقط)
واحياد اسم رئيس بلدية القدس ايضا.
بالطبع فإن هنالك نواقص لا بد أن
تبرز في إطار مشروع كبير كهذا، فها حينها
لو أن واصف قد ترك لنا معلومات أكثر
حول الصور مثل من صورها وقاريخ
تصويرها وكيف حصل هو شخصيا عليها
إلخ. فرمما كنا قد وضعنا أيضا إلى جانب
كل ما تعطينا إياده المذكرات تاريخيا آخر
يتعلق بتاريخ التصوير المونوغرافي في
القدس. لكن واصف لم يعر أي اهمية
لذلك كون ما شغل باله المشروع الأهم الذي
يستند إلى استعمال الصورة كوثيقة
تاريخية تتعلق بتاريخ المدينة آنذاك وهو
محق بذلك فالصور التي جمعها تقف

المرحلة التاريخية ويعطيها وجهها
الإنساني كذلك الأمر فإنه يقف في
مواجهة التيار الشائع في كتابه تاريخ
فلسطين والقائم على تجاهل الوجود
الغلاطيني، على الأقل بالمعنى
الاجتماعي والإنساني وبذات الوقت
التركيز على حضور الآخر. على سبيل
المثال الصورة الشهيرة لاستلام مدينته
القدس للجيش البريطاني والتي نجدها
في عدد كبير من الكتب التاريخية حول
فلسطين ظهرت في اليوم الجوهري متبلة
باسماء كل المشاركين الحرب فيها (وهم
الاعلية) في الوقت الذي تظهر به هذه
الصورة في الكتب الأخرى (مثل كتاب بارثا
فستر Our Jerusalem) مع وضع أسماء
العدد المائة وخمسة. أكتوبر ٢٠٠٧ م



من مظاهرات صيف ٢٠٠٤
• Alad e Abdel Naby - Reuters

إزاعها لدى الكثيرون في أوساط النخبة وفي الوقت ذاته، يظل الاستقطاب الإسلامي/العلماني عائقاً مهماً في سبيل الوصول إلى وفاق وطني حول القضايا الجوهرية الأمر الذي لا يستفيد منه في الواقع سوى الحزب الحاكم بينما لا يصيب إلى رصيد الإخوان- القوة الأكبر على الأرض في مصر.

ووسط ارتفاع درجة السخط السياسي من ناحية، وانعدام الثقة المتبادل بين القوى والسياسات الأيديولوجية المختلفة من ناحية أخرى، صارت مصر في حاجة اليوم، أكثر من أي وقت مضى، إلى نوع جديد من السياسة ينسج مشروعاً وطنياً جامعاً من عناصر ومقومات المشروع الوطنية للقوى السياسية المختلفة فشكالات مصر قد بلغت درجة من التعقيد لم يعد من الممكن معانها أن تؤولي علاجها تبار سياسياً بمفرده.

وهي هذا السياق من الفوضى والانتكاس الوطني، برز جيل جديد من السياسيين يمنع مصر الأمل في إعادة تعريف السياسة. وقد وجد هؤلاء في كفاية ساحة وأداة هي أن معا، ومن خلالها ابتكروا ذلك النوع الجديد من السياسة. وهي من ثم تجربة لا يمكن فهمها إلا في إطار السياق السياسي والتاريخي الفريد الذي شكل خبرات مؤسسيها وطلعاتهم وزياتهم للمستقبل.

فعلى مدى أكثر من عقد كامل، تواصلت تلك المجموعة من الناشطين والمتقنين عبر الخطوط الأيديولوجية وبحثاً عن أرضية مشتركة فيما بينهم، ورغم أن مثل هذا التفاعل العابر للخطوط الأيديولوجية ليس فريداً في التجارب والخبرات الديمقراطية للأمم أخرى إلا أن كفاية تمثل المرة الأولى التي يتجسّد فيها مثل هذا الجهد في مصر المعاصرة

بعبارة أخرى، فإن ما قبل في معرض انتقاد كفاية أو التهمك عليها من أنها مثلت نوعاً من «السهل» لأن شر هندی، هو بالضبط الإسهام الأهم على الإطلاق الذي قدمته كفاية للحياة السياسية في مصر.

وينبغي في البداية الإشارة إلى أن أي تقييم لكفاية ينبغي أن ينصرف التحليل فيه إلى مستويين. الأول يتعامل مع كفاية كحركة احتجاج، بينما يتناولها الثاني كأحد تجليات ظاهرة أخرى مهمة، هي ذلك التفاعل العابر للخطوط الأيديولوجية. وتزعم هذه

■ حين تم الإعلان عن الحركة المصرية من أجل التغيير كفاية في ٢٠٠٤، اعتم بها الكثيرون في مصر وخارجها وإن لم يدركوا بالصورة معزاًها الحقيقي فقد قفز البعض إلى تحليلات جانبها الصواب بينما أساء آخرون فهم دلائلها. ولعل سوء الفهم قد نبع من أن تلك التحليلات قد قرأت الحركة إما من منظور بالغ الضيق ركز على تفصيلات بعينها فأغفل الصورة الكلية، أو من منظور بالغ الاتساع اعتمد على أدبيات الحركات الاجتماعية في الغرب. وقد أخفقت كل تلك التحليلات في وضع يدها على جوهر الإسهام الذي قدمته حركة كفاية للحياة السياسية المصرية. وقد سعى هذا البحث إلى دراسة حركة كفاية من واقع سياقها السياسي والتاريخي وهو في ذلك يقدم أطروحة رئيسية مؤداها أن المعزى الحقيقي للحركة يتمثل من ناحية فيما حملته بين جنباتها من ثروة يمكن - إذا ما تم العناية بها والبناء عليها- أن تنتج قوة سياسية عريضة ذات طابع جديد يناسب بالصيغ ما تحتاجه مصر في اللحظة الراهنة. فهي هي أن حركة عابرة للأيديولوجيا ومن ثم تمثل الثورة الأولى لما يمكن أن يخلق على المدى الأطول نسبي وفاقاً وطنياً ومن ثم تياراً أساسياً mainstream جديداً، ومن ناحية أخرى، مثلت الحركة نوعاً جديداً ومبدعاً من العمل السياسي في مصر.



كفاية!

إعادة تعريف السياسة في مصر



منار الشوريجي



هي حركة عابرة للأيديولوجيا ومن ثم تمثل الثورة الأولى لما يمكن أن يخلق على المدى الأطول نسبياً وفاقاً وطنياً ومن ثم تياراً أساسياً mainstream جديداً



كان النظام السياسي المصري قد وصل في مطلع اللفية الثالثة إلى ألق مسدود. فأحزاب المعارضة الشرعية قد صارت حبيسة مقراتها، عاجزة عن التواصل مع الجمهور ومحاصرة بترسانة هائلة من القوانين المقيدة لعملها وقد عانت تلك الأحزاب لسنوات من تراجع متزايد في عضويتها، فضلاً عن صراعاتها الداخلية الصروس. أما جماعة الإخوان المسلمون، فرغم أنها تظل محجوبة عن الشرعية إلا أن استراتيجيتها وتكتيكاتها السياسية خصوصاً في التعامل مع القوى السياسية الأخرى قد خلق درجة عالية من الشك

نشرت النسخة الأصلية المطولة لهذه الدراسة في دورية Arab Studies Quarterly في عدد شتاء ٢٠٠٧

ما قيل في معرض انتقاد كفاية أو التهمك عليها من أنها جمعت الشامي علي المغربي هو بالضبط الإسهام الأهم علي الإطلاق الذي قدمته للحياة السياسية في مصر



المراصة أنه لا يمكن الوقوف علي الإسهام
الحقيقي لكفائيه دور العناية ببذلك
المستوى الثاني من التحليل

أولا: العدسة الغلط تؤدى بالضرورة لانعدام الرؤية!

منذ اليوم الاول وجهت لكفائية
انتقادات واسعة من السياسيين والمثقفين
على حد سواء. وقد تسالوت لنسك
الانتقادات الحركة من روايا كثيرة شملت
طبيعة تركيبتها وادائها ومنهجها. بينما
قلل الآخرون من شأنها باعتبارها أداة
لقوى أجنبية، أو «شوية عيال». لكن
الانتقاد الأكثر رصانة كان ذلك الذي
اعتبر كفائية بالأساس حركة احتجاج
ديموقراطية. استهدفت الرئيس مبارك
شخصيا دون أن تقدم مرشحا بديلا أو
تطور رؤية ناعمة لتتحول السياسي
وقد اكتسب ذلك الانتقاد زحما أكثر
عقب الانتخابات الرئاسية في (٢٠١٥).
فلما كان شعار كفائية الأساسي هو لا
للتدمير لا للتوير، فإن الحركة - وفق
هؤلاء - تكون قد فقدت مبرر وجودها
بنهاية الانتخابات. وباستثناء رفض
نتائج الانتخابات، الذي عبر عنه شعار
«بإطل»، لم تقدم الحركة جديدا
وحيث لعبت كفائية دورا قياديا في تأسيس
الجبهة الوطنية للتغيير عشية
الانتخابات البرلمانية لاحقا، اعتبرت
كفائية وكأنها تستسلم للشعلة لأحزاب
المعارضة نفسها التي هالت كفائية عند
تأسيسها أنها نشأت استهدافا كبره فهل
لجسودها. فقد استدرجت كفائية
للتجسول مع قيادات «المعارضة
المتأسسة» من دلا أن تطور مطالب
بعينها للتغيير السياسي».

ورغم أن الانتقادات السابق فكرها راب
كفائية من منظور سليم إلا أن التقديرات
كفائية إيجابية بحركة كفائية لم تلتفت
هي الأخرى المغزى الحقيقي لها. فعلى
سبيل المثال، رأى الميسار الأمريكي في
كفائية بداية لعملية إعادة بناء الميسار
المصري الذي سحفته عقود طويلة من
القمع الأثني، ورمزاً تعاقب ذلك الميسار
بعد سنوات من التهميش الشديد ناجم عن
صعود الإسلام السياسي، بل إن بعض
الحللين المصريين وصفوا كفائية بأنها
حركة احتجاج «علمانية» وبمن ثم
انتقدها حين لم تقم بما توقعوه منها
ضمنا وهو احتواء الإسلاميين».

وترى كاتبة المطور ان كفائية قد
أسر، فيها على نطاق واسع في العرب،
وذلك في أوساط النخبة المصرية نظرا
لأعتماد تصنيفات العلوم الاجتماعية
الغربية، خاصة أدبيات الحركات
الاجتماعية. لأجل فهم وتحليل ظاهرة
جامعة في سياق اجتماعي سياسي
مصري معاصر تماما. ويزداد هذا القصور
المتهجي تعقيدا لدى قراءة أدبيات كفائية
برؤية ايديولوجية انتقادية.

ومع ذلك يظل مفهوم «الحركات
الاجتماعية الجديدة» هو الأقرب لتحليل
الكثير من ملامح كفائية. فهي فعلا حركة
احتجاج، تسعى إلى إحداث تحول في
مصر عبر عمل مستمر وممتد" وهي
عبارة عن شبكة فضاعضة من تجمعات
صغيرة منتشرة في طول البلاد وعرضها
وشأنها شأن الحركات الاجتماعية

الإنسان فإن هناك من سعو لتعامل
معيها من خلال عدسة ايديولوجية في
بالصورة عاية في الحق والانتقافية
هالنظر الى كفاية بمعن ايديولوجية
مودى الى ان ترى فيها ما يريد كل اتحاد
لما ان افراد وهذه الرؤى من شأنها ان
تقدم لنا كفاية متعددة متنافرة -
فصحيح أن كفائية صمت يساريين -
شيوعيين وناصريين - لكنه صحيح
أيضا أنها ضمت بين مؤسسيها
إسلاميين من حزب الوسط والعمل
ورغم أنه من المهم التنبيه الى
المشكلات الناجمة عن تصنيف كفائية
كحركة اجتماعية جديدة، إلا أنه من المهم
أيضا ألا يؤدي ذلك للقصر إلى تصنيفها
وفق قالب آخر. إلا لأنها نوع جديد من
السياسة في مصر لا يزال في طور
التشكيل فإن الصورة النهائية التي ستكون



عبد الوهاب يسري من «سقطهين»
Ain Dab Roars

عليها الحركة ينبغي أن تظل سؤالاً
مفتوحا. على الأقل في الوقت الراهن

ثانياً: تخلف حاجز الايديولوجيا

رغم ان كفائية قد تم الإعلان عنها في
عام ٢٠١٤، إلا أنه يمكن القول أنها كانت
في طور التشكيل فتعمل تحت السطح
منذ منتصف التسعينيات. والمقصود
بذلك ان مصاحفهم حركة كفائية هو نتيج
جذورها عبر العودة للخبرة السياسية
للمؤسسين. فمؤسس كفائية يتعمق إلى ما
صار يعرف بـ «جيل السبعينيات»، وهم
مجموعة من النشطاء كانوا منخرطين
تشكل مكتب هي الحركة الطلابية

بالجامعات المصرية في السبعينيات ورغم
أنهم جاءوا من خلفيات ايديولوجية
متشعبة، إلا أنهم حرصوا منذ فترة ليس
قصيرة على مد الجسور السياسية فيما
بينهم للتعلم على الحافز لايديولوجية
التي طمأنت عانت منها مصر. بعد ان صدرت
لديهم فاعلة بأن الخصومة الايديولوجية
التي تسود العلاقة بين أبناء الاحزاب
الأكبر سنا من النخبة السياسية لم تؤد
إلا إلى تعزيز قدرة الحزب الحاكم على
استمرار احتكاره للسلطة

وجيل السبعينيات هو جيل
المصرية بمعنى من المعاني. فقد تمتع
وعيه عمليا في أوج التجربة الناصرية
وكانوا - في أغلبهم - الأكثر إيماناً
وحماسة للحمل الوطني الذي كان
عنوان تلك المرحلة. ثم تعرض هذا
الجيل لصدمة كبرى مع هزيمة ١٩٦٧،
فكما يقول أحمد بهاء الدين شعبان،
أحد قادة الحركة الطلابية في
السبعينيات وأحد مؤسسي كفائية، «لقد
صاح الاستقلال الوطني باحتلال
سيناء، ونهار الشعور بالفخر الوطني
وتحطم شعار الجيش القوي في الحرب
وقد تحول كل ما قيل عن النظام
السياسي الجديد إلى كادوس من
صراعات مراكز القوى. والضعف
الوطني والاعتدال في المتفلات،
ووجدنا أنفسنا إزاء نظام يأكل حتى أشد
المخلصين له».

ولعل مواجهة تلك الحقيقة المريرة
في مرحلة عمرية مبكرة كانت هي
المسئولة عن الحس النقدي العالي الذي
ميز موقف هذا الجيل إزاء السياسة
عموما منذ ذلك الحين. فقد أدى انهيار
الصورة المثالية للنظام الناصري إلى تولد
القناعة لديهم بأن السبب الرئيسي
لذلك الفصل المؤلم لتجربة وإعادة كال
هو الطغيان والاستبداد، حتى
الناصرين منهم كانوا قد أدركوا ذلك
 واعتادوه.

البحت عن المشترك

بحلول عام ١٩٧١، كانت مصر تمر
بحالة اضطراب سياسي. فاستمرار حالة
الانحلال سلم والأحزاب عرب إسرائيل فالتفت
من الصفوات الاقتصادية، خاصة لدى
المقراء. وقد قاد طلاب الجامعات
الاحتجاجات، وطالبوا بوضع حد لحالة
الانحلال إزاء إسرائيل. وكان
الميسار هو المهيمن على



صحيح أن كفاية ضمنت

يساريين - شيوعيين وناصريين - لكنه صحيح أيضاً أنها ضمت بين مؤسسيها إسلاميين من حزبي الوسط والعمل



انتخاب جمعية وطنية لكتابة دستور جديد للبلاد.

ويقول تقرير مجموعة الأزمات الدولية: الذي نقل عنه الكثيرون، أن هذه الأفكار برغم أنها جيدة على المستوى النظري إلا أنها طوباوية في جوهرها ويسود أن كفاية نسنتها الوثائق، تومض على أنها اقتراحاً لآي تركيز واضح على أي مطلب ديمقراطي إيجابي، وفي الواقع فإن هذا التحليل مبنى على إغفال كامل في التفات خصائص مهمة لكفاية.

فشجاع كفاية في تحطيم الحواجز الأيديولوجية هو بالضبط العنصر الجديد الذي يحمل من تشكيل حركة انتلافية في مرحلة انتقالية مسألة ممكنة. والأهم من ذلك أن دور كفاية في الدفع نحو جبهة وطنية عتنية الانتفاضة والكفالة في ٢٠٠٥ كان دليلاً واضحاً على أن تلك الأفكار لم تقدم في ٢٠٠٤، لاستكمال الشكليات أو من تيار. أما موضوع «المطلب الديموقراطي الإيجابي» الذي لم تطرحه كفاية، فلهذا لا يوجد. في إطار احتياجات مصر الرافعة - مطلب الديموقراطي، أكثر إيجابية، من خلق حالة ديمقراطية. تلك هي الجوانب الواعدة التي مثتها تجربة كفاية والتي غفل عنها تماماً تقرير مجموعة الأزمات كما فعل عنها كثيرون داخل مصر وخارجها

لقد كانت كفاية التي قاطعت الانتخابات الرئاسية، عازمة منذ البداية على توجيه عناية أكبر للانتخابات البرلمانية وصارت فعلاً إحدى القوى الرئيسية الدافعة نحو تشكيل الجبهة الوطنية بهدف طرح قائمته موحدة لمرشحي المعارضة لتتقدم مرشحي الحزب الحاكم في الانتخابات التشريعية. وكما أعلن في ٢٠ أكتوبر ٢٠٠٥ ضمت الحزبان حركة كفاية والإخوان والوفد والتجمع والناصرى والعمل والكرامة والوسط.

٥٩ وجهات نظر

التحول الديموقراطي في الشرق الأوسط إلا أن حركة كفاية بكل التيارات الأيديولوجية التي تصمها لم تجد لتلك الدعاوى الأمريكية مصداقية ولا فائدة إذ اعتبرتها مجرد وسيلة جديدة لتحقيق الهيمنة. ورغم أن الكثيرين من نقاد كفاية قالوا أنها لم تقدم بديلاً واضحاً إلا أن الحركة في الواقع قدمت رؤية معقولة طويلة الأجل. فالبيان الذي يطرح رؤيتها متاح على موقعها الإلكتروني فضلاً عن أنه صدر مطبوعاً بعنوان «نحو عقد اجتماعي سياسي جديد».

والشروع يقفل في رؤية التغيير، فهو يدعو إلى وضع حد للتصاحبات غير المحدودة للرئيس صبر اختياره في انتخابات مباشرة ووضع حد لمرات تولى المنصب فضلاً عن آليات لحامسة شأله. كما يدعو البيان لإلغاء الطوائف ويرسم إطاراً لنظام سياسي يقوم على فصل السلطات واستقلال القضاء وإطلاق الحريات السياسية والمدنية.

ورغم أن تلك المطالب تبتناها قوى سياسية أخرى - كما يقول تقرير مجموعة الأزمات الدولية^(١) - إلا أن كفاية اعتبرت تلك المطالب بمثابة مهام المرحلة الانتقالية التي نفتح الباب نحو تحول ديمقراطي جذري في الأفكار واعتبرت المؤسسات، بعبارة أخرى فإن ما اعتبره القوى الأخرى إصلاحاً ضرورياً كان عند كفاية مجرد الخطوة الأولى. أي المرحلة الانتقالية. والمفارقة هنا أن كفاية التي اتهمت بأنها تدعو إلى الفوضى في المجتمع كانت هي التي أولت عناية خاصة لرسم إطار واضح لمهام المرحلة الانتقالية. وهو بالضبط ما يجب البلاد حدوث فراغ في السلطة ومن ثم فوضى، وعلى أساس أن المرحلة الأولى من المرحلة الانتقالية هو الاقتراح الذي يعتمد عليه مستقبل العملية السياسية الديموقراطية. ويضع البيان إلى تشكيل حكومة انتلافية في المرحلة الانتقالية، ترأسها شخصية عامة مستقلة ونظم مختلف التيارات السياسية والفكرية في المجتمع وتكون مهمة تلك الحكومة خلق البيئة اللازمة لإجراء الانتخابات. وبلى ذلك

على صياغة مشروع بيان يصلح أساساً للعمل السياسي المستقبلي. وقد استغرق العمل على إعداد تلك الوثيقة ثمانية أشهر كاملة من أجل التوصل إلى صياغات تعبر عن رؤية وتوجهات تلك المجموعة التي تنقسم بالعديد الشديدة. ثم طرح البيان للتوقيع من جانب الشخصيات العامة، وسرعان ما وصل عدد الموقعين عليه إلى ثلاثمائة. عندئذ قرر المؤسسون الإعلان في سبتمبر ٢٠٠٤ عن تأسيس الحركة المصرية من أجل التغيير - كفاية.

وقد جاء مؤسسو كفاية من كل ألوان الطيف السياسي في مصر من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار. فضلاً عن بعض الليبراليين.

لكن كفاية التي ولدت في بيت أحد الإسلاميين على مائدة إبطار رمضان أعلن عنها في لقاء موسع عقد في مقر جمعية الصعيد المسيحية التي تحظى باحترام واسع، واختير جورج اسحق اليساري الذي لا ينتمى لحزب السبعينيات منسفا عاماً. وتم اختيار التوقيت ليتزامن مع انعقاد المؤتمر السنوي للحزب الحاكم.

الخطر الرافض

كان من الواضح أن غزو العراق قد فاقم إحساس مؤسسي كفاية بجسامة المخاطر التي تحيط بمصر. وقد صبر البيان التأسيسي لكفاية عن هذا المعنى حيث قال الموقعون عليه أنهم اتفقوا على أن يتجمعوا معاً على اختلاف اتجاهاتهم السياسية والفكرية لمواجهة أمرين مترابطين كل منهما سبب ونتيجة لآخر^(٢). وفي المخاطر الخارجية والاستعداد الداخلي. ويوضع الخطر الخارجي في الفقرة الأولى لبيانهما التأسيسي. فإن كفاية قد رفضت خالصة الحافطين الجدد في واشنطن، فيلانسيس مؤسس كفاية كان «الخطر الزائف هو في الواقع سياسات بوش في المنطقة^(٣)». ورغم أن إدارة بوش تزعم أنه خلفاً لسياسة عدم التدخلات التي طالت أمتها واشتغل فإنها الآن جادة في دعم

ونهاية التسعينيات، كان ذلك التواصل الإنساني المستمر قد أتاح لأولئك الناشطين العمل معاً بشأن ما يتفقون عليه من قضايا. وكانت الأرمية المشتركة موجودة بالفعل. ومن خلال لجنة دعم الانتفاضة الفلسطينية لم يعد تغافل هؤلاء يقتصر على الحوار. إذ انقل خطوة أخرى ليشمل هذه المرة عملاً مشتركاً.

وقد أدى مثل ذلك التعامل وغيره إلى بناء درجة عالية من الثقة العابرة للخطوط الأيديولوجية، لم تشهدها الأجيال السابقة. وقد عمل عمق تلك الثقة إلى مستوى لافت، فكما يقول أمين السكندر، أحد مؤسسي حزب الكرامة وحركة كفاية، فإنهم قد صاروا يوقعون البيانات السياسية بالناحية عن بعضهم البعض دون استشارة مسبقة، وهو معنى بالغ الدلالة في واقع الأمر.

ومرة أخرى في أوائل عام ٢٠٠٥، عمل أولئك الناشطون معاً مع قوى أخرى، على طرح مشروع لتعديل الدستور ولكن الأحداث الإقليمية والدولية في عام ٢٠٠١ فرضت نفسها ومن ثم احتلت القمة على سلم الأولويات. فقد ضللت أحداث الأرض المحتلة الجميع. ثم جاء غزو العراق ليضيف مساحة مشتركة، أخرى وصار من قبيل الإجماع لدى أولئك الشطاء أنه كلما زعم قوى أخرى، الخارجي، صار لإصلاح الوسط الأوتوية. كما صارت الحريات السياسية في الاحتجاج لمقاومة احتلال فلسطين والعراق. ومن هنا صارت الساحة مهينة لتظهر حركة جديدة تجسد ذلك الإجماع الناشئ. وتكشف عما يتلوى عليه من إمكانات جديدة.

وحول مائدة إبطار رمضان في خريف ٢٠٠٣، بمنزلة أبو العلا ماضي، زعيم حزب الوسط، التقى ١٣ من المكونين للناشطين من مختلف التيارات، وطرحوا بمبادرة سؤالاً مهماً، «إلى أين نذهب مصر».

وبمكن النقاش الوعوض الأولى لكفاية في المزاج العام الذي يهيمن على تلك المناقشات. وقد انتهى لقاء تلك الليلة باختيار ستة^(٤) من بين الحاضرين يمثلون كافة التيارات السياسية للعمل



كفائية!

النظام -الذي هو للمناسبة بمثابة من فوضى ولكنه لا يتهاوى- ليس هو الأولوية. وإنما الأولوية هي إعادة بناء المؤسسات الديمقراطية في القرى والمدن وإعادة إحياء الاتحادات والمجالس المحلية حتى تصبح مصر كلها ورشة عمل للتغيير الديمقراطي.

وقد صار واضحاً أن تبني منهج المظاهر كمفتاح للتحويل الديمقراطي قد اضرب بالحركة ووضع حداً لتطورها. صحيح أن المظاهر كان بالغ الأهمية في المراحل الأولى وأسهم بالفعل في إعادة تعريف السياسة. إلا أن كفائية قد سمحت لنفسها بالانحراف إلى استراتيجيات تقوم على المظاهر فقط. وقد اضرب ذلك بالحركة من أوجه عدة. فمن ناحية، صار بالإمكان إجهاد ربح الحركة عبر حظر مظاهرها. ومن ناحية أخرى أدى التركيز على المظاهر فقط كآداة للعمل عبر فترة زمنية محددة إلى تشكيل توقعات الجمهور فكفائية في الوعى العام صارت موجودة فقط ما دام نشاطها في الشارع ومن ثم حين مارس النظام قيوداً على التواجد في الشارع ساد الشعور بانحصار كفائية. غير أن الأهم من ذلك كله هو أن تلك الاستراتيجيات حرمت كفائية من القدرة على ابتكار أنماط جديدة من العمل السياسي تناسب مرحلة ما بعد كسر التابوهات السياسية وتقيم للحركة وجوداً سياسياً مستقلاً وقاعلاً.

خلاصة

ما لم توجد في مصر قوى سياسية حية قادرة على التناقض السلمي داخل الانتخابات لا يمكن أن تكون هي المثل للتغيير الديمقراطي السلمي في مصر. فبينما يمثل الإخوان المسلمون قوى سياسية مهمة فإن ضعف القوى السياسية الأخرى من شأنه أن يؤدي إلى وقوع مصر-إذا ما جرت انتخابات حرة- ببراثن احتكار سياسي آخر يكون هذه المرة بقيادة الإخوان المسلمين. وعندئذ ولأن هناك استقطاباً إسلامياً علمانياً واضحاً

الاضباب الأغلبية الساحقة من المصريين من السياسة. وفى مراحل الاضطراب وعدم اليقين السياسي، فإن العمل السياسي لا يكون هدفه بالضرورة أحداث تغيير فوري في النظام السياسي، إذ لا يقل أهمية عن ذلك أن يشكل العمل تحدياً لأنماط اللغة والثقافة السائدة التي يتم من خلالها ترتيب المعلومات وفهم الأحداث. وهذا بالضبط هو ما فعلته كفائية ففى تلك اللحظة من تاريخ مصر وبعد أن تركت الأغلبية الصامتة السياسة بالكامل للخبية فإن القدرة على إنتاج أنماط جديدة للمنى تتناقض مع الأنماط المروضة وتحتدها وتطرح شكلاً بديلاً لتنظيم المعلومات السياسية وترتيبها إنما يمثل تحولاً مهماً يؤتى اثره على المدى البعيد. أما كون كفائية حركة خبوية فهو صحيح وإن كان مؤسسوها على عصى بذلك الطابع ككفائية معترضين أنه من المهم لإحداث التحول الديمقراطي أن يستعيد المواطن العادي الثقة والأمل على الأقل في قطاع من الخيبة.

ولا يتأى مابق كفاية الراهن-كما قيل في معرض انتقادها- من كونها «مجرد حركة احتجاج ومظاهرات، وإنما من شأنها مجرد حركة احتجاج لفترة أطول بكثير ما ينبغي. وكان المسجل عن ذلك هو فى الواقع الخلافات داخل الحركة حول طبيعة الدور المراد لها أن تلعب.

هناك فى كفاية تياران الأول يؤكد على موقف التواضع مع النظام والأحزاب السياسية القائمة ويرى كفاية باعتبارها أساساً حركة عصيان مدنى. ويرى هذا التيار أن النظام فى مصر يتأخر ومن ثم فإن دور كفاية أن تعجل بذلك عبر حركة عصيان مدنى واسعة. ويؤمن هذا المريق بأن وصول عدد من المظاهرين إلى ما يزيد على المائة ألف من شأنه أن يسهط الانضمام". أما الجناح الثانى فى كفاية فيرى الحركة باعتبارها النواة الأولى لحركة قاعدية بالمظاهرات فى قطب الرحلة الأولى، كما يقول محمد السيد سعيد. واستقاط

كفاية كان بمثابة السهل الممتنع. فهو تعبير بالغ البساطة ولكنه موح وثرى. ويرى البعض أن شعارات كفائية الصرطية على التبسيط إنما تعكس حالة الحركة نفسها فهي «مجرد حركة احتجاج لا تملك رؤية بناءة لعملية التحول، غير أن الواضح أن أصحاب هذا الرأى ينطلقون من تعريف محافظ لعنى الرؤية البناءة، ذلك لأن كفاية قد قدمت فى الواقع بديلاً ولكنه بديل راديكالى مستقبلي مصر. ولا يجوز فى الواقع الانسحاق وراء الأختزال الذى اعتبر أن كفاية قد استهدفت الرئيس شخصياً ذلك لأن الحركة فى الواقع قد رفضت قواعد اللعبة السياسية ذاتها. فالحاجة السياسية فى مصر قامت منذ زمن على احتكار شبه كامل للسلطة السياسية من وجود إطار قانوني يهاصر كل من الأحزاب ومنظمات المجتمع المدني. وما فعلته كفاية كان أن التفت حول ذلك الإطار المأساوى برمتة. فعندما رفضت الانصياع إلى قواعد اللعبة السياسية الموجودة فإنها فى الواقع قد أعادت لتعريف السياسة والعمل السياسى فى تلك اللحظة تحديداً من تاريخ مصر.

فقد كان فى الجوهر من فكر مؤسس كفاية إن الشرعية ليست منحة حكومية ولا تتطلب إذن من الحكومة. وللاخروج إلى الشارع دون إذن مسبق، فقد وسعت كفاية من مساحة المتيق وارتأت بذلك فضاضات عامة جديدة أيضاً. وبوضع لفظ بالتعبير فى اسمها، فقد حركت كفاية رمالاً المشهد السياسي كله. إذ لم تعد قواعد لعبة بالاصلاحيات التى أجرت إليها أحزاب المعارضة لسنوات وغرقت فى الحاكمة. ولأن تلك رؤية راديكالية. فقد احتاجت كفاية فى مراحلها المبكرة إلى الألف أن تكون «مجرد حركة احتجاج، فعلى مدى أكثر من نصف قرن كان المصريون قد اعرضوا عن السياسة بسبب الخوف والقمع أو الشك فى جوى العمل السياسى. فشأت أجيال جديدة لا صلة لها بالزعماء السياسى بالطلاق. ومن هذه الزاوية تكون كفاية قد تعاملت مع أكثر مشكلات مصر السياسية حدة وهى

إلا أنه كان واضحاً منذ البداية أن أفاق نجاح الجبهة محدوداً نظراً للمشكلات الهيكلية والتنظيمية التى تعاني منها الأحزاب السياسية وجدة فكرة الجبهة الوطنية. بما كانت تعنيه من توفيقات لم تكن أطراف كثيرة مستعدة للوفاء بها لكن يظل صحيحاً أنه «لاول مرة من خمسين عاماً، اجتمعت قوى المعارضة على إنشاء تحالف من أجل انتخابات برلمانية. كما يظل صحيحاً أنها شملت أحد تحليات محاولات جيل السبعينيات المستمرة لتعطى الحواجز الأيديولوجية والعسكرية التى ظلت تسع التيارات المختلفة من العمل معاً.

ثالثاً، إعادة إنتاج المعنى

استخدم الكثيرون شعارات كفاية المباشرة لتشكيك فى جدية الحركة. خاصة تلك التى اعتبرها بعضهم «خفة، مثلت «إهانات، غير مقبولة لرئيس الدولة. لكن ربما يكون من المهم تحليل تلك الشعارات وفق معيار مختلف يتخطى المستوى المباشر ويذهب إلى ما هو أعظم منه. فمن خلال تلك الشعارات وغيرها من الأدوات كانت كفاية تخلق فى الواقع نوعاً جديداً من السياسة يناسب احتياجات لحظة معينة من تاريخ مصر.

ولعل تعبير «كفاية، ذاته يعيد فى شرح وجهة نظر الكتانية إلى الإسهام الذى قدمته الحركة. فدلالة التعبير «كفاية» كونه مصرياً بامتياز بل ويأتى من عمق الثقافة الشعبية المصرية. ولأنها كلمة واحدة معبرة وموجبة تنطوى على دلالات كثيرة، فإنها تنتم أيضاً مأسولة ذاتها التى اتسمت بها الحركة. فهو التعبير الذى سمع متوليد عند فكير من جيل الأيسر مثل «فانون من أجل التغيير، «وشباب من أجل التغيير، وعصام وصحبيون ومحامون... الخ وهو ابتكار الذى سمح للحركة ألا أن تنظم عدداً من المظاهرات تتعلق بقضايا مختلفة من البطالة إلى الفساد ولكنها تحت شعار كفاية، كفاية بطانة، كفاية فساد، فساد

كفاية التي ولدت في بيت أحد الإسلاميين علي مائدة إفطار رمضان
أعلن عنها في لقاء موسع عقد في مقر جمعية الصعيد المسيحية. واختير جورج اسحق
اليساري الذي لا ينتمي لإجيل السبعينيات منسقا عاما

وتوترا بين الإخوان من ناحية والكثير من القوى السياسية من ناحية أخرى. فالأرجح أن وصول الإخوان للسلطة في شأنه أن يفاقم مشاكل مصر لا يساعد على حلها.

وفي هذا السياق تحديدًا يأتي المعزى الحقيقي لكفاية هالجيل الذي أسس الحركة قدم ثمره بدلًا أفضل يتمثل في غرس البنود الأولى لعملية مصالحة سياسية بين التيارات الأيديولوجية المختلفة، الأمر الذي يفتح الباب أمام الوصول إلى مقالة معتدلة.

لقد أدرك مؤسسو كفاية أن احتكار الحزب الحاكم للسلطة يركز إلى حد كبير على انقسام قوى المعارضة وعجزها عن صياغة مشروع مشترك للتغيير أو على الاتفاق على أي مطلب سياسي. ومن ثم فقد كانت مصر في تلك السياسة تحديدًا من تاريخها في حاجة إلى حركة سياسية عابرة للأبدول جمًا.

ويلاحظ بقاء كفاية بحق أن الحركة
فقدت زخمها. ورغم أن كفاية الآن في
مفترق طرق وربما بحاجة إلى إعادة نظر
شاملة في دورها فإنه يمكن القول أنها
تواجه نوعين من التحديات
وبتمثل التحدي الأول في تهممة

أهم إسهاماتها وتوسيع نطاقها ألا هو التفاعل السياسي العابر للأيديولوجيا. يحتاج الحد من حصة مرسوم كميأة إلى بثألة خطوة مهمة للأمام في مسألة التفاعل العابر للأيديولوجيا. إذ نقولوا هذا التفاعل من مستوى العمل المشترك بشأن قضايا السياسة الخارجية فقط إلى مستوى أعلى يتمثل في حركة سياسية أهد المرة وهو ما يمثل تجربة وأعدة يمكن تميميها لتشمل قضايا جوهريه بل وتوسيع نطاقها إلى ما يتخطى كافة لسماء.

وهناك بعض المؤشرات الإيجابية في هذا الصدد، ففي كل الخلاقات الحادة التي وقعت داخل كناية منذ تأسيسها لم يحدث في أي من تلك الخلاقات اصطفاً أو ايديولوجياً. ففي كل معركة داخلية كان كل طرف من أطراف النزاع يتسم بالتنوع الأيديولوجي الذي تتسم به الحركة ذاتها.

أما التحدي الثاني الذي يواجهه
الميراث المائة وخمسة - أكتوبر ٢٠٠٧ م

كناية فهو التوصل إلى إجماع بإدخالها
يقدم رؤية واضحة والعمية يستقبل
الحركة. ثم سم أنواتها.

ونظرا لطبيعة الأوضاع السياسية
المصرية والطابع التجوي لكناية. فلا
يجوز لرموزها أن يتولفوا منها أن
تتحول لحركة جماهيرية لكن كناية
أستطيع أن تنشط المجتمع عبر وسائل
أخرى غير التظاهر والدعوة للصليان
المدني.

ولا يقل أهمية عن ذلك أن وجود
كتابة بعد فاته لهم أجيال جديدة من
مصريين جليل السعينيّات الذي أسس
الحركة قبل فريد من المصريين. فهو
جيل مسين ولديه خبرة بالعمل
السياسي المباشر في ما هنا وفي المقابل
فان العناصر المسيسة من الأجيال
الأصغر ذات خبرة سياسية محدودة
خصوصا بالعمل السياسي المباشر ومن
ثم لديها من خلال كتابة فرصة لاكتساب
مهارات العمل السياسي.

والإدراك الواقعي للممكن والمستحيل
ومن ثم التركيز على مواطن قوة الحركة
وأهم إسهاماتها وتعميقها.

وسواء عاشت حركة كفاية في صورتها الحالية أو أخذت شكل جديد أو حتى فُتت وجوها كيان سياسي أو بالحكام، يظل صحيحاً أن مسيرة جيل المبعثيات قد خلقت وفاق وطني قد صارت أكثر صلاوة وضوحاً من أي وقت مضى. فعندما يلتقي أبو العلا ماضي الإسلامي وأحمد بهاء الدين شعبان الماركسي طوعاً ومعلماً كما به يشكل جيل مشروط عابر للخطوط الأيديولوجية، يصبح علينا التأكيد على أن مساحة التوافق بين المبعثيات السياسية في مصر أكثر اتساعاً بالتأكيد مرة أخرى أن النطام أو الإخوان أو غيرها.

وهذا التفاعل الذي يتجاوز الخطوط الأيديولوجية لا يزال في مراحل مبكرة وتواجهه صعوبات بل وانتكاسات، ولكنه أيضا يحرز تقدما. ففي الثمانينيات اقتصر التفاعل على الحوار وفي

بشأن القضايا السياسية الخارجية فقد
 وحق العقيد الرطل عرعر نفسه في شكل
 حركة انقلاب وتظل الصورة المستقبلية لثلث
 هذا العمل سؤالا مفتوحا.

خلاصة القول إن تقسيم حزب الحركة
 كفاية ينبغي أن يتخطى إلى عصر
 المستقبل للحركة ذاتها، فحققت
 كفاية أفاها جديدة للتمكن في المستقبل
 وأقررت نفاة لفترة إيجابية الآن من صبر
 بغير بذلت البذور التي نضج وفاق
 وعنى، إذا ما تمت العناية بتلك البذور
 ورعايتها. وفي هذا الجانب لدينا عند
 حرق مرسوم كفاية - المختصون
 أيولوجيا، نحتاجا عمودا.

هوامش ومراجع:

اعتمدت هذه الدراسة على مصادر أولية من مقالات وتقارير صحفية، وبيانات الحركة وثائقها، فضلا عن مقابلات شخصية ممتدة على مدى ستة أشهر من سبتمبر ٢٠٠٥ وحتى شباط (فبراير) ٢٠٠٦ أجرتها الباحثة مع عدد من مؤسسي الحركة أمين إسماعيل، أمال ماضي، أحمد بهاء الدين شهاب، جورج اسحق، عصام سلطان، محمد السيد سعيد، ومحمد السيد إدريس.

١. محمد عبد الجليل، *الخرطة السياسية*
الريفية في مصر، الجليل ٢٠٠٩ أكتوبر ٢٠
٢. Reforming Egypt. In Search of a
Strategy, International Crisis Group,
Middle East/North Africa Report, 46,
Oct. 4, 2005 and 10
٣. محمد عبد الجليل، *الخرطة السياسية*
الريفية في مصر، الجليل ٢٠٠٩ أكتوبر ٢٠
٤. إسماعيل يحيى، *بسمه في مصر كفاية* من حلوة
إ. جليل، الجليل ٢٠٠٩ ٢٠ يناير ٢٠
٥. Issander El Amrani, Kifaya and the
Politics of the Impossible, ZNet, Jan. 4,
2006
[www.zmag.org/content/
showarticle.cfm?SectionID=22&ItemID=9463](http://www.zmag.org/content/showarticle.cfm?SectionID=22&ItemID=9463) Feb 27 2006
٦. وانظر أيضا: محمد عيسى، *الأصابع*
الأخوية لحركة كفاية، الجمهورية، ١٩
أكتوبر ٢٠٠٩

5. Joseph R. Gusfield, "The Reflexivity of Social Movements: Collective Behavior and Mass Society Theory," in: Enrique Larana, Hank, Revisited Johnston and Joseph R. Gusfield, eds.,

٦. الراحل أحمد عبد الله لم يشترك في تأسيس

٢٢٧-٢٢٥

٨ المرجع السابق
٩ مصر والسمودح الديمقراطي، مقدمة بقلم
عبدالله بن عبد الله، ص ٧

١. كان هؤلاء الستة هم جورج اسحق، محمد بهاء الدين شهاب، محمد المسعود الزبيدي، عبد الستار الخليلجي، أبو العلا ماضي وأمين اسكندر

١١. البيان التأسيسي لحركة كفاية علي موقعها الإلكتروني
<<http://harakamasri.net/information/MOre.asp?id=803&id=14>>
July 13 2005

١٤ من شجيرة الحظير الرخامي في السبعيات
إلى كتاب وتيم كريستول عام ٢٠٠٠ الذي يحمل
عنوان الأسس، استخدمه لمخاضون الحشد - علي
عدي عقود - تعبير الحظر، راهي تكن المشاركة
أو أجدد أفضلي الجديد في الشرق الأوسط.
والتي يروج لها في واشنطن عتساف صير
الديمقراطية في العالم العربي هي التي يسطر
أليها كحظر راهي من جانب القوي الديمقراطية
في مصر
نظر

William Kristol and Robert Kagan eds.
(San Francisco: The Present Dangers
Encounter Books, 2000).

١٤ المجموعة الدولية للأزمات منظمة غير
حكومية مقرها بروكسل بلجيكا وتقوم بدبحاث
وتحليلات عقلية ولها مكتب عمر بمختلف
أجزاء العالم أنظر موقعها الإلكتروني
www.crisisgroup.org

١١. نحو عقد اجتماعي سياسي جديد، إصدارات كمانية الطبعة الأولى، أغسطس ٢٠٠٥

١٠٥. Reforming Egypt, in Search of a Strategy. International Crisis Group Middle East/North Africa Report, 46, Oct. 4 2005

١٠٦. Alberto Melucci, A Strange Kind of New Social Movement. What's New Movements, in New Social Movements From Ideology to Identity, pp. 101-130

١٧. عيد الحليم قنديل، لعمود الاسبوعي العربي
الناصري، ١٢ يونيو ٢٠٠٥، الرابط الإلكتروني
<<http://al-araby.com/articles/958/>
050508-958-coi:wat.htm> acc:15/03/

خَلْعُ الكِرَافَةِ وَهَوُو

جمال الدين الخميسي

١٩٧٥

لم يخب حكمه فمن حمل
شعلة الضمير في قلبه وكان شغوفا
بالقضايا الفكرية منذ طفولته ظل على مدار
حياته صلياً أمام مغريات المرأة
اللعب المسماة بالحياة

١٩٧٥

دو تشنج ودون أن تكشر عن أيناها أو أن
تصور أن ما نكتفه هو رحيق مدائن فيكي
أن تصير الكلمات من أفكارنا. ويفصل الآ
تغرق ونحن نكتش إلا إذا كان الحو شديد
الرمولية والحرارة. وعلياً أيضاً أن نقوم
بالغاء كل المصطلحات المترجمة التي
مقرها الآن في معظم المقالات وهي كلمات
الرب إلى اللاتينية منها للعربية وهي
مصطلحات مترجمة عن طريق
مترجمين لا يعرفون العربية أصلاً. وقد
خلت المصطلحات الأربعة من السيرة
الدائنية من أي من تلك المصطلحات
المنجبة فحاء النص صرياً صرها وأنا
الآن أخلع إمامكم الكرافة لأحاول الكتابة
بالساسة نفسها التي كتب بها سيرته.
من العسير التعرض بالنقاش لكتاب
مثل هذا الكتاب. فالسيرة الدائنية لجمال
أمين جاءت كفيض من الأفكار المتلاحقة
توالت أمواجها الهادرة بتلاحق سنى
عصره. ولكنها أمواج بالسكرو ليست
بالزبد مما احتوته من خفة الظل المشهور
بها جلال أمين، من ذكرياته عن والده
ووالده التي لم يتأهده الأب باسمها
طوال حياته. إلى إخوته وأصدقائه
ورمائه ومعاصريه والساسة ورجال
القانون والاقتصاد والمكر. وتذكرت قول
الشاعر «إبي الحباب الفرنطاني» «ماذا
أقول وكل قول قاصر». في وصف بحر
زاهر الأمواج. فحيرت أن تناول الكتاب
من زاوية واحدة وهي ماذا علمني الكتاب
من دروس في حياتي ولشدياً بقضية
المدرسة التي أثارها الدكتور جلال أمين
في سيرته الدائنية.

يلعب الكاتب بالشفقة تجاه معارفه
وأصدقائه ولتأكيد تجاهنا جميعاً أمام
الحيرة التي تتركب الأهل في اختيار نوع
التعليم المناسب لأولادهم. يحكى عن
الجهد المصنى الذي بذله جده لاختيار
الوجهة التي يجب عليه أتباعها في تعليم
ابنه أحمد، فقد أدخله مدرسة بعد أخرى
ويحكى عن العذاب الذي تعرض له والده
من جراء تلك التغييرات المتصلة على
أمل إحقاقه بالمدرسة الأفضل. ثم يحكى
كيف أن هذا السيناريو قد استمر معهم
وأن والدهم قد بذل جهده في البحث عن
المدرسة الأنسب لهم. وكان ذلك سبباً في
أن قاموا هم أيضاً بتغيير المدرسة. وعلى
مدار حياة الكاتب شاهد من خلال عائلته
ما يعانيه الأهل من جهد ووقت
ومناقشات عن المدرسة الأنسب للأبناء.
ويؤكد في النهاية أنه لم يعد لديه شك
في الأهل يبالفون بشدة في أهمية

استطاع د. جلال أمين أن ينقل إلى
القارئ ألح الحفظات والساعات والأفكار
والعاس التي أضاعت حياته. نقلها لنا
بسياسة معبرة وكأنه يدرش معنا على
مائدة الإفطار. وكانت كل فكرة تعرض لها
الكاتب خلال سيرته الدائنية من اللمعان
بجيت أضاعت ركتنا مطلقاً في السيرة
الدائنية لكل قارئ تعرض الدكتور جلال
أمين في كتابه لفصايا الحياة التي
تواجهنا ونحتاج إمامها إلى تقديم
إجابات. قدمها بعدوية في القول وعمق
في المعنى على مائدة الإفطار أطيبها
الخاصة لحل معضلات الحياة لم يترك
شيئاً إلا ونافشنا إياه. ولكن لا شك أن
الدروس الرئيسية الذي يخرج به قارئ هذا
الكتاب هو فهم عميق للفلسف البشرية
فهو في ذلك أشبه بعمل أدبي شديد
اليلة يكاد يقارب في هذا الضمار أحد
أعمال دستويفسكي

التي الصوء من خلال سيرته على
عشرات وعشرات الشخصيات. منها العام
ومنها الخاص وضلع على زر الشاهدة
السرية Fast Forward شاهدنا معه
الحياة تلت بسرعة السنين بسخوتها
البالعة. وكان معياره الدائم للنظر إلى
الشخصيات هو في مدى قدرتهم على
التعاطي مع القضايا الفكرية والقضايا
الأخلاقية. وكأنه قد ركب في نظارته التي
يحملها على أنفه منذ الصغر عدسة
للأخلاق وأخرى للمكر. ومن خلالهما
شاهد العالم وتابع الأحداث على مدار
حياته. ولم يخب حكمه فمن حمل شعلة
الضمير في قلبه وكان شغوفا بالقضايا
الفكرية منذ طفولته ظل على مدار
حياته صلياً أمام مغريات المرأة اللعب
المسماة بالحياة.

قلت للدكتور جلال أمين في الاحتفال
الذي أقامته له «دار الشروق» بمناسبة
إصدار الكتاب أن هذا الكتاب هو أول كتاب
أسمعه يعني. فخرج هو أن السبب أنه
خلع الكرافة وهو يكتب. وفي الحقيقة
أنا أتفق معه تماماً فرابطة العنق قد تكون
معيبة ونحن نتقدم لعرض جميلة أو
نتقدم لوظيفة جديدة. ولكنها تصطف
على العنق بشدة أضاء الكتاب فتخرج
الألفاظ معوجة ومعطوبة وفي الأغلب
لا معنى لها. والمعنى واضح هو أن نكتب

ماذا علمتني الحياة؟

سيرة دائنية

جلال أمين

القاهرة - دار الشروق - ٢٠٠٦

يكاتب «حياة» جلال أمين

وأعادت شخصياً بمقولة اراها في منتهى الأهمية قالها لتلميذها جلال عندما اشتكى من حجم الكتب التي نصحه بقراءتها فقد قال له: يجب أن تتعلم أن تقفز في الفراغ)، (You have to learn how to skip) ويقول الكاتب إنه يتعلمه هذا القفز قد استفاد الاستفادة عظمية. فلا يمكن أن نذكر حجم العائدة التي يمكن أن يجنيها القارئ من وراء هذا التعلم، ويتحسر الكاتب على الوقت الذي أصابه في قراءة كتب صغيرة كان من الواجب عليه تركها منه إدراكه سخاها. وقد تأثرت جدا بهذه المقولة حيث أدتني قد تعلمت منذ الصغر ألا أترك كتاباً قد بداته وألا أترك طبقاً إلا فارغاً، وألا يسي أترك حجم خطسي في الأمرين. فقدمت لشعر ما تتبعه علينا التوفيق عن الأكل ولابد أيضاً أن نأخذ بمقولة روزنر ونتمتع ألا نقرأ ما لا نفيد وفي إحدى المحاضرات العامة التي كانت كلية لندن تنظمها لطلابها حاضر الأستاذ الشهير في علم الاقتصاد ريتشارد ليبسي وخلال المناقشة التي أعقبت المحاضرة حكى المحاضر قصة التبدليل على أنه لو قدر له ألا يخترع أخرى في العلم التي سوف تخصص في علم الاقتصاد، ومخلص القصة أنه إذا بحث كان يقوم به يتطلب إعداد جدول إحصائي يبين تطور الأسعار عبر فترة زمنية معينة (بين سنة ١٩٣٠ وعام ١٩٦٠ على سبيل المثال). كثبتت السكربتة الأرقام الدالة بالملفوظ فجاء الرقم الخاص بأول سنة ١٩٣٠ وهكذا وعندما بدأ الأستاذ في التحليل الاقتصادي لم يطقن لتلوهة الأولى للخطا. ووجد أنه من الممكن أن يفسر الأرقام وهي مرتبة الترتيب الصحيح بالعلم من جهة التحفظات العلمية. وعندما اكتشف الأستاذ الكبير الخطأ هاله أن تكون هذه هي حالة علم الاقتصاد، وتوجب من هذا الدرس يمكن النظراته أن تقصر الشيء وبقيصه بنفس الدرجة من اليقين. وهذه القصة تفسر في الواقع خيال الأستاذ جلال أمين نفسه في علم الاقتصاد الذي أمضى حياته كلها في تدريسها، فالأرقام تبدو شديدة القلق، وحادة التصل ولعلم يقف أمامها متحنياً. ولكن في الواقع هي شديدة الرأه

الأدب الروسي يبدأ في السهام وأيات دستونيسكي ونوليسوي وتورجينييف وقصص تنيفوف. كان قادراً نهما ولكن لم يفت نظري هو: لماذا قرأ جلال الصبي كل تلك الكتب؟ اعتدوا المسد هو به لم يصر عليه أحد قراءها. فقد ترك والده الكتب مشروحة كالد في أنحاء المنزل. لم يطلب من أبائه الالتفات إليها. تصور د جلال أن والده مشغول أو غير مهتم ولذلك لم يسأل أحداً القراءة، ولكن أرى أن ما فعله أحمد أمين كان في منتهى الحكمة. وألا ما كان اشتري كامل الكيلائي لو لم يكن عابثاً. ما تعلمته أن علينا أن نعمل منزلنا حديقة مليئة بالورود ومن المؤكد أن الأبناء مع الوقت سوف يبدون في استئناسك أزهارها. رغم حزني أن د جلال لم يستثن في روى الشعر العربي.



التحق د جلال بكلية الحقوق جامعة القاهرة عام ١٩٥١ وأقهره لذا فصل كامل في كتابه وسكن لنا عن أساتذته ومعيديه وسينهم أساتذات مستقران بنين وبينهم وهما الدكتور زكي شافعي والدكتور رفعت المحجوب الذي قام بتدريس مادة «المالية العامة» عام ١٩٥٣. ولكن قصة علاقته بأستاذة الدكتور سعيد النجار تستحق أن نتوقف عند برهة. لأن لديها مقومات دراسية جادة، فهي علاقة افتتان من جانب الدكتور جلال أمين بأستاذة اكتشف مع الوقت أنه يقف هكياً على طرف نقيض مع كل ما يزل به. جاهد هذا الأستاذ في سبيل بيع القطاع العام ودعم مشروع الشرق أوسطية، والسلام مع إسرائيل والآن أنه كان رجلاً محترماً، فلم يكن ما جازوا أو المرتزقة الجدد. ورغم كل ذلك لم يستطع الدكتور جلال إلا أن يحبه، علاقة تنميا به من أوجه الضعف ما يمرض عليه أن يكون أكثر صبراً وتسامحاً مع صاحبه.

سافر إلى إنجلترا عام ١٩٥٨ في بعثة حكومية لدراسة الاقتصاد في مدرسة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية. وأشرف على رسالته للماجستير الأستاذ «ديونيل روزنر» الذي افاده معلمه العزيز

انجليزي لانه على الأرجح من المحتلين، وتكررت أن د جلال في أحد كتبه السابقة ذكر أن التأثير الأوروبي لم يكن واضحاً تماماً في جيل والده العلامة أحمد أمين والذي كان اختار على الأرجح في صباه مثلاً أعلى من أمم العرب، وأن التأثير العربي بدا واضحاً في جيله الذي نشأ في الربع الثاني من القرن العشرين، وتذكرت أن د لويس عوض في سيرته الذاتية أوراق العمر، ذكر أننا يمكننا من الأسماء التي يطلعه المجتمع على أبائنا أن نعرف مدى التقدم الاجتماعي الذي أحرزناه. فهندما تكون الأسماء مرتبطة بالدين كاسماء شوشة وكيرلس ولويس من المسيحيين، وسيف الإسلام وقصيماء وإسلام من المسلمين لأدركنا مدى التطور الاجتماعي الذي نصحه والعكس صحيح، فيذكر الدكتور لويس عوض أنه خلال فترات الانحطاط التي طغلتها على أبنائنا، وأذكر أن أسماء زملائنا المسيحيين في فصل مدرستي - وكنا ولداً ما بين عامي ١٩١٢ و١٩٣٠ - كانت: جدي وشريف وماجد وصامح ورفيق وكان هناك شريف، وهو لم يكن من بين أسماء المسلمين ما يدل على الانتماء الديني بشكل صريح، وعلى العكس من ذلك تحمل أسماء زملاء أولادي في الفصل الدين ولداً ما بين عامي ١٩٥٥ و١٩٦٦ فرزاً طائفاً شديداً. فمعظم الأسماء في الفصل مثل تلك القرآن، وكيرلس ويتر الدين وشوشة. ولو طبقنا هذا المعيار على اختيارات المصيبة لمعلمه العليا هل يمكننا أن نستخلص نتائج اجتماعية؟ رفضت بعنف وأنا حينئذ أن يكون لي مثل أعلى، على الأصابع (كنا ولا تسمه) واختار بعض الأسماء مثلاً علياً لهم وكانوا على ما أتذكر معظمهم من المصريين، على ذلك في منتصف الستينيات من تلك القرن، ومن الجميل أن تعرف المثل العليا لصيبة اليوم. تعرض د جلال لقراءته في فترة الصبا والتباعد منذ عام ١٩٤٥ وهو في العاشرة من العمر وحتى ١٩٥٥ وهو في العشرين. بدأ يتكلم كامل الكيلائي بوجود السحان ثم انتقل إلى محمود تيمور وتوفيق الحكيم وطه حسين والمزني والمفلوحي وانتهى بنصيب محفوظ ويوسف إدريس. وبالتالي لم يخل الأسماء من الكتب الأوروبية فبدأ بالكتب الانجليزية ثم بعضاً أخيه حسين اكتشف

المدرسة في تنمية القدرة العقلية للطفل أو تنمية حبه الأخلاقي، وأن أثر المدرسة، وهناك المناهج السائد أهم من أثر المدرسة. وهناك أيضاً الاستعداد الطبيعي للطفل أو مجموعة القومات النفسية والجينية التي تشكل شخصيته وإمكاناته. ويحكى لنا عن الأمايق الشاسع بين أخيه فاطمة ونعيمه اللتين ذهبتا إلى نفس المدرسة وتعلمتا في الأولى وحابت الثانية، وتتمت فتقومت الأولى والحديث والثانية إلى العالم القديم، حتى أن نعيمه لم تستطع صبرا وخروجت مبكرة من المدرسة. أما الابن الأكبر محمد فقد التحق بمدرسة الفرير ولم تحض له المدرسة شيئا غير أنه عندما بدأ يقوم بعمليات حسابية كان ينقل الأرقام بالفرنسية. ويرجع الكاتب أن أباه بعد تجربته مع أبائنا أدرك هو الأبا عدم أهمية نوع المدرسة في المستوى التعليمي للابن، ولكن الكاتب من أجل أن يريتنا حتى لنا أبينا من قصة كتابه المفضل «جورج أورويل» المعروف بالبحارزة الفكرية لبسطها، أنه أدخل أسنه في مدرسة باهظة التكاليف وسأله ألا ترى أن هناك تناقضا في ذلك؟ فأجاب أنا ضد وجود تلك النوعية من المدارس وسوف أسمى لإفنائها ولكن مادامت موجودة فانا سوف الحق أبائنا بها. وفي الحقيقة أن هذا الموضوع يمكن أن يأتي في قائمة أكثر الموضوعات التي أرتقت حياتي الشخصية. وقد خرجت من الكتاب بانثى وألا شك قد بالغت كثيرا في أهمية المدرسة وإن التضييق المالية التي اجتاحتها يجب على إعادة النظر فيها ولو لم أستطع فلا أتمنى إذن أن يكون أورويل على حق



اختار جلال أمين في صباه فولتير، لكي يكون مثله الأعلى أسوة بأخيه حسين أحمد أمين الذي يكبره بصاحبه ونصف الذي كان قد اختار نابوليون وماركس وتولستوي على التوالي كمثل عليا له، ثم يجمعا في بقية إخوته الخمسة محمد وفاطمة ونعيمه وعبد الحميد وأحمد وعين اختاروا لكي يكونوا مثله الأعلى، على الأرجح لأنهم كانوا أكبر كثر من جلال وكان د يعرف موقفهم من المثل العليا. إذ أن كثرة تلك الأمثلة من المثل العليا، حيث إرسم كانوا كلهم من الأوروبيين، يفسر لها نصيب الأسد لثلاثين من روسيا وألمانيا، ولم يتم اختيار

يقول الكاتب إنه يتعلمه هذا القُرْءُ استفاة استفاة عظيمة، فلا يمكن أن ندرُك حجم الفائدة التي يمكن أن يجنيها القارئ من وراء هذا التعلم، ويتحسر الكاتب على الوقت الذي أضاعه في قراءة كتب خفيفة كان من الواجب عليه تركها منذ إدراكه سحافتها



نحن أمام قصة من لحم ودم وليست من ورق سلفاق كان مبعثراً. وقد طبق جلال أمين معياره للحكم على الأشخاص على أنور السادات وهما علاقة الشخص بالأخلاق وبالعكس فوجد أن السادات يثير السخرية والراء أكثر مما يثير الاحترام أو الحب، فيه أنه رجل غير جاد ومعار لصاحبه نفسه، كثير المزاج.. قليل العبر على القادة أو التفكير مع إفراط في الحرص على الخفظة. وكان كل ما يصل إلى جلال أمين مما يتعلق بسلوكه أو مواقفه يؤكد صحة هذا الموقف السلبى وقويوه. هكذا إذن يطبق جلال أمين معايير للحكم على الأشخاص.

وفي لحظة التهليل والفرح الذي شنها السادات بعد حرب أكتوبر، أصاب جلال أمين غم شديد، فبعد استيعاب، من قباها وضحت رغبة أنور السادات في السلام وبدا له أن هناك خطة أمريكية بباركة أنور السادات لدفع مصر إلى التصالح مع إسرائيل، لم يستطع البقاء في وطن يتم بيعه فرحل إلى الكويت في بداية ١٩٧٤ للاتصال بالعامل في الصندوق الكويتي. وأصبح جلال أمين إلى القاهرة المقيم المهاجرين بعد أن سافروا بين عامي ١٩٧٢ و١٩٧٧ بعد أن أدركوا هول المؤامرة التي يشنها أنور السادات. كان من بينهم من عائلتي والدي عبد الرحمن الفيضي والسيد الشواشي الشواشي الكاتب والروائي، وغيرهما الكثير مثل أحمد بهاء الدين وأحمد واحد ومحمود السعدني وأحمد هيدلعطي حجازي ورجاء النقاش وصالح اللبني وغالي شكرى ونيل زكي وأحمد عباس صاحب راديو وأمير استدر ومحمود أمين العالم وغيرهم الكثير ليشكلوا موجة كاملة من هجرة المثقفين المصريين بعد موجة هجرة أصحاب الملايين في الستينيات ولكل عصر مطروء ورجاله.

وجاءت بعد الكويت محطة الولايات المتحدة التي وجدها أسوأ حالا مما تخيله جورج أوبوين في ١٩٨٤، فأوريل واحد على مكتب من النظم الديكتاتورية، ولم يكن يتخيل أن يصل الأمر بالنظام الشميقرطانية، إلى هذا الوضع الذي كان يكتف على جلال أمين الوضع في مصر وأمتهالها مما شاع اعتبار نظام الحكم فيها شموليا، وهو باقيل كذلك، أفضل حالا من الوضع في الولايات المتحدة، فقد ينعم أهل مصر بدرجة

أول شرح في هذا التعاطف بدأ عام ١٩٦٣ بموقف عبد الناصر السلبى من ميشيل عفلق وهو الأب الروحى لحزب البعث وخاصة أن جلال أمين كان قد انضم لحزب البعث خلال سنوات الجامعة، وتوالى الأحداث التي تقفده التعاطف بالكامل مع الحكومة المصرية بعد جمال عبد الناصر، فالدولة تحولت تدريجيا إلى دولة لسياسية وسخايرانية. القمع السياسى يهمل لعدلات غير مقبولة وجاء التحول دارميا من أحسن الأحوال إلى قبح الأحوال. وخلال هذه الفترة قبضت الحكومة على صديقه دلى مختار، دون أي سبب واضح وعبر الأرواح كان سببا خفيفا، قرأ أخوه محمد في الجريدة السباحية وهو يهم بالذهاب إلى مكتبه كرئيس لمجلس إدارة شركة إيطالي خبز إرحاته إلى العاش ولم يكن قد بلغ الخمسين.



وعند ذهاب أخيه عبد الحميد إلى عمله في المركز القومى لبحوث لم يجد أي لملهجة التي يستخدما في حقبعه وصفه أنور نقلت إلى مركز الطاقة الذرية في اليوم السابق لأن مسئولا كبيرا سوف يفتتح هذا المركز، ومنذ ذلك اليوم امتنع عبد الحميد من الذهاب إلى مركز البحوث بل وانقطع تماما عن التدريس في كلية الهندسة ولم يكن قد بلغ الأربعين. ثم تآتى الهزيمة العسكرية عام ١٩٦٧ والتي أطلقوا عليها النكسة تعصيب المجتمع كله بصدمة كاسحة ويذكر في كتابه أن الحزن كان عميقا والذهول كان أكبر، أما الحياة الأمل فكانت أعظم وأخطر وبالتالي فلا يجب أن تلقى خبر وفاة عبد الناصر بهوده وبمشاعر فيها من المشقة أكثر مما فيها من الحزن، وتذكر دورة الزمان دورتيها الخفيفة فيعود عبد الناصر في قلب جلال أمين كما كان بعد قرار التأميم رجلا محترما لمعاينة أصابع على استعداد كامل لتسيان كل ما ارتكب عبد الناصر من أخطاء، فما قيمة الحريات السياسية أمام بيع وطن، فقد بدأ السادات في تنفيذ المشروع الأمريكى بداية بالانتصاح الاقتصادى عام ١٩٧٤ مع السلام مع إسرائيل وما تلاه من نزلات في كافة المجالات، الأمر الذي أطاح باستقلال مصر السياسى.

نحم التي كتبها في ستينيات القرن الماضى في أغنية.. جيفاروا مات، دا منطق العصر السعيد.. عصر الزنوج والأمريكان.. الكلمة للشار والحديد.. والعدل أخسر أو جيان.. فقد قامت الثورة المصرية برهما أمريكى، واستمر الوجود الأمريكى في مصر بشكل أو بآخر حتى كتابة هذه السطور. وقد أفره الكتاب فضلا عن الثورة المصرية، تناول خلاله الكاتب شعوره تجاه النظام وتجاه جمال عبد الناصر. وكان هذا التناول من منتهى الواقعية والإنسانية بالنسبة لى. فقد اعتد أن أقرأ انبيازا مطلقا أو عداء عنيفا تجاه عبد الناصر، ولكن في هذا الكتاب حكى لنا جلال أمين قصة مختلفة بها كافة درجات الرمادى واختتم قصة الطيب والشهير المكرة أو شائنية: (أنت تشجع الأهللى ولا الزمائل؟). فقد كان سرور جلال الشاب الذي كان يقام في السابعة عشرة من عمره غامرا وبهاقية الثورة وتآدى التهاوى مع أصدقائه بفرح صادق، ثم انقلب الحال وأصبح يخيبة أمل في الثورة في مارس ١٩٦٤ بعد قرار عزل محمد نجيب حتى أنه انضم لاعتصام في مبنى الجامعة للمطالبة بعودة نجيب.

بعدما تم الاعتداء على السنورى المناصر لتجيب وبعدما يشهرين مات الوالد أحمد أمين، وفي هذه الفترة نشأ لديه شعور قوى بكراهية جمال عبد الناصر باعتباره أن له الدور الأكبر في عزل نجيب وترتيب الاعتداء على السنورى وتوقيع اتفاقية الجلاء التي كرهها الكاتب كراهية عميقة لرفضه بعض نصوصها وخاصة بعودة الانجليز لا محال قناة السويس في حالة الاعتداء على أي دولة عربية. وتذكر الأيام ولذا يقارن عبد الناصر بتأميم قناة السويس بحول كبرى الكراهية في نفس كاتبا إلى تعاطف وتقدير ومحبة وتبجح فرحة واعتزاز أكبر مما يمكن وصفه، ويتأكد ذلك المشاعر بعودة محمد سوريا، ثم تآتى قرارات التأميم عام ١٩٦١ فيبلغ حماس جلال أمين ذروته وطن أن كافة الكبرى على وشك أن تقتحم وإننا على وشك أن نقبض على السحاب باينديا وهو ما لخصه الشاعر العظيم صالح جايهم في أحد قصائده: الحكيم ضاحك، كان حلم منا.. قالت الشفايف.. شافت عيوننا). ولكن بعد هذه الأحداث تعود في اتجاه مختلف مما يمله. ويذكر الكاتب

مقلبه الألوا تراهنا من كل زاوية بشكل مختلف. وكان جدى مفيد الشواشي يشك هو أيضا من جلال أمين ولا أنسا وهو يقول لى أن الأرقام يمكنها أن تكون مخادعة وأن واحد زائد واحد لا يمكن أن يساوى اثنين لأنه لا يوجد واحد يساوى واحدا في هذا العالم. ويمكننا أن نفهم اتجاه الدكتور جلال أمين إلى الكتابة في الموضوعات الاجتماعية والسياسية والثقافية العامة حيث أن كلها تعكس الواقع المعاش أفضل كثيرا من لعبة دماغنا بالأرقام من جهة، وفي السيرة، في لعبة الثلاث ورققات التي يلعبها مستر يوميا وزاء الاقتصاد والمالية والاستثمار وغيرهم.

احتار جلال أمين، مشكلة الغذاء في مصر وعلاقته بالتمضية، موسوما لرسالته للدكتوراة، وتناول من خلال هذا الفصل موضوعا غاية في الخطورة وهو طريقة كتابة الرسائل ومدى إضافتها للعلم فالوضع هو كيك يمكنه أن يكتب العروض عليك كتابته نظى النظر على أهميته. فكان يجب إضافة بعض المداخلات الرئيسية ولا لما اكتسبت الرسالة الاحترام الواجب. وعليه أن يستخدم بعض المناهج العملية الحديثة لإضفاء الهيبة على الرسالة فقام هو باستدما تحليل النقشات والمناقص رغم جهل التام بالجوانب الفنية في الزراعة المصرية ولا يكاد يعرف على حد قوله التمررة بين فدان مزروع بالقطن وآخر مزروع بالقمح. وكان لا يعرف العوامل المتعلقة بالتربة والرى التي قد تكون أهم من أي عامل اقتصادى في تحديد قرار المزارع في موعة الزراعة، فكل هذه العوامل الهامة تشكل والهى لا تهيم إذا كان الفرض المصروف على الدكتوراة وبإلتصاع فيما المشرقة على الرسالة أكثر علما فيما يحسن الزراعة المصرية. وفي الواقع هذا هو الحال في معظم إن لم يكن كل الرسائل التي أعدها أصغافلى، فالجامعات أصبحت مثل الأرقام مخادعة، والنضيم رسائل الدكتوراة لعصر الجماهير المعيرة



أطلق الدكتور جلال أمين على النصف الثانى من القرن العشرين العصر الأمريكى، وهو مترد معنا حتى الآن. ميكلدا كلمات أحمد شاذ

كتاب الزاوية

رسالة ابن فضلان

الفيلم والمسلسل



يعتمد فيلم الحركة «المحارب الثالث عشر» (١٩٩٩) على رواية مايكل كرايتون أكلة الموتى، الفيلم من إخراج جون ماكثيرنان ويدور حول رحلة أحمد بن فضلان (أنطونيو بانديراس) الواقعية في نهر فولجا بالقرن العاشر الميلادي. يثير أحمد غضب أحد النبلاء من ذوي السلطة في بغداد فيأمره الخليفة بأن يصبح «سفيراً للشمال» مما يعني إقصاءه عن المدينة. يرحل بصحبة أحد أصدقاء والده فيقابل مغيرين من الفايكنج مات ملكهم لثو. يجاهد صانعو الفيلم لإضفاء صبغة تاريخية عليه؛ إذ يشتمل على حوارات باللغة العربية والسويدية والنرويجية والدمركية واليونانية. إلا أن حبكة الفيلم هي بالأساس إعادة سرد معاصر للمحنة باليافو الأنجلو سكسونية تمتاز بعناصر ألف ليلة وليلة. وقد أنتجت سوريا خلال العام الحالي مسلسلاً يروي قصة ابن فضلان ويربطها بأحداث الإساء لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما عرف بالرسوم الكاريكاتورية. وقد جرى عرض المسلسل وهو بعنوان «سقف العالم» في شهر رمضان المبارك على الفضائية السورية والفضائية اللبنانية.

أكبر من الاستقلال وحرية التعبير عن النفس، مما يتمتع به الأمريكيون، لحرد أن المصريين لا يعترفهم أي شك في أي وقت في زيف ما يزعمه نظامهم من ديمقراطية، ولا تشير فيهم الدعاية السياسية من خلال وسائل الإعلام إلا السخرية المعلنه أو الصامتة، بينما يبدي الأمريكيون استعداداً مدهشاً لقبول ما تقوله لهم وسائل الإعلام. وقد اعتاد المصريون قراءة ما بين السطور في إطار شكهم التاريخي بما تدعيه الحكومة، وعلى العكس من ذلك فالأمريكيون يسبرون كالإبل العمياء وراء حكوماتهم. ومن المنطقي أن نفهم شعور جلال امين إزاء الشعب الأمريكي إذا وضعنا عدستي الأخلاق والعكر على عيوننا، فهو شعب يهتم بالكثرة على حساب الجودة ولسرعة على حساب العمق، وهو يحكي لأخيه حسين عن لويس أنجلوس في عام ١٩٧٨ فيقول: لا تستطيع أن تأمن على أولادك فيها، فالجو ينضج بالجنس والجريمة والخدرات، فما أشبه القاهرة اليوم بأمريكا منذ ثلاثين عاماً. فالجنس يطبل علينا من معظم القنوات الفضائية عبر عشرات الفيديو كليب والبرامج، والخدرات تباع في كل شارع من شوارع القاهرة، أما الجريمة فما زلنا - ونحمد الله - متأخرين فيها قليلاً.



أما على المستوى السياسي فقد خاب أملنا في تحقيق الديمقراطية وفي حل مشكلة فلسطين وفي تحقيق تقدم اقتصادي وفي التقريب بين الطبقات وحتى في نشر التعليم ومحو الأمية وفي نظام اجتماعي أكثر عدالة، ولا يبدو للزول أن المصريين اليوم يتمتعون بحرية سياسية أو فكرية أكبر مما كانوا يتمتعون بها قبل ١٩٥٢، فالنظام في الثمانينيات والتسعينيات وحتى الآن استمر في لا مبالاة بالريادة الفاحشة في التفاوت بين الدخول واستمرار الكساد الاقتصادي وارتفاع معدلات البطالة كما استمر النظام في استكانة لمطالب الأمريكيين والإسرائيليين ومتمسكاً بالمؤسسات الدولية. أما الديمقراطية السياسية التي اتضح زيفها في عصر السادات فقد زادت تزيفها في عصر مبارك.

حاول الدكتور جلال امين في نهاية كتابه الامتع أن يقبض قليلاً بخييات الأمل المتصلة ولكنه لم ينتج تماماً، فالكتاب متعة فكرية حقيقية وقد استطاع الكاتب بطرقه إزيميله في صخرة الحياة أن يستخرج نعتلاً كاملاً الأوصاف لا زبادة فيه ولا نقصان. ■

فيقول جلال امين في هذا الفصل

سبعون عاماً شاباً أمس واليوم

هاشم النحاس



عبد الحليم مدبولي



إسماعيل ياسين



مervat الريحاني



علي لكسار

أو أغنية الطرب التي تلصق ذاتها . غالباً . مكان في هذه الأفلام . ولم نعد نرى الممثل الذي يقف وحده أمام الكاميرا . معظم الوقت . ولا شك أن الأغنية الحديثة في الفيلم أصبحت أكثر سينمائية

وإذا كانت الأفلام الكوميدية قد اجتاحت السينما مع بداية هذه المرحلة . فما لبثت السينما المصرية مع بداية هذا القرن أن استردت توازنها بإنتاجات فيلمية مختلفة الأنواع . وإلى جانب الأفلام الفكاهية نجد أيضاً الأفلام الفدائية والأفلام الحركة . فضلاً عن الأفلام الواقعية .

وهناك من الأفلام ما تتداخل فيه معظم هذه الأنواع (غالب حب مثلاً) . وهذا التداخل الذي يبدو على نحو أكثر كثافة مما كان في المراحل السابقة يمثل أحد الملامح الفارقة بين أفلام هذه المرحلة وما سبقها .

ومن العوامل التي أضفت ثراء للصورة في أفلام هذه المرحلة الميل في عدد غير قليل منها إلى التصوير في أماكن طبيعية . وسياحية بعيدة عن القاهرة . ومنها ما هو خارج مصر (خراسية في نيبالاند . فول الصين العظيم . أفريكادو) . ومن الملامح أيضاً انتشار الفكاهة في الغالبية الساحقة من الأفلام بحيث يشتر أن نجد فيها دون مواقف فكاهية . وقد غلب في كثير منها وخاصة (في الأفلام الكوميدية) القشاش العظيمة . الإفيهات . التي أثارت النقد ضدها .

تحولات ثقافية

(١) المهرجات

ولعل أهم ملامح أفلام هذه المرحلة العدد المائة وخمسة . أكتوبر ٢٠٠٧ م

شابه ذلك . وكذلك الحال في المطارات أو الاشتباكات الجسدية .

وقد أدت الثقة مونتاجية بالإضاءة إلى الجيل السينمائية . إلى عودة أفلام الجريسة والحركة بعد أن أخذت في التراجع في العقود السابقة .

كما أتت هذه الإمكانيات المونتاجية إلى الإغراء باستخدام مشاهد الحركة المعارك . المطارات . داخل معظم الأفلام رغم اختلاف نوعياتها .

ويجب ألا ننسى أهمية المونتاج الحديث في المساعدة على خلق إيقاع أسرع في السرد يتناسب مع العصر . والإيقاع السريع الذي شمل معظم الأفلام يمثل ملمحاً واضحاً في أفلام بداية هذا القرن .

يكاد يفصلها عما سبق . واخذت القطة الطويلة الثابتة التي يدور فيها الحوار بين اثنين أو أكثر .

واللاحظ الإرتفاع العام أداء للممثلين الذي يبدو أكثر تلقائياً مما سبق حتى بالنسبة للممثلين الثانويين . ويرجع ذلك إلى مرونة حركة الكاميرا وتقدم إكانات المونتاج . فضلاً عن تفهم الممثل لتطبيقات الصورة السينمائية . ومراعاة المخرج لها عند توجيه الممثل أو استخدام الكاميرا . ومثل الأغنية أحد معالم أفلام هذه المرحلة التي عادت إليها بقوة . بعد أن كادت تخبو . حيث لا يخلو منها فيلم من الأفلام أو يكاد . وقد تحولت الأغنية في هذه المرحلة إلى نوع الأغنية الشائع وهي الغاسي الكليبي التي تتميز بالإيقاع السريع وبراء الصورة وجوية المونتاج على نحو غير مسبق .

وكثيراً ما يتم استخدامها درامياً أو مصاحبة للممثل وبعض الأغاني تأتي من خارج الشاشة . ولم يعد للأغنية الطويلة

المونتاج الإلكتروني . الكمبيوتر . وذلك فضلاً عن تقدم إمكانيات آلة التصوير ومعدات التحكم في حركتها . وارتفاع نسبة حساسية الفيلم الحام

أما العامل الثاني فهو وفرة الخبرة البشرية بفعل التفرغ من ثوالي دفعات خريجي معهد السينما . وانتشار دورات التدريب السينمائية . فضلاً عن انتشار الثقافة السينمائية ووفرة المعلومات التقنية الحديثة عن طريق المطبوعات أو شبكة المعلومات الدولية . التت . وتغلغل ثقافة الصورة في الثقافة المعاصرة . وشجع ذلك على وجود جيش من الشباب الجدد الفنانين والممثلين . العاملين في هذا الحقل

تحولات فنية

من أول الملامح العامة التي تميز أعمال هذه المرحلة الارتفاع بمستوى التقنية عامة . والكلام ينصب دائماً على الفضل الأفلام . ولا يتوقف ذلك على لقاء الصورة . وإنما يمتد بوجه خاص إلى اللغة في عمليات المونتاج التي لم تكن متاحة على نفس المستوى بالوسائل القديمة . بالمولا . وكان لذلك أهميته في تحقيق مصداقية السرد

المحرك في الأفلام القديمة مثلاً تبدو في مشاهد هزيلة مثيرة للضحك . إلى جانب مثيلاتها من مشاهد المحارك في الأفلام الحديثة التي تخلق واقعاً مقنعاً على الشاشة يتكسب مصداقية . القدرة على الإقناع . حتى في أشد حالاته مباغلة . مثل تصادم المركبات أو تحميمها أو العزبات الطائرة أو المساقفة من فوق العمم أو ما

■ ■ ■ القصد بالسينما الشابة . السينما المصرية خلال العشر سنوات الأخيرة . خاصة الأفلام التي ظهرت مع بداية القرن . ٢١ . والهدف رصد ما طرأ عليها من تحولات في الشيم الجمالية والثقافية . واخترت لها عنوان . السينما الشابة . لأن معظم العاملين بها من الشباب والعنصر من الشباب الذين ظهرت أعمالهم لأول مرة في هذه المرحلة الأمر الذي لم يسبق له مثيل بهذه الدرجة في مراحل سابقة .

ورغم ما تعرضت له هذه السينما من هجوم شرس من بعض النقاد . ورغم ما اتسم به الكثير من أفلام هذه المرحلة بالسطحية إلا أن بها قدراً كافياً من الأفلام الجيدة . ما يستحق التأمل والتقدير .

ولها من السمات الخاصة ما تميزها عما سبق . وتحدد ما يمكن أن نطلق عليه السينما الشابة أو الموجة الحديثة في السينما المصرية

ولست مبالغاً إذا ذهبت إلى أن هذه المرحلة الجديدة . بأفلامها الجيدة . تمثل قفزة في السينما المصرية تماثل على نحو ما القفزة التي حققها على إثر إيشاء استديو مصر . وتتمس الأسباب تقريباً . بالقاهرة التي حققها استديو مصر قامت على سابقين أحدهما توفير أحدث المعدات السينمائية وقتها . وثانيهما إرسال البعثات للخارج لتوفير الكوادر البشرية . وكذلك ترجع القفزة التي حققها السينما الشابة اليوم إلى عاملين رئيسيين . أولهما الأخذ بوسائل التقنية الحديثة التي اجتاحت العالم وأصبحت ميسرة للجميع وساهمت في رفع المستوى الفني للفيلم . وعلى الأخص معدات

وبينهم

هذه المرحلة الجديدة، بأفلامها الجديدة، تمثل قفزة في السينما المصرية تماثل على نحو ما القفزة التي حققتها على إشراف استديو مصر، ولتغرس الأسباب تقريبا

١٠٠



محمد صبيح



محمد صبيح



عادل إمام



فؤاد المهندس

الجدل مشهد شاب يمارس من ناحية الكسبة فئاته في البيت المواجه وأحدث هذه الأفلام في مجموعتنا هو فيلم عمارة يعقوبيان ٢٠٠٦ الذي يقدم شخصية شريرة يدور طومرا للاستيلاء من وجه حق على شقة بالمعمارة الذي أثار أيضا بعض الأفيال رغم أن مثل هذه الأعمال الشريفة لا تعبر إلا عن ضعف بشري لا علاقة له بالهوية الدينية، ووجود مثل هذه الشخصية يحسم من الشخصية القبطية شخصية طبيعية ضمن إطار الشخصية المصرية ويبدو عنها سمة اللاسلام السابقة، لكنها من ناحية أخرى تعزل الشخصية القبطية عن الواقع المصري

أما فيلم ثقافي، فهو مشهد آزاد من أجمل المشاهد وأعظمها تعبيراً عن العلاقة الحميمة بين الشبان المسلمين والأقباط، حيث يتسلل مجموعة من الشبان المسلمين بسهولة داخل الكنيسة أثناء أداء مقدوس الوفاة لوالد صديقهم ليطلبوا من صديقهم مفتاح شقته حتى يتيسر لهم مشاهدة فيلم بورن. حركة الشبان داخل الكنيسة وتفاعلها مع إجراءات الطقوس وتعاملهم مع صديقهم متفانية شديدة تكشف عن أفتهم بالمكان وعدم غرابته عنهم، وحسرة الصديق على عدم مشاركتهم الفرحة على الشريط، وهو يعطيهم المفتاح يعبر عن الواقع النفسي لهذه الشخصية دون تزييف متعمد.

ويبدو أن التناول الواقعي الجريء الصادق للشخصيات والعلاقات القبطية التي تشغل لأول مرة أحداث الفيلم، بحسب السينما، كانت صدمة بالتعبئة لتأثير بعض الأقليات الذين لم يعتادوا رؤية أنفسهم، ومنها بعض تآلفاتهم على هذا النحو من النصوص، رغم أن هذا التناول في رأيي يجعل الشخصية القبطية بأقلياتها وثقافتها وجوانب صميمها أقرب إلى قلوب المشاهدين، حيث يتناول الفيلم شخصية قبطية يؤدي نمطه الديني إلى الإحراق ورجته وإن أرسته المصمم بإعادة القبط إلى توارثه النمسي وتراجع الزوجة عن الانحراف بعض الأقليات الذين كان يحب السينما وشكر الأب في النهاية هوائية أبنية في حب السينما والإقبال على الفيلم مصري وشخصية مصرية ١٠٠، كانت قبطية في الفيلم ويمكن أن تكون إسلامية، ومن مشاهد الفيلم التي أثارت

اللباع، وكان الدافع إلى ذلك هو، كما يبدو، تحاشي الخوض في حياة الشخصية القبطية المصرية رغم امتزاجها في نسج حياتها الاجتماعية، وذلك لحسن لوهم إشارة المنة. الجديد في هذه المرحلة هو ظهور عدد غير مسبوق من الأفلام تتجاوز هذا المستوى السابق من المعالجة الهامشية وتدخل بنا إلى أعماق هذه الشخصية والكشف عن متناقضاتها، فضلاً عن دخول الأماكن القبطية المقدسة ومعرفة بعض ما يجري بها من حياة اجتماعية، إلى جانب دورها الديني، مما لم يسبق عرضه في السينما المصرية. وفي هذه الأفلام تقوم الشخصيات القبطية بدور رئيسي وليس ثانوي كما سبق، بالإضافة إلى الاقتراب من التعبير الواقعي للعلاقة بين المسلم والقبطي وإن شابه بعض المثالية.

تخبر مثلاً ذلك فيلم «الرهينة»، إخراج ساندرا نشأت ٢٠٠٧، وإن جاء محافظاً وعائلياً نوعاً ما في تناول العلاقة بين السلم والقبطي في مصر، من خلال قصة قبطية يتم اختطافه، وتجري محاولة الصاق التهمة بالمتطرفين الإسلاميين، بينما يتم إيفاده باعتباره شخصية مصرية، وإسقاط العامل الديني، على يد شخصية مسلم.

ويتناول «فيلم هندي، علاقة صداقة مثالية، بين مسلم وقبطي يتناصان حول امتلاك شقة، ينتهي بها الأمر إلى تنازل كل منهما لأخر عن الشقة، رغم أن ذلك أدى إلى فقدان كل منهما لهويته. وفي الفيلم فنحن القبطية لأول مرة لتروي محاولات شاب قبطي يتربى في فتاة قبطية.

هو المحاولة المتكررة لافتحام أو اختراق المحرمات، الجنس مثلاً في «مكررات مرافقة، وغيرها، الدين في «بحب السيماء»، السياسة في «عمارة يعقوبيان»، ولا يقتصر الأمر على مثل هذه الأمثلة التي تحتل فيها المحرمات موضوعاً أساسياً، فهناك العديد من الأفلام التي تخترق المحرمات بشكل جزئي أو كلي هاشم الأحداث، نذكر مثلاً تعليق كريم عبدالعزيز في دور لخص السيارات بعد أن مر نقطة تفشيته، وإلوه لجمود النقطه وهو يدعى تحيته، «مصر أمارة في أيديكم»، بينما نادر قد مر بسيارته المسروقة دون وعيهم، فيلم أبو علي»، وفي فيلم «ميدو شاكر، نجد سخرية لادع من التقديس الأعلى للوطن عندما نرى أحمد حلمي وهو يتربى على عملية تخريب باسم الوطن لخصها أنشيد وطنية، بينما نعلم أنها على العكس ضد مصالح الوطن وأنه كان مدموراً، وكذلك نجد في فيلم «مسعكر في المسعكر، سخرية لأدع من التسعكر الحرفي بالنص الديني عندما يأمر محمد هندي صديقه بالتسكك بالحديث النبوي الذي يأمر بطاعة الأم، ونحن نعلم أن أمه تعرضه على القتل لأخذ بالثأر، ونعلم في الوقت نفسه كما يعلم هندي فيما بعد أنه هو المطلوب للثأر.

(٢) صورة القبطي

عندما في الأفلام المصرية طوال المراحل السابقة استند بعض الأقليات الثانوية لشخصية القبطي المصري، وغالباً ما يكون شخصية نمطية تتصلل في المحاسب أو الصراف الذي يتصف بالأمانة والدقة في عمله، وغالباً ما يكون طيب

(٣) إبداعات فنية

من الملاحظ أن المرأة قامت بدور فعال في تأسيس السينما المصرية وكان هي مقدمتهم وأحداث السينما المصرية اللاتن ساهم في الإخراج والتشكيل والإنتاج بداية من عشرينيات القرن الماضي، وهو عريه أمير وهامده رشدي وأميرة محمد وأسما وهامز كويس، غير أن هذه الدور حدث في الانحسار تدريجياً حتى اختفى تقريباً في العقود الأخيرة من القرن الماضي ولعل من أبرز الظواهر التي تميز هذه المرحلة «موضوع الرقابة، مما سبها من مراحل تاريخ السينما المصرية في ظهرة اقتحام المرأة بأعداد غير مسبوقة في العمل السينمائي الإبداعي، خارج التمثيل، حيث بلغ عدد المخرجات ستاً، وجميعهن من الشابات الجدد معاً، واحدة فقط، إناس العديدي

255

68 *Journal of the Philosophy of Education Society of Great Britain*



تشتبك مع الحمرسات، فالأول جنة الشياطين يصور عبث مجموعة من الجنة تسترقعها مناقشة طقوس الدفن المناسبة للذات الحفاظ على كرامة الأسرة والذي يتطرق إلى مشكلة الجمود الديني لدى الشخصية مسيحية وسوها فلم، خالد يوسف تلميذ يوسف شاهين المصافى، ٢٠٠١ الذي كان أول أفلامه ونافس فيه حرب الخليج الثانية

ومن الأفلام المتميزة داخل هذه المجموعة: «الرفقة»، «خارج على برداح» ٢٠٠٢ الذي يتناول صراعات نفسية اجتماعية حادة وفيه تقدم نادية الحندي دوراً متصدراً بين أدوارها السينمائية وإن كان الفيلم يشوبه قدر من الغربة التي ترجع إلى أصله الأدبي

ومن أفضل أفلام هذه لمجموعة الأفلام الثلاثة الثانية التي تسرّع بين الواقع والأسطورة وتخلق جوّاً من السحر يعبر أحداث السرد، وهي «تربيتها الزماني»، «القطار»، «إخراج سيد سعيد ١٩٩٧» على شخصية شعبية أسطورية، و«عرق البصل» أخرج رضوان الكاشف ١٩٩٩ عن فكرة صعيدية غامضة في الأساطير، وأرض رجالها بحثاً عن الرزق الذي يفتقر إلى الخوف، أخرج داود عبد السيد ٢٠٠٠ عن شخصية فقيت هويتها بأدائها وعيشاً تحاول استردادها ويمكن أن نسحق بيده الأفلام الثلاثة الأخيرة فيلم، «الساحر» ٢٠٠٢ والذي يقارنها في جاذبيتها السحرية ويتناول مشكلة أب شعبي في علاقته بابنته المراهقة.

الأمم

نقد حاولت في هذه الدرسات أن أجمع أهم ما جرى من تحولات فنية وما يتعلق بها من تحولات جمالية وفنانية في السينما المصرية في العشر سنوات الأخيرة واعتمدت على الأفلام بعينها رأيتها تستحق الذكر دون غيرها واعتقدت أن الأكثر من الأفلام لتدوين مستوياتها، ذلك أن الأفلام الجيدة وحدها هي التي تصنع تاريخاً لمن وتمنحه كرامته

والآن حاولت أن أضع هذه التحولات في نسق يحدد علاقاتها بالنسبة ولعلاقاتها بها من سبقتها من مراحل، وكيفية عن قيمته، ومكانتها، وأرجو أن أكون في النسق التحولات وإيديولوجياتها بشكل قدر ما النسق محاصر السينما المصرية الشاه والأهل في مستمتليها

الوزير، ٢٠٠٢، «دبل السمكة» ٢٠٠٣، والفيلمان من أخرج سمير سمير، و«عمارة يعقوبيان» ٢٠٠٦ إخراج مروان حامد. أما المحور الثاني فقد جاء على قدر من الكثافة العديدة غير الموسيقية تدور حول مشاكل الشباب وكانت البداية الفيلم الساخر، فيلم «قفافي» ٢٠٠٠ إخراج محمد أمين عن مشكلة مجموعة من الشباب يحاولون البحث عن مكان لشاهدة شريط فيديو «موترو»، ومن أحدها «أوقات فراغ» ٢٠٠٦ إخراج محمد مصطفى الذي يصور مجموعة أخرى من الأبناء يعاني كل منهم مشكلة خاصة مع الآباء، والفيلمان يمثلان تنكساً جديداً في السينما المصرية لا نجد ما يعاينه في المراحل السابقة إلا نادراً

وفيما بين الفيلمين نجد من أفلام هذا المحور، «مذكرات مراهقة» ٢٠٠١ إخراج إيناس الدغدي، «أسرار البنات» ٢٠٠١ إخراج مجدى أحمد على، والفيلمان يناقشان حب المراهقة وما يشهده من مشاكل تتجسّد في شخصياتها، وسهر الليلي، ٢٠٠٣ إخراج هانس خليفة الذي يحترق لأول مرة قداسة مؤسسة الزواج ويصعد في قفص الاتهام، وحب البنات، ٢٠٠٤ إخراج خالد الحصر الذي يقدم مشاكل الحب من خلال ثلاثة نماذج من الأخوات البنات، وبنات وسط البلد، ٢٠٠٥ عن علاقة البنات والصبيان المعاصرة، وفيهم من الزواج، وأخيراً، في شقة مصر الجديدة ٢٠٠٧ يطرح مشكلة العنوسة، والفيلمان من إخراج محمد خان، ومن هذه الأفلام فيلمها المعيرة في هذه المجموعة برور المطلولة الصامية التي أغلب ما ذكرناه من أفلام المحور الثالث ويمثله مجموعة من الأفلام التي يرمز عن مخرجوها في إصفاها طابع خاص، يجمع عن غيرها ويمسها عصاً يوسع من أفق انهم ما يتجاوز قضايلها الزوجية. وإن طلعت عاقلتها متصلة بالواقع، ومن هذه الأفلام فيلمها المخرج الكبريت يوسف شاهين، «الأخضر» ١٩٩٩، و«استكندرية نيويورك» ٢٠٠٤ الذي يناقش علاقته الشرق بالغرب، وإن جاء الناس استكندرية رافيتية السينمائية التي مرجع إليها في سيرته الذاتية وسيرة الوسطى ويمكن أن نصف إليها فيلمه، «المصير» ١٩٩٧، وإن كان يدور على جو تاريخي، إلا أنه يصور الواقع المعاصر بطرح موضوع التطرف الديني في العصور الوسطى.

ومنها، «جدة الشياطين» ٢٠٠٠، و«بحب السينما» ٢٠٠١، والفيلمان يصوران صراعاً جديداً بين القيم العائلية والقيم الحديثة، و«الأمم» ٢٠٠١، وهو فيلم «مواطن ومخير» و«إلى» ٢٠٠١، وكانت السيناريو ويحيى حامد الذي تقدم في هذه المرحلة، هذه المرحلة الأفلام الثلاثة التالية «معالي المحور الأول» وهو الأفلام التي تدور حول الفساد امتداداً لهذه المرحلة السابقة، وليس غريباً أن نجد العديد من الأساتيسين لهذه المرحلة يتنصرون إلى مراحل سابقة، ولهم المخرج داود عبد السيد في فيلم «مواطن ومخير» و«إلى» ٢٠٠١، وكانت السيناريو ويحيى حامد الذي تقدم في هذه المرحلة، هذه المرحلة الأفلام الثلاثة التالية «معالي

إبراهيم لاما، «نابذ مصطفى» غير أن ما تقدمه أفلام الحركة في هذه المرحلة يمثل فترة واسعة من الناحية الحرفية، إذا ما قارناه بأفلام نفس النوعية في المراحل السابقة، ويرجع ذلك بالتحديد إلى التقدم التكنولوجي المتاح الآن على نحو ما سبق أن ذكرناه

ومن هذه الأفلام المعاصرة «عاقبة» ٢٠٠٢، «تيتو» ٢٠٠٢، «إخراج طارق الميراني» ٢٠٠٤، «حرب أعاليها» إخراج أحمد صالح ٢٠٠٥، ومن أبرزها «واحد من الناس» ٢٠٠٤ جلال ٢٠٠٦، «الرهينة» ٢٠٠٧، «خيانة مشروعة» خالد يوسف ٢٠٠٧.

وفي «ملاكى إسكندرية» ٢٠٠٥ قدمت سندرا شكلاً جديداً في أشكال التحقيق في

أهلنا المصرية داخل هذه النوعية، كما أن النهاية التي فاتجانتها بتحطيم اليقينيات التي تدور على الفيلم والتشاهد ببراعة البطلة يمثل أهمية غير مسبوقة

غير أن هذه الأفلام في عصورها رغم تقدمها التقني غير المبكّر ارتكبت خطأ (أو تكاد) في أحضان الفلم الهوليودي لنهد النوعية، ما يعيدونها بالرافعة بالنسبة للمشاهد العربي.

والجديد في بعض هذه الأفلام أنها خرجت عامة - عن نطاق قصة الحب المعقدة المنطوية في أفلام الغنائية في المراحل السابقة، بينما صار بعضها على نفس النمط الذي يحكى عن المعنى الشاب الصغير الذي يحقق الشهرة بعد ذلك، ويترجم عن حب، ولكن الشهرة هذه المرحلة الجديدة لم تحقق من المثانة الرفيعة ما سبق أن حققته الأفلام الغنائية القديمة، ويتميز فيلم «فخيش غير كند» حالة فريدة بين هذه الأفلام بما فيها الأفلام القديمة، حيث يقدم نموذجاً لفيلم الكوميديا الموسيقية، مطابقاً للمواصفات لعالية لهذه النوعية، فتجد حوارات معاندة والكل يغني والكل يرقص، ومنهم (أروى) لعائلة الغنائية التي همها الفيلم، وهو ما يشير باتجاه جديد للفيلم الغنائي في السينما المصرية.

الشخصي للثقافة المصرية في العالم العربي. وصارت هذه الأفلام تحتفظ بجاذبيتها حتى الآن مثل غزل البنات، وشاطئ الغرام، (لبنى مراد)، ولبنى بنت الشاطئ، وكل دقة في قلبى، (محمد فوزي) ولحن الخلود (فريد الأطرش) وأيامنا الحلوة، ويوم من عسرى، وأبى فوق الشجرة، (عبد العظيم حافظ)، والعيلماء الأخيران يوم من عسرى، (إخراج عاطف سالم) وأبى فوق الشجرة، (إخراج حسين كمال) قدم فيهما المخرجان ما يمكن اعتباره نموذجاً متقدماً ما عرف فيما بعد بأغنية الفيديو كليب، الذي سبق لنا ذكره موصفاتهما. وقد أصبحت تسود بشكل مطلق في أفلامنا الأخيرة

ويخرج الفضل إلى مجموعة جديدة من نجوم الغناء الشباب أمثال محمد فؤاد، ومن أفلامه «إسماعيلية رايح جاي»، «رحلة حب»، «أغابى حب»، ومصطفى كمال في «خارج على برداح» و«عريس كبرياء» وغيرهما وأما حصة في، حالة حب» و«حكم في قلبى» سيابسي، وفالد سليم في «كلام يوم عجمي»

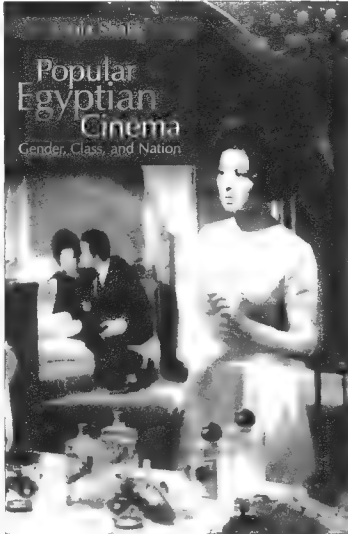
والجديد في بعض هذه الأفلام أنها خرجت عامة - عن نطاق قصة الحب المعقدة المنطوية في أفلام الغنائية في المراحل السابقة، بينما صار بعضها على نفس النمط الذي يحكى عن المعنى الشاب الصغير الذي يحقق الشهرة بعد ذلك، ويترجم عن حب، ولكن الشهرة هذه المرحلة الجديدة لم تحقق من المثانة الرفيعة ما سبق أن حققته الأفلام الغنائية القديمة، ويتميز فيلم «فخيش غير كند» حالة فريدة بين هذه الأفلام بما فيها الأفلام القديمة، حيث يقدم نموذجاً لفيلم الكوميديا الموسيقية، مطابقاً للمواصفات لعالية لهذه النوعية، فتجد حوارات معاندة والكل يغني والكل يرقص، ومنهم (أروى) لعائلة الغنائية التي همها الفيلم، وهو ما يشير باتجاه جديد للفيلم الغنائي في السينما المصرية.

أفلام الحركة

وتشكل هذه المرحلة التي عادت هي الأخيرة في أفلام الحركة بعد انحسارها نوعاً فيما قبلها، ملمحاً جديداً من ملامح أفلام الشباب

وقد كانت أفلام الحركة من أوائل أنواع الأفلام التي عرفت السينما المصرية

السينما الشعبية في مصر .. النوع والطبقة والهوية



❦ هي كتاب السينما المصرية الشعبية الذي صدر أجيرا عن الجامعة الأمريكية بالقاهرة لتناول فيولا شفيق في تاريخ الأفلام التجارية المصرية بتركيز خاص على الأفلام التي لاقت نجاحا كبيرا في فترات التمازج عند تورييعها في مصر والعالم العربي، وهي نظرة نقدية تتمحور حول شتيق تلك الأفلام على حتمية الوضع الاقتصادي السياسي العام في البلاد منذ ظهور صياغة السينما في ثلاثينيات عبر فترات حكم عبد الناصر وأمر السادات وحتى عصر العنوة، وتجدد الباحنة إشارات متناقضة في الأفلام المختلفة التي تتناول مجموعة عريضة من العلاقات بين الحنسين إلى التشار الإسلامي والافتك الشائعة حول الجنس والأخلاق والتنوع في المجتمع مع تركيز خاص على الأقليات واليهود والنوبيين وتستخلص فيولا شفيق من تلك التمازات نتائجها الخاصة حول تكوين المجتمع المصري والأنماط السينمائية والمحظورات الاجتماعية. كما أنها ترصد الأنواع المختلفة من الأفلام مثل أفلام الحركة الواقعية و الخيال واما وعلاقتها بالشرطة للثقافة الرفيعة والتسمية. وتقول فيولا شفيق في مقدمة كتابها إنها قررت التركيز على السينما المصرية تحديدا لأنها يسبب ضخامة الإنتاج وتوافر الاستوديوهات والخبرات فيها منذ سنيين لا تزال المصري الرئيس للأفلام والمسلسلات والبرامج التي تعدى أغلب القنوات التلفزيونية العربية الأخرى حتى مع صعود نجم سوريا في المسلسلات ولبنان في الفيديو كليب والإعلانات والإمكانيات الكبيرة وخدمات السوبر فراطية المتوافر في دبي كما أن هيمة مصر في هذا المجال متجددة في تاريخها الطويل من صناعة الترفيه وتحديد المسارح التي ازدهرت منذ مهياة القرن التاسع عشر والتوسعي التي أصبحت صناعة أيضا منذ بدء التسجيلات في النصف الأول من القرن العشرين

Popular Egyptian Cinema
(السينما الشعبية المصرية)
Viola Shafiq
AUC Press, LE120
Arab Cinema: History and Cultural Identity
New Revised Edition
تاريخ السينما المصرية والهوية الثقافية
Viola Shafiq
AUC Press, LE90

حيث انه يجمع بين تاريخ السينما وعلم الاجتماع من حيث مناقشته للكيفية التي تم بها تصوير الهوية العربية والعديد من القضايا الشككة للصورة الدائنة التي يحملها العرب عن انفسهم على الشاشة. السبب الثاني من أسباب أهمية الكتاب هو أنه لا يقتصر على دولة عربية واحدة ولكنه يتناول من المشاهيات بين تاريخ وثقافات الدول العربية ليرصد تصوير واقعها على الشاشة مع تركيز خاص على السينما المصرية والجزائرية. وتزج فيولا شفيق النقد الفني بالتاريخ لتستأثيرات الاقتصادية والديولوجية المختلفة على الفنون في المنطقة. كما أنها تسجل معلومة مهمة ودالة وهي المرق من الإشارات المعتادة لـ "السينما العربية" في الامداد العربية والسينمات العربية. في اللبائات الفرنسية حيث تميل فيولا شفيق إلى الرأي القائل بأن التشابه

بين الثقافات والتاريخ العربي أكثر من الاختلافات فالعالم العربي ككل تقريبا مر بتجربة الاحتلال الأجنبي والتحر الوطني ومرت دول عربية عديدة بتأثيرات متولات سياسية خاصة اتحاد الاشتراكية مما كان يعني أن سيطرة الدولة على صناعة السينما بالنسبة لوضوع البحث كان ذلك يعني أن تصبح السينما سجلا جيدا للتصور الذي يطرحه النظام في المجتمع وعن النماذج المرغوبة والمكرهه فيه وعن الأجندة السياسية والاجتماعية كما يحددها. كما أن السينما تصبح في هذه الحالة مقياسا جيدا للنحول الذي يطرأ على قيم المجتمع عبر تغير واقع الشخصيات المختلفة التي يتم تصويرها وتغير الصورات عن انماط حياتها وواقعها في المجتمع.

كما يردد الكتاب جزء كامل للحديث عن الاختلافات في التناول بين ثلاثة أنواع من

الأفلام المقولة من روايات أو قصص منشورة من قبل وتقول فيولا شفيق إن ظاهرة الروايات التي تتحول إلى أفلام ظاهرة عالمية كانت في الغرب وسيلة لجذب، لطبقات البرجوازية لمشاهدة الأفلام عصر تصوير الروايات التي يفضلونها. أما في مصر تحديدا فقد تسببت الموجة الواقعية في السينما في الخمسينيات والستينيات في انتشار الأفلام المستوحاة من روايات وكيف أن رواية مثل عادة الكاميليا التي قدمت مرتين بشكل صريح في السينما المصرية. ومرت عديدة أخرى كانت إلهاما لأعمال مختلفة. ثم التدخل في مسارها أو في طبيعة أبطالها لتمسك صورة أقرب لتجلب صناع الفيلم من المجتمع المصري، النوع الثاني هو الواقعية والتي تزامن انتشارها وإنزاعها مع صعود حركات التحرر الوطني في الخمسينيات حيث انصرف اهتمام صناع لسينما على الأفلام الترفيحية وبدا التركيز في قصص الواقع وقدم.

أما النوع الثالث من الأفلام فهو السينما التاريخية وهي فصح النظر عن مضمونها شديدة التأثير بالأصوغ الثقافية وكاشفة لتأثير التواقيت على المضمون حيث من السهل استشراف موقف صانع الفيلم من الحاضر عبر الصورة التي يرسمونها للأحداث السابقة وعبر اختلاف تناول الحدث في الأفلام التي أنتجت في فترات زمنية مختلفة. وفي نهاية الكتاب تتمحور الكتابة كل دولة عربية على حد كاشفة التماثل المصرية لصناعة السينما في كل دولة على حد في الطبعة الأخيرة من الكتاب تناقش الباحنة ما طرأ من تغيرات ومواضيع جديدة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وتضمير مركز التجارة العالمي في نيويورك، ويرغم من أن الكتابين يتناولان موضوعا متشابها إلا أن هناك فرقا واضحا ومهما حيث يناقش كتاب السينما العربية فكرة التاريخ والثقافة بشكل عام بينما يعرض الكتاب الثاني بعمق في تفاصيل المجتمع المصري وتأثير التغيرات التي تطرا عليه على إقبال المشاهدين على توقيت معينة من الأفلام. أي أن الكتاب الثاني وكما هو واضح من عنوانه لا يهتم أنتهه صناع السينما بتأثير وعيهم بتطور المجتمع وإنما باستقبال الجمهور لتلك الأفلام. أما اختلافها بالأصابع والذوايق التي تجعل ذوايق عتبات من الأفلام تتألف نسب مشاهدة عالية جدا في فترات تاريخية معينة

درست فيولا شفيق السينما في هامبورج وباحة سيميائية حرة ومخرجة لها العديد من الأفلام التجريبية مثل شجرة الميمون (1987) الذي حصل على جائزة أحسن فيلم تسجيلي قصير في مهرجان صور العالم العربي عام 11.

فرمين نزار

قصة الفتى مروان!



مجسم
صمم لحدياب
علاء الدين في
مدخل المصريح
يخطف في روعى
صوتاً يصيح بان
نصمن أن خادم
المصباح لا
يستجيب إلا لن
يزيح العيار.

ثم أمام
البحر، حيث
الاتساع والبراح
وهزوا الشرفة
البهيماء

واللوحة اليومية نلا تكرار ليهباء
شروق الشمس، والرحلة السنوية
لاسرأب مهاجرة من الطيور، ومشهد
تقافز لصفور يتبعه عصافير. في
تلك الأجواء الحبيبة إلى عيني لم
أكتب، لكنني تأملت. سألت نفسي عما
عساه يجعلنى حريصة على تسجيل
حالة تضالفة فلسطينية في الوقت
الذي اندلعت خلاله العديد من
المتغيرات التي أدت إلى أن يصبح
الشان الداخلي المصري شديد
الإنحراج. وتوصلت إلى أن هذا ربما
يعود إلى إيماني بأن الشعب
الفلسطيني المحتل قد أهملنا نحن
المصريين الذين من المفترض أننا غير
محكومين بواسطة احتلال

لقد أوجى الشعب الفلسطيني
إلياً بالكثير عبر نضاله أطفاله
علمونا، استشهائهم واستشهائاته
حركات، سجوناً، باصراً، باتهم، الرئاسة
عن الطعام أهملونا مجردة أقدام
بنات، مركز لا جن، حين جنن من
مدينة، بيت لحم، في عز توضع
الانتفاضة وعرضن بدار الأوبرا
المصرية، غنائهن الشعبية عبر
الديكة التراثية، فإن دقات القامهي
قد ذكرنا بكيف يمكن أن يكون المي
سلاحاً، بتسامهاتهن ومحاولاتهن
الحصول على قدر من البهجة رسم
لنا أنه حتى القدرة على الأمل وتجاوز
الآلم، سلاح.

فبالأمل ومعهم العمل لن يظل
مروان والشرفاء الأسرى قابعين في
رناترين الاحتلال، في البلد وفي
الرملة. وفي المكسوبة بالقدس حيث
تلق أجراس الكنائس وتجلجل
الأذان، حيث التين والزيتون وأحمال

أي كان ما
كانه من جمع
المادة، فقد
أخذت ملامح
الصمة تكتمل
عبر مقارلات
وقسرات
واتصالات
تلفونية وقص
ولرق واستفاظ
ميكرو وسهر
لليال وكلمة من
هنا وحكاية من
هناك كذاب
الثل في القيام
بنقل، فثفوتة،

تبعها، فثفوتة، فثفوتة، فثفوتة،
زاداً لليال البرد الطويلة،
أما كان يحول بيني وبين الأكتفاء
أن قصة التي أكتبها مازالت ساحتها.
بل كلما بدا أنها قد بردت اتضح أن
جدوتها تحوي قطع ثم ما يعقب ذلك
ليس سوى لهب من جديد.
ولا أمتد إلى الوقت، إذا بالكتابة
بعد فترة لتضبط، أحبال القلم، أرجوه،
أستسمحه. بينما القلم في حالة
احتجاج. جرى لي هذا عبر الفقرة
التي شهد خلالها المجمع المصري
حراكاً سياسياً ملحوظاً أعقبه
احتقان سياسى بالن مع ما تخضع
عنه الحراك السياسى من تراجع في
التوقعات المأمولة، وصار الشارع
المصري فاتراً، وبات قلبي شبيته
الصمت وما لنداءاتى نهى عليه ولا
أمر.

نعم، وامتدت الحالة المصرية
الهادرة واسطعنا وتشتيت، وإذا بي
مشحونة برغبة في الكتابة حول
الداخل المصري في الوقت الذي صار
وجداني مثقلًا بالحدوة التي كنت
قد بداتها حول البطل الفلسطيني
بكل ما في حكايته من أبعاد.

المصباح والقبار

ومع استمرار راية العصيان على
قلبي دعنتى صديقتى «سهام سعد
حويدي»، كي أستكمل كتابة حدوة
مروان بعيداً عن ضجيج القاهرة في
الجناح الخاص بها داخل قرية «علاء
الدين، بمدينة الفرقة على شاطئ
البحر الأحمر.

*** هل هي قصة حد، رومانسية
أضنى البعد والقصبان والاشتياق
عابها طعم وثكة متفتدة وسط ركام
الماديات؟
أم هي حدوة لا يمكن لنيل
أحداً أن تلت خطواتها سوى على
أرض فلسطين
هل هي قصة بطولة في زمن
تشتاق فيه الجماهير إلى «بطل، وقيم
ومنايات وثبات ورجولة؟
أم هي سجل مرحلة فاصلة في
تاريخ القضية الفلسطينية؟
لما أصنف ما سوف أكتب حين
وجدت نفسي أسكب بالقلم كي أدون
سطور هذا الكتاب.

فتايات الصورة

هذا من ناحية الحدوة نفسها،
أما من ناحية أنا، فلا أستطيع
أن أعدد بالظلم الحالة التي كنت
أكتب عبرها، هل كنت كطبل رأى
صورة جدته، وفي صورة على طريقة
لعبة «البار»، التي تتطلب وضع كل
قطعة من قطعها الفتحة في مكانها
الصحيح لإعادة إظهار الصورة، ثم ما
إن بدأت في جمع «فتايت» الصورة
شبهاً لوضع كل «فتوة»، إلى جوار
الأخرى حتى اكتشفت أن القطع
ليست فقط مفتحة وفي حاجة إلى
إعادة ترتيبها، إنما هي أيضاً متناثرة
ولابد من العثور على ما تبعثر من
أجزاءها بين مصادر متباعدة
أم كنت كرواية قضيت جزءاً من
عمرى أضنى القيام بتأليف رواية
حول بطل توقعه همتة حينين
الجماهير إلى البطولة ثم إذا بي أجد
في حكاية مروان حدوة أروع من
الخيال، فأخذت أروي وأرتوي.
أم كنت أقوم بجمع مادة هذا
الكتاب وصياغتها بروح أسطورية
مصرية مستوحاة من داب إيزيس في
حرمها على جميع أجزاء أوزوريس
المتناثرة على يظل رمز قصته حياً
مثلما جاء في الأسطورة الفرعونية
القديمة

مروان البرغوثي
سهام ذهني

القاهرة، دار العين للنشر، ٢٠٠٧،
٢١١ صفحة

السهر، حيث مروان والفسام وذكرى
الرفيقين والشيخ ياسين، حيث
الإيمان والمجاهدين وحيث الدين
ألهما الشعوب العربية أن لا قيد
يستطيع قمع الحرية. وأن إسرائيل
وغيرها تملك أن تحتل الشرفاء،
إنما يولد غيرهم، تحجب الأجساد
عن الشمس، لكن الأفكار لا يمكن
حبسها بل يومياً ترداد أعداد
المؤمنين بها، ولا يمكن أن توجد
زنازين تسع لكل الأعداد التي في
أرياد

مروان البرغوثي سيدييه
المرفوعة غير الأغلال كأنها تجديد
قولة تعلّمناها صفراً في كت
التاريخ بالماديس بان من أقوال الزعيم
المصري التاريخي مصطفى كامل هو
«لا بأس مع الحياة، ولا حياة مع
الأيام».

لقد تحرك الجيش المصري عام
١٩٥٢ عقب ما جرى في فلسطين عام
١٩٤٨.
تندلع الانتفاضة في فلسطين.
تدور المظاهرات بالقاهرة.

هذا راء الله، هذا القاهرة، هذا بيت
لحم أو الناصرة.
الخليل، العريش وغزة، السويس
هذا المواجهات وأيضاً هناك
هذا اعتقالات، صناديق انتخاب،
وقطب وحيد، وقيد حديد، «أعلم أحد
للحديد ما يفعله غير الحديد».

جنين، بورسعيد، وعزم عنبه
يدوي بأن زماننا ليس زمان العبيد
هذا العرفة فرفة تطير وأخرى
تلك خيطات الشرفة
هذا الإسكندرية، هذا دير ياسين.
هذا الأقصى، وأرض بارك الله
حولها، هذا القدس
هذا بشر سبع وعزل انفرادي، هذا
دوى زهير الأسد
هذا سحر، «الرملة، وهادير»، هذا
زنازين.

هذا سجان
هذا عزم، هذا إيمان
هذا مروان
وصوت يجلجل من كروان
هذا، كموس،
أحمال السنين كفتابل موقوتة
والمال والزيتون
توتة توتة
هذا الحدوة

سهام ذهني

في ذكرى إدوارد سعيد

حينما تكون القوة هي الحق



■ لم أقابل إدوارد سعيد وجهاً لوجه. كنا نتواصل عن طريق الكلمات المكتوبة. وفي أغلب الأحيان لم يكن سوى عن طريق الكلمات المكتوبة العامة. لكنه مع ذلك، قام بدور التكوين في حياتي. عندما أتذكر سعيد، فإنني لا أتذكر المثقف والمحلل السياسي ثاقب الفكر، وصوت العقل والعدالة فحسب، بل أتذكره في سياق الحياة في المنفى - حياته كجزء من الشتات الفلسطيني. أتذكر أن لقد شاهدت طموحتك الجميلة وجذورك الجماعية التي تشكل جزءاً لا يستهان به من تكوين هويتك. وفي هذه الحالة، فإن منفي سعيد يقع بصورة غير مباشرة أيضاً على مسئوليتي بصفتي عضواً من الشعب المضطهد. الشعب الذي نسب في حدوث هذا، أود أن أقرأ من الصغرات الأفشائية لكاتب - إسرائيل/فلسطين، تأسست دولة إسرائيل في عام ١٩٤٨ في أعقاب حرب فلسطين عليها الإسرائيليون، حرب الاستقلال، ويطلق عليها الفلسطينيون، النكبة أو المصيبة أو الكارثة. شعب مطارد ومضطهد، سعى إلى إيجاد ماوى ودولة لنفسه. لكنه عمل ذلك ليدفع الثمن لساحل شعب آخر. ففي أثناء حرب ١٩٤٨، أخرج الجيش الإسرائيلي أكثر من نصف السكان الفلسطينيين في ذلك الوقت - وهم مليون و ٣٨٠ ألف شخص من وطنهم. ورغم أن إسرائيل تدعى رسمياً أن غالبية اللاجئين فروا ولم يطردوا، فإنها ما زالت ترفض السماح لهم بالعودة، كما طالب بذلك قرار الأمم المتحدة الذي صدر بعد حرب ١٩٤٨ بمرتبة قصيرة وهكذا، تم الحصول على الأراضي الإسرائيلية عن طريق التطهير العرقي للسكان الفلسطينيين الأصليين.

وليت هذه العملية بغير شائعة في التاريخ، فلا تزال تصرفات إسرائيل لا تقارن بالنسبة للتطهير العرقي الذي مارسه المستوطنون وحكومة الولايات المتحدة ضد الأمريكيين الأصليين، فلو كانت إسرائيل توفقت عند ذلك الحد، أي عند عام ١٩٤٨، ربما كان بإمكانها التماشي مع هذا الوضع أو القبول به. نشأت كإسرائيلية على الاعتقاد بأن تلك الخطيئة الكبرى التي تأسست دولتنا بناء عليها ربما تعبر يوماً ما على أساس

المحصنة الفكرية لإدوارد سعيد لعام ٢٠٠٦، مصاحبة سعيد، في استراليا في السابع من أكتوبر ٢٠٠٦

ترجمة: علاء الدين محمود

فلسطين في نهاية المطاف. أما النموذج الآخر من الصراع، وهو النموذج الذي طامح إلى سعيد يذكرنا به، فهو الطريق الذي اتخذه مانيديلا في جنوب أفريقيا. السود في جنوب أفريقيا يشقون عددهم البيض بدرجة كبيرة، وربما كان ممكناً بالنسبة لهم الاعتقاد بقدرتهم على التخلص من النهاية من كل السكان البيض الذين ظلوا يصطعدونهم لسنوات. لكن لم يكن هذا هو الخيار الذي اختاروه، بل اختاروا بدلاً منه تقديم حل يقوم على المساواة والكرامة الإنسانية لجميع سكان جنوب أفريقيا، من بينهم البيض.

وفي مارس ٢٠٠١، كتب سعيد من جنوب أفريقيا حيث كان مشاركاً في مؤتمر عن القيم في التعليم. اقتبس من كلمة مانيديلا بالمتنصر، مشيراً إلى عبارتين تأثر بهما تأثراً عميقاً، «العبارة الأولى حملة مناهضة الفصل العنصري (الابارتهايد) كانت واحدة من أعظم صور الكفاح الأخلاقي، التي استحوذت على خيال العالم، وكانت العبارة الثانية في وصفه للحملة المناهضة للفصل العنصري، لا بوصفها مجرد حركة لإنهاء التمييز العنصري، لكن كوسيلة، بالنسبة لنا جميعاً لتأكيد إنسانيتنا المشتركة. تصور كلمات العبارة لنا جميعاً، ضمناً أن جميع الأعراق في جنوب أفريقيا، ومن بينهم البيض الآليون للابارتهايد، مشاركون في صراع يهدف في النهاية إلى التعايش والتسامح وتحقيق القيم الإنسانية»^(١). أوضح سعيد أن كفاح السود في جنوب أفريقيا استطاع الاستحواذ على خيال وحلام العالم بأسره، لأنه قدّم للمجتمع ككل - حتى البيض الذين كان من الجلي أنهم استفادوا من نظام الابارتهايد - المسبيل الوحيد الذي يمكن من خلاله الحفاظ على القيم الإنسانية الأساسية.

يقول سعيد إن الكفاح الفلسطيني يجب أن يقوم على أساس أن الشعب اليهودي هنا يقيى. لابد أن يسعى الكفاح نحو التوصل إلى تسوية يمكن من خلالها التعايش على أساس الكرامة الإنسانية، تسوية تستند على خيال العالم:

يتعين علينا إيجاد حل للصراع. يعمل بحسب عبارة مانيديلا الثانية، على تأكيد إنسانيتنا المشتركة كيهود وعرب. معظمتنا لا يزال عاجزاً عن تقبل فكرة أن اليهود الإسرائيليين هنا يقيى. وأنهم لم يرحلوا، مثلما أن الفلسطينيين لن يرحلوا أيضاً. من المهم أنه من العسير للغاية على الفلسطينيين القبول بهذا، لأنهم لا يزالون في مرحلة فقدان

السؤال الذي واجهه سعيد بوصفه عضواً في المجتمع المضطهد، وواجهني - بوصفي عضواً في مجتمع المضطهدين هو: ما هي الوسائل المتاحة لمقاومة مثل هذه الانتهاكات الصارخة لحقوق الإنسان الأساسية والثقافى؟ ظهرت في أثناء سنوات الاحتلال مدرستان فكريتان حول هذه المسألة: الأولى مدرسة السلاح أو التحرير بالقوة، وكان من بين الفلسطينيين في ذلك الوقت أولئك الذين كانوا يتكلمون عن: القضاء اليهود في البحر، على أساس أن الأعضاء على إسرائيل هو المسبيل الوحيد لتحرير

أنجيل المؤمنين كان يقوده إيمان بأن هذا هو السبيل الوحيد لإمقاذ الشعب اليهودي من خطر محرقة أخرى. (إنها لم تتوقف عند هذا الحد)^(٢) في عام ١٩٦٧ غزت إسرائيل واحتلت الضفة الغربية وقطاع غزة الفلسطينية. موجة جديدة من اللاجئين إلى الخروج إلى المنفى ومنذ ذلك الحين أبقت إسرائيل على احتلال هذه الأراضي بوسائل قمع وإرهاب عدوانية أكثر فاعلية. اليوم يعيش ٣٠ مليون فلسطيني في ظل الاحتلال الإسرائيلي.



Orientalism (1978)

(الاستشراق)
Penguin Books Ltd, 2003, 432PP, \$14.62

إيه رافعة من روافد دراسات الأدب المقارن والمدرسة التفكيكية يحتمل الحال حول أدب ما كان أكثر كنه سيد دقة لكن لا شك في كونه واحد من أعظمها تأثيراً. سيد ادوارد سعيد عينا فحصة في الدراسات الشرقية ومع ذلك يوضّح للقرّان أنه لا يقتصر راساً بكرة هو يحصر الاستشراق في كيمية تناول لدارسين العربيين للثقافات العربية بشمال إفريقيا والشرق الأوسط. يظل سعيد ضمن حدود أواخر القرن الثامن عشر وحتى الوقت المعاصر له بينما تتراجع الأبحاث الأوروبية عن الشرق إلى العصور الوسطى. غير أن بحث سعيد يتجاوز أعمال الأكاديميين في حقل الاستشراق ليشمل الأدب والصحافة وكتب التاريخ وأدبيات و«العلمية» وفي ثم منتج مشهد تاريخياً وأثنولوجياً يدمج أفكاره عن الخطأ و«فكر حراميتي» عن البحر.

يطرح الاستشراق ثلاث فضاءات: الأولى هي الاستشراق - وإن يرمع هو حقل موضوعي مريب - يقدم في النهاية أهدافاً سياسية، الثانية هي «ما عاون الأوربيين (ومضاهة الإقليم والمترسبين) على خلق صورة ضوئية عن أنفسهم في لسيماها» يترك سعيد أن الاستشراق أنتج وصفاً رما للثقافة العربية والإسلامية، وسواءً احتل المشهد الأكاديمي معه أو اختلف، فالهم هو أن الكتاب قطعة منعشة للأذهان وخفيفة لو أعرض عنه جمهور الفارئ.

مانديلا وسعيد، وروح الحل الذي يمكن أن يستمد على خيال العالم، تنسب إسرائيل إلى الآن وفيه النكبة الفلسطينية الثالثة كانت الأولى في عام ١٩٤٨، والثانية في عام ١٩٦٧، بينما نشق الثالثة اليوم. فسي ظل التعصبة الإسلامية الضمنية للعالية، يظفر الفلسطينيون من أراضيهم، ويحاصرون في جيوب أصغر فاصفر تفرش قيوداً على حركتهم. الفلسطينيون يموتون كل يوم، لا من إطلاق النار والقصف من قبل الجيش الإسرائيلي فحسب، لكنهم يموتون أيضاً عند حواجز الطرق إذا كان شخص ما مصاباً بأزمة قلبية، فإنه قد لا يستطيع الوصول إلى المستشفى في الوقت المناسب - أو لأنهم أصيبوا بجرح بسبب الجيش الإسرائيلي، في أعقاب كل اعتداء إسرائيلي، بالإضافة إلى القتلى، هناك عدد أكبر من الجرحى ولا يدخل الجرحى والمصابين في إحصائيات القتل، لكن ما احتمالات بقائهم على قيد الحياة في ظل النهيار السلطاني المصطفى في

أراضيهم، والتعرض للاضطهاد بشكل يومي. لكننا لم نركز بما يكفي عند التلميح غير السلوك وغير المتدبر في مثل قتله أنهم سيحورون على المفارقة (من الحرب الصليبية) على إنهاء الاحتلال العسكري كضرورة أخلاقية أو على تقديم صيغة لتحقيق أمنهم وتقرير مصيرهم بما لا يلقى أمناً وتقرير مصيرنا... اليهود الإسرائيليون والعرب الفلسطينيون محصورون في رؤى سائر للجهنم، أي، الأشخاص الآخرين... لنا، فالأمر متروك لنا لتقديم الإجابة التي لا نستطيع تقديمها السلطة أو الباروتيا. فلا يكفي أن نتكلم عموماً عن السلام، بل لابد من توفير الأرض الصلبة التي لا يمكن لهذه الأرض أن تنوهر إلا من خلال الرؤية الأخلاقية، وليس عن طريق البرجماتية، أو العملية، إذا أردنا جميعاً أن نحيد - وهذا هو واجبنا - ففيلنا لا نستحوذ على خيال شعبنا فحسب، بل على خيال مضطهدينا، وعلمنا أيضاً الالتزام بالقيم الديمقراطية الإنسانية،

Reflections on Exile (2000)

تأملات حول المنفى
Harvard University Press, 2002, 656PP,
\$16.88

يشمل تأملات حول المنفى حوالى خمسين مقالة تدور في الأغلب حول مواضيع أدبية وإن لا تقتصر إلى مناقشات عن الفلسفة والتاريخ والسن والأحداث المعاصرة. يعمل بعض فكره في مسيرة عدة كتاب من بينهم ميرلو-بونتي وكوراد ونيتشة وهيدغر وفوكو وميجنواي ولامور ومفوض وميليفر بيد الله لا يعمل أيضاً ما لا هيديليو. يحلل قصص طرزان وأفلامه ويقدم كل التقدير لرافعة شريفية. تبحث عدة مقالات من ضمنها مناقشة ثانية للاستشراق - في ردود الفعل على كتابه الاستشراق. أما تأملات حول المنفى، فتتوغل في التأثير الشخصي والأدبي لهذه التجربة. يتضمن المجلد مراجعات للكتب ومجالات ضخمة وإعجاب سعيد بهذا الفنان وأدب الفكر ومجالاته بلورة، للصورة الكاملة، إن هائلة سعيد وسعة فكره تجعلان هذه المجموعة واجبة القراءة.



الأرض الفلسطينية؟
ولهم المشروع الإسرائيلي الحالي، دعونا نرجع إلى التاريخ، فهذا احتلال عام ١٩٦٧ فكترت النخب السياسية والعسكرية الإسرائيلية ملياً حول مسألة كيفية الحفاظ على أقصى مساحة من الأرض المحتلة بأدنى عدد من السكان الفلسطينيين. وتطور نموذجان للحل، في الفكر السياسي الإسرائيلي. اقترض النموذج الأول، وهو السائد في الأوساط العسكرية التي كان أرزئيل شارون أهم متحد باسمها، أنه في ضوء تفوق إسرائيل عسكرياً، فإن المقاومة الفلسطينية لابد أن يقضى عليها في النهاية. لذلك، من الضروري القضاء على أي شكل من أشكال السلطة الفلسطينية أو مركز قوتها، كما فعل شارون في لبنان عام ١٩٨٢. رأى هذا النهج من خلال منظور على المدى الطويل أنه من الممكن إيجاد سبيل أكثر تطوراً للتوصل إلى حل، على غرار ١٩٤٨، لذا يصبح من الضروري إيجاد دولة للفلسطينيين، «الأردن هي فلسطين» هي العبارة التي صاغها شارون في الثمانينيات. بينما نشأ النموذج الآخر منذ الثمانينيات في دوائر حزب العمل الأكثر اعتدالاً، اقترحت خطة ألون الخاصة بحزب العمل ضم ٢٥-٤٠ بالمائة من الأراضي لإسرائيل، بالإضافة إلى حكم أردني أو شكل من أشكال الحكم الذاتي لما تبقى من الأرض التي يعيش عليها الفلسطينيون.

تبنت أغلبية المجتمع الفلسطيني هذا النموذج الثاني منذ عام ١٩٨٨ على الأقل. ففي نوفمبر ١٩٨٨، وفي أوج الانتفاضة الفلسطينية الأولى، اجتمع المجلس الوطني الفلسطيني - وهو أعلى مجلس للمنظمات الفلسطينية - في دورته التاسعة عشرة في الجزائر تحت عنوان اجتماع الانتفاضة، وأصدر المجلس بعد التصويت بأغلبية ساحقة ٢٥٣ صوتاً مقابل ٤٦ صوتاً قرارات يقبل تقسيم فلسطين التاريخية على طول حدود ما قبل ١٩٦٧، وهو ما يسمى بالنسبة للفلسطينيين بـ ٢٢٢ قطع من أراضيهم التاريخية باعتبارها دولتهم في المستقبل. دعت القرارات المجلس الوطني الفلسطيني إلى تسوية سلمية للصراع، وإلى إدانة الإرهاب بكافة أشكاله. قال إدوارد سعيد بحماس حينما كان حاضراً في هذه الاجتماع التاريخية: «نشأ عظمنا على حقيقة (وعاش وتذكر) أن فلسطين بلد عربي، وفيها التنازع بين أي شيء أكثر من التلخص من أزمة دولة يهودية فارت على حسانيات وعلى حساب قتلائنا وأرضنا ومجتمعاتنا، وألا في حصص حرقياً من الأول... وأول مرة أيضاً اعترفت إسرائيل اعترافاً ضمناً بدولة لم تقدم لنا شيئاً تفكر...»



Covering Islam: How the Media and the Experts Determine How We See the Rest of the World (1981)
(تغطية الإسلام، كيف يقرر الإعلام والخبراء كيفية رؤيتنا لبقية العالم)
Vintage, 1997, 272PP, \$11.20

لقد صورت أجهزة الإعلام الحديث بدءاً من أزمة البرهان الإيرانية وحتى حرب الخليج وتفسير مركز التجارة العالمي - «الإسلام» باعتباره كياناً يتكشف عن وحدة صلبة ومرافقا للإرهاب والتمسك بالدين. إن سعيد يتكشف النقاب عن هذا الكتاب الكلاسيكي المحدث الآن ما يقع تحت المصطلح «الموضوعة» للعالم الإسلامي من برامج غبية وتشويه الحقائق. وعلى الرغم من الستة عشر عاماً التي مضت منذ ظهور الإصدار الأول لهذا الكتاب، تصفت زيادة الحساسية تجاه

للاحتلال في المستقبل. ومنذ بداية اتفاقيات أوسلو، برزت أن هناك مهادنة من قبل صهيونيين بارزين، وليس الأركان في ذلك الوقت، وأريئيل شارون، أحد زعماء المعارضة في حزب الليكود آنذاك.

موقفنا من خارطة الجدار

في عام ١٩٩٩، وصل الجيش إلى السلطة عن طريق «جنرالات السياسة، بباراك أول» من شارون، وفتح الطريق لتصبح ما اعتبره خطاً فاحشاً في أوسلو. أرى في كتابي «إسرائيل/فلسطين: أم إلى التصعيد الحالي للأعمال العدائية التي بدأت في نهاية سبتمبر ٢٠٠٠ ليست انفجاراً عفوياً للعنف، وإنما تحرك مدروس ومعد إعداداً جيداً من قبل الجيش الإسرائيلي بهدف إلغاء ترتيبات أوسلو، وإلى أجل تحقيق ذلك، كان من الضروري أن ألقى اقتناع المجتمع الإسرائيلي والعالم الغربي بأن الفلسطينيين لا يرغبون في العيش في سلام وأنهم في الواقع يهددون وجود إسرائيل نفسه. نجح بباراك في ذلك عن طريق خدعة، عرضة السخى، في قمة كامب ديفيد في يوليو ٢٠٠١، وبحلول عام ٢٠٠٢، وفي عهد شارون، استكملت عملية استعادة السيطرة العسكرية المباشرة على الأراضي المحتلة. وشرعت إسرائيل العرقى حملتها الواسعة للتطهير العرقي للفلسطينيين على طول الجدار الذي بدأت بنائه في عام ٢٠٠٣.

ولفهم الدافع وراء مشروع الجدار، دعونا نلقي نظرة على الخريطة التي وزعناها عليكم. هذه هي الخريطة الرسمية الوحيدة التي قدمتها إسرائيل باعتبارها مقترحها بشأن الانسحاب النهائي. كما فعل رئيس الوزراء آنذاك إيهود باراك في مفاوضات طابا-إيلات في مايو ٢٠٠٠ (قبل شهرين من انعقاد قمة كامب ديفيد)، وكانت قد نشرت أصلاً باللغة العبرية في صحيفة «يديعوت أحرونوت» في ١٩ مايو من نفس العام. قطع الشاطئ دافئة اللون وفقد نهده، على الضفة الفلسطينية، ذات السيادة الفلسطينية، والتي تشكل معاً ٦٠ بالمائة من مساحة الضفة الغربية، أما باقي الضفة الغربية فستظل إسرائيلية. المناطق باللون الأبيض سيضمها على الفور، والمناطق المظلمة سيتم حيازتها، مؤقتاً، تقسم أرض الفلسطينية ذات السيادة، أربعة مائة معزولة دون اتصال بين الأراضي. ولكن نفهم نوع الحياة التي يمكن أن يتوقعها الفلسطينيون داخل ٦٠ بالمائة الخاصة بهم، فإننا سوف نبحث

بالمعنى تمثل هذه الخطة في نظريتها حلاً وسطاً لا غنى عنه، إذ زارت أنه من المستحيل تكرار حل، عام ١٩٤٨ الذي تمثل في الطرد الجماعي، سواء لاستمرار أخلاقية أو لأن الرأي العام العالمي لا يسمح بتركه.

كان اتفاق أوسلو عام ١٩٩٣، والاتفاقيات التي تلتها في الواقع، تقييداً لخطوة الون الخاصة بحزب العمل. لم يفهم الموقف بهذا الشكل في ذلك الوقت، فالسلطة الفلسطينية، فضلاً عن الممارس الإسرائيلي، رفض خطه الون على طول الخط. تلك الخطة التي تسلب منهم ٤٠ بالمائة مما تبقى من أرضهم التاريخية، إلى سيطرة سائر الأراضي تحت السيطرة الإسرائيلية، مع تقييد الحكم الذاتي. توصّل الفلسطينيون والإسرائيليون لإنهاء الاحتلال وتبديد قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢، منذ فترة انتقالية مدتها خمس سنوات. ومع ذلك، وكما ذكرت بالتفصيل في كتابي «إسرائيل/فلسطين: أم إلى التصعيد الحالي للأعمال العدائية التي بدأت في نهاية سبتمبر ٢٠٠٠ (٢٠٠١-١٩٩٣)» لم يكن سوى خطة الون. رابين نفسه أعلن استعداده لقبول هذه الخطة فعلاً في عام ١٩٩٢، والتي نفذت في عام ١٩٩٣. ففي مقابل التزام عرفات بالسيطرة على الإحياء الفلسطيني وصمان إلى إسرائيل، بدأ رابين على استعداد للسماح للسلطة الفلسطينية بإدارة الجيوب التي ما زال يقيم فيها الفلسطينيون. وبالتالي تفتح لخطة خطة الون أنه يمكن التوسع حتى في المناطق «الخالية من العرب، لتجاوز نسبة ٢٠، التي سبق أن وافق عليها رابين في عام ١٩٨٣، تُزعم ملكية نحو ٥٠ بالمائة من أراضي المستوطنات التي كانت مسوّات أوسلو. وبالتالي أصبحت الآن أراضي التواجد الواسع احتياطية ومستوطنة. ومع ذلك، بدأ منهم كانوا راضين بأن ٦٠ بالمائة هذا كما كانوا سيسمحون للفلسطينيين بنوع من الوجود في شكل حكم ذاتي في ٤٠ بالمائة الأخرى، ومن ثم فإن النموذج التالي شأ خلال سنوات أوسلو كان فضلاً منصرياً ليداس. ليس أن النموذج الآخر، وهو نموذج التطهير العرقي الواسع، لم ينته تماماً من الجيش أو في الدائرة «جنرالات السياسة، الذين انتقلوا من الجيش إلى الحكومة» هم نظريتهم حتى نظام الارتباطية هذا قد أعطى الكثير للفلسطينيين. فلم يخطر ببال أي أحد حتى الحكم الذاتي الحر الذي قد يمكن الأمر السياسية لمواجهة فلسطينية

الوضع داخل المناطق داكنة اللون من الخريطة. هذا هو الوضع الذي كان قائماً في الضفة الغربية حتى حلول عام ٢٠٠٠، (تشيير الجيوب الفلسطينية كما رسمها في النهاية إلى إسرائيل، هذه المناطق على الخريطة المظلمة تنقط رمادية تمثل مواقع القرى والبلدات الفلسطينية، أما المناطق بيضاء اللون التي تحيط بها فهي أراضيهم. يهدف مشروع الجدار إلى فصل القرى عن أراضيها - ستكون الأراضي على الجانب الإسرائيلي من الجدار، بينما ستظل القرى في الجيوب الفلسطينية. لذا فإن خط الجدار الحالي ليس مستقيماً، كما يظهر في هذه الخريطة، لكنه يمر خلال القرى، ليصنع في الكثير من المناطق حلقة تحيط بأحدى القرى، ولا يترك سوى مخرج واحد يربطها بالقرى البعيدة. وبالتالي يفصل الجدار بين القرى والقرى في الأراضي الزراعية التي تعيش عليها. الجدار يفصل القرى عن بعضها البعض فضلاً عن، ويحولها إلى جيوب معزولة وفي بعض الحالات، إلى جيوب ديفيد التي يكون لها ثقل لقرى في عمر يربطها بأرض أخرى بالسلطة الفلسطينية. لكنها ستبقى بشكل تام على الجانب الإسرائيلي من الجدار، محاطة بنظام إسرائيلي من الحواجز التي تفصلها عن مقراتها وعن سائر الضفة الغربية، لتتحول إلى سجون معزولة خفية.

وفقاً لأرقام الأمم المتحدة، والتي صيغت أيضاً باختصار في الحكم الصادر من محكمة العدل الدولية، سوف يربط ٢٣٧ ألف فلسطيني خارج الجدار، وتقطع الاتصالات بينهم وبين الضفة الغربية نتيجة لبناء الجدار، بينما سوف ينضم حوالي ١٦٠ ألف فلسطيني آخرين إلى جانب الضفة الغربية من الجدار. لكنهم سوف يقيمون في مجتمعاتهم القديمة مطوقة بالكامل، معزولين عن أراضيهم الزراعية وأماكن عملهم وأجسادهم ومدارسهم. كما لم يعلن إسرائيل عن أرقام مماثلة في الإعلام الإسرائيلي^(١). وبذلك يعزل مسار الجدار الحالي ٤٠ ألف فلسطيني عن مصادر رزقهم ويحبسهم في جيوب معزولة. فمماذا سيجتنب هؤلاء الناس والأرض التي تستولي عليها إسرائيل الآن؟ في ظل عدم وجود أية وسيلة للعيش، فإنهم سيضطرون إلى مغادرة هذه الجيوب في غضون السنوات القليلة المقبلة بحثاً عن فرص عمل في ضواحي مدن الضفة الغربية، أو في المدن الفلسطينية، وسيتم تطهير أجزاء الضفة الغربية المتاخمة لحدود إسرائيل من الفلسطينيين. يحدث هذا بالفعل في فلسطينية وطول



الوضع داخل المناطق داكنة اللون من الخريطة. هذا هو الوضع الذي كان قائماً في الضفة الغربية حتى حلول عام ٢٠٠٠، (تشيير الجيوب الفلسطينية كما رسمها في النهاية إلى إسرائيل، هذه المناطق على الخريطة المظلمة تنقط رمادية تمثل مواقع القرى والبلدات الفلسطينية، أما المناطق بيضاء اللون التي تحيط بها فهي أراضيهم. يهدف مشروع الجدار إلى فصل القرى عن أراضيها - ستكون الأراضي على الجانب الإسرائيلي من الجدار، بينما ستظل القرى في الجيوب الفلسطينية. لذا فإن خط الجدار الحالي ليس مستقيماً، كما يظهر في هذه الخريطة، لكنه يمر خلال القرى، ليصنع في الكثير من المناطق حلقة تحيط بأحدى القرى، ولا يترك سوى مخرج واحد يربطها بالقرى البعيدة. وبالتالي يفصل الجدار بين القرى والقرى في الأراضي الزراعية التي تعيش عليها. الجدار يفصل القرى عن بعضها البعض فضلاً عن، ويحولها إلى جيوب معزولة وفي بعض الحالات، إلى جيوب ديفيد التي يكون لها ثقل لقرى في عمر يربطها بأرض أخرى بالسلطة الفلسطينية. لكنها ستبقى بشكل تام على الجانب الإسرائيلي من الجدار، محاطة بنظام إسرائيلي من الحواجز التي تفصلها عن مقراتها وعن سائر الضفة الغربية، لتتحول إلى سجون معزولة خفية.

وفقاً لأرقام الأمم المتحدة، والتي صيغت أيضاً باختصار في الحكم الصادر من محكمة العدل الدولية، سوف يربط ٢٣٧ ألف فلسطيني خارج الجدار، وتقطع الاتصالات بينهم وبين الضفة الغربية نتيجة لبناء الجدار، بينما سوف ينضم حوالي ١٦٠ ألف فلسطيني آخرين إلى جانب الضفة الغربية من الجدار. لكنهم سوف يقيمون في مجتمعاتهم القديمة مطوقة بالكامل، معزولين عن أراضيهم الزراعية وأماكن عملهم وأجسادهم ومدارسهم. كما لم يعلن إسرائيل عن أرقام مماثلة في الإعلام الإسرائيلي^(١). وبذلك يعزل مسار الجدار الحالي ٤٠ ألف فلسطيني عن مصادر رزقهم ويحبسهم في جيوب معزولة. فمماذا سيجتنب هؤلاء الناس والأرض التي تستولي عليها إسرائيل الآن؟ في ظل عدم وجود أية وسيلة للعيش، فإنهم سيضطرون إلى مغادرة هذه الجيوب في غضون السنوات القليلة المقبلة بحثاً عن فرص عمل في ضواحي مدن الضفة الغربية، أو في المدن الفلسطينية، وسيتم تطهير أجزاء الضفة الغربية المتاخمة لحدود إسرائيل من الفلسطينيين. يحدث هذا بالفعل في فلسطينية وطول

الكثير من الأقليات العرقية والعنصرية والجنسية، تواصلت عملية قبوله السورب الإسلامية واستمر التحامل في تصويرها، إن تعاطية الإسلام كتاب شديد السبق جذاب الأسلوب يبرز كيف خلقت وسائل الإعلام الراحلة في الولايات المتحدة صورة سلبية معادية للشعوب الإسلامية غير أن تلك الصورة حالت دون تحقق الإدراك الشامل للإسلام في حين اختلفت عدوا خيالها لتشتي الطوائف الأمريكية.

Culture and Imperialism (1993)

(الثقافة والإمبريالية)

Vintage 1994, 480PP, L6 99

يوزر سعيد وقائع وحججه تبرهن خير برهان على الحكمة الثقافية، القام الأقوى من السيد، إن الثقافة والإمبريالية كتاب ألغى عن نقد أدبي يستحيل بالأساس إلى علم سياسي إذ يقدم الدليل على أن أكثر أدوات الإمبريالية الغربية فاعلية لتهميشة على الثقافات الأخرى هي أدوات أدبية في جوهرها بقدر ما هي سياسية اقتصادية يتعقب سعيد مواضيع الأدب الغربي أبان القرن التاسع عشر والقرن العشرين ووسائل الإعلام المعاصرة بعينها أسلحة للعدو كما أنه يضع تحليلاً متغلباً لصدور الأصوات الوطنية المعارضة في كتابات المستعمرات، يوضح سعيد إلينا بأنها ليست صدقة أن يصوغ إنجليزي من العصر الفيكتوري، إدوارد بولروي، ليتون، عبارة، القام الأقوى من السيد، إنه كتاب لا بد من أن يطالع كل راغب في استيعاب كيف تصنع الكلمة الثقافات وكيف تحرر الثقافات من خلال إنعاش الأصوات القديمة ولحق أصوات جديدة خلية بعوالم حديثة



Out of Place (1999)

Vintage, 2000, 336PP, \$11.90

(خارج المكان)

إن إدوارد سعيد واحد من أكثر نقاد المشهد الثقافي شهرة بعد الحرب العالمية الثانية، سلسلت كتبه في الأدب والسياسة والنقد الفلسفي صوا مختلفا على أدراكه القارئ لتأثير الإمبريالية الأوروبية على مجريات الثقافة الحديثة. تشمل مسيرة سعيد المهنية كمفكر حقوق الآداب والصياغة والموسيقى والشرق والتاريخ وباعباره فلسطينياً مقترين - إن نشأ في الشرق الأوسط وعاش بعدها في الولايات المتحدة - فقد شهد تأثير

الحرب العالمية الثانية على العالم العربي وتوسع فلسطين ولادة إسرائيل وتولى عبد الناصر السلطة ونشأة منظمة التحرير الفلسطينية والحرب الأهلية في لبنان وعملية السلام المرحنة في العقد العاشر من القرن العشرين. لذا يعد إصدار سعيد لمذكراته خارج المكان حبسا لا يستهان به، فالكتاب يزود القارئ بمسح لا يخلو من فتنة لتطور الشخصيات لتألف ومفكر تجاوز الخط الماصل بين الشرق والغرب ليبيد في إبان هذه العملية تعريف المفاهيم الغربية عن الشرق وصحة الشعب الفلسطيني.

مجرد مجموعة من الناس، كوسيلة للسيطرة على شعبها لضمان الهدوء بالنسبة للمحتلين في عديد في التاريخ، نموذج غير مسبق من الاحتلال ويجري تنفيذ بسرعة وكفاءة تبعث على الرعب.

نشأ نموذج المسجن للمرة الأولى في قطاع غزة، وتطور بالفعل أثناء سنوات أوسلو في عهد ياسين، شند سياج الكتروني أدى إلى إغلاق القطاع من جميع جوانبه المتاخمة للحدود مع إسرائيل. وهكذا، وأثناء سنوات أوسلو أصبح أكثر من مليون شخص سجناء بالفعل على أرضهم، حيث لا يمكنهم الحركة أو الخروج منه إلا من خلال البوابات الأمنية التي تسيطر عليها إسرائيل، وفي معظم الحالات، لا يسمح لهم مغلقا بالهجرة أو بالخروج. تسيطر إسرائيل منذ أوسلو على كل جانب من جوانب الاقتصاد بغزة، من بينها توقيت دخول وخروج البضائع وكمية الوارد والصادر منها. استخدمت إسرائيل أسلوب تطبيق الخناق الاقتصادي كوسيلة أساسية للسيطرة قبل التصديق الحالي. ولم تعد إسرائيل إلا من أحكام سيطرتها من الخارج منذ إغلاء مستوطنات قطاع غزة. إن ما نشهده الآن هو استكمال تطبيق الخناق على قطاع غزة الذي تحول إلى سجن مفتوح كبير يسيطر عليه حراس السجن سيطرة كاملة. كان هدف القيادة الإسرائيلية الحالية إقامة نفس الوضع في الضفة الغربية أيضاً. لكن ذلك بدأ مستحيل منذ وضع سنوات فطع الضفة الغربية أكبر بكثير من حيث المساحة من منطقة غزة، وتتمتع بنوع ما من الاقتصاد الصمى، لكن في الواقع، بهدف مشروع الجدار، وحوار الطرق وتصميم الخناق الاقتصادي. والاضطهاد السياسي للبرلمانات السياسية الفلسطينية الناشئة إلى تحقيق نفس الهدف.

من المسائل التي ظلت تشغل المجتمع الدولي هي كيفية التعامل مع الدول التي تتنهد القانون الدولي بصورة منهجية. أي الدول المجرمة أو الدول المارقة. إسرائيل دولة مارقة بكل المقاييس، في عالم عادل ومنضبط النظام، سوف تعرض المؤسسات الدولية عقوبات على إسرائيل، كما فعلت مع دول مارقة أخرى في الماضي، لكن في العالم الحالي فإن ذلك لا يحدث فحسب، لكننا نجد أن الغرب يصر أن يفرض الضامعة والعقوبات على الفلسطينيين بدلاً من إسرائيل. ومنذ الانتخابات الفلسطينية في يناير 2006، جُمعت جميع المساعدات الدولية

كرو، حيث استكمل بناء الجدار في عام 2007، كانت لفلسطين بلدة مزهرة، ومركزاً محلياً لتجارة والزراعة، فصلها الجدار عن أراضيها، وطوق البلدة من جميع الجوانب، تاركة مخرجاً ضيقاً يسيطر عليه الجيش باعتباره المخرج الوحيد الذي يربطها بالضفة الغربية. قتلية اليوم مدينة ميتة بالفعل لقد فر الكثير من سكانها بحثاً عن لقمة العيش على أطراف البلدات الأخرى بالضفة الغربية، بينما استسلم أولئك الذين لا يزالون هناك للناس واللصوص الذي يصيب السجنا



تستدعي كلمة، الترانسفير، الذكرى الجاعية المروعة لشاحنات تصل في منتصف الليل لنقل الفلسطينيين الفلسطينيين عبر الحدود، وهو ما حدث في عدد من المناطق في عام 1948، لكن الترانسفير باتباع هذا النموذج غير ممكن في عالم اليوم. اليوم يجب أن يتم الترانسفير بشكل أكثر بطلاً في الخفاء، يتعرض اليوم 400 ألف فلسطيني لمثل هذه العملية من الترانسفير البطيء والخبث بعيداً من أراضيهم، حيث يجري دفعهم إلى أربعة جيوب كبيرة في الضفة الغربية خصصتها إسرائيل للوجود الفلسطيني خارج إسرائيل في الوقت نفسه على تصعيد سياساتها قديمة العهد لتجهيز الفلسطينيين قسراً وفي الضفة خارج فلسطين. أجبرت إسرائيل الفلسطينيين المحتلة منذ سنوات على الخروج، لكن لا يزال هناك 3.5 مليون فلسطيني يعيشون في الجيوب، ورغم اضطراب الكثير منهم إلى الجيوب، فإن عدد كبير منهم لا يزال يعيش هناك. فما الذي تحطمت له إسرائيل بالنسبة للباقي من الفلسطينيين؟ مع تسمية 3.5 مليون شخص تحت الاحتلال بلا حقوق إنسان كان السؤال الذي طأله أزعج المحتلين هو كيفية السيطرة على هذا الشعب بما لا ينقص على المحتلين حياتهم. يتمثل الشلل الذي وضعت إسرائيل في عهد شارون في نظام محقق من المسجون المتمح فذ دفع الفلسطينيين إلى جيوب محكمة الإغلاق ومحاطة بالسياج. يسيطر الجيش الإسرائيلي على الفلسطينيين من خارج الجيوب، كما أنه الإغلاق، لكنه يدخل إليها متى شاء، ويصعب على، فهذا النموذج من الاحتلال - إن سجن أمن تامكها، وليس



The End of the Peace Process: Oslo and After (2000)

(نهاية عملية السلام، أوسلو وما بعدها)

Vintage, 2001, 432PP, \$11.70



مرة أخرى يسبق إدوارد سعيد في كتابه الثامن عشر بصيرته الحائفة والدكاء على قضية تنوع بالعدل هي خمسين مقالة (نشرت أغلبها في جريعات الأهرام ويكبي والحياء اللندنية)، يصوب نظرة كئيبة تتناول مشر من الصخرية إلى عملية السلام بالشرق الأوسط منذ

للمسلطينيين، بما فيها الاموال للمنظمات غير الحكومية، ويتعاون الغرب بينما تستعجّل إسرائيل من دفع أموال الضرائب التي تدّين بها للمسلطينيين وبالتالي الاقتصاد الفلسطيني مصاب بالشلل التام، فلا رواتب، ولا خدمات اجتماعية، ولا رعاية طبية أو مستشفيات عاملة منذ عامين. احتل العالم العربي بجزر الديمقراطية في الشرق الأوسط، بعد رحيل عرفات، واستعدادات الشعب الفلسطيني لأول انتخابات ديمقراطية

وفقاً لتقرير جيمس كارتر في صحيفة الهيرالد تريبون، كانت الانتخابات، «نزيهة وعادلة»، تميزت بالمنافسة الشديدة، ولغيا العنف إلى جانب قبول العازلين والحاصرين بالانتخاب، في حين عملت الانتخابية أشرف عليها... مركز كارتر، كاتبة هذه الانتخابات من بين الأفضل تصويراً لإرادة الشعب»^(١)، في عالم عادل ومنضبط النظام، لا يمكننا أن نتخيل أن حكومة صلاحيتها هذه

الطريقة يمكن أن تفقد صلاحيتها لأن إسرائيل لا يعجبها اختيار الناجحين المنضبطين لمأساة... لكن في عالم تحكم فيه الولايات المتحدة، فإن القوة هي الحق، ويمكن للشعوب أن تسهر الديمقراطية حسيماً بترأي لها، وهكذا أغلبن أن يتم الاعتراض بالنهاية الانتخابات الفلسطينية إلا بعد تحقيق ثلاثة شعارات، وفي الوقت نفسه مسجري معاقبة وتجويع الشعب الفلسطيني عن طريق مقاطعة اقتصادية أملاً في أن يؤدي ذلك إلى انهيار الحكومة المنتخبة

يتمثل الشعار الأول في أن حماس يجب أن تقيد العنف، ما هو مضمون هذا الطلب بالتحديد في يناير ٢٠٠٥، أعلنت حماس قرارها باستبدال الكفاح المسلح بالكفاح السياسي، ووافقت على وقف إطلاق نار أحادي الجانب (نهائياً)،

وخلال عامين منذ ذلك الحين، لم تهم حماس بهجوم إرهابي واحد، ولم تشارك حماس وفقاً لهادار أمية الإسرائيلية ضد الانتخابات في إطلاق صواريخ القسام من غزة^(٢)، مثل هجوم إسرائيل على قطاع غزة في صيف ٢٠٠٦

الشعار الثاني هو ضرورة أن تعترف حماس بالاتفاقيات السابقة، أوضح رئيس وزراء حماس فتية في مقابلة له مع صحيفة واشنطن بوست أنه وفقاً لاتفاقيات أوسلو عام ١٩٩٣، سيبدأ فترة انتقالية مدتها خمس سنوات، كان لا بد أن تخرج الدولة الفلسطينية إلى حيز الوجود، لكن إسرائيل خالفت كل بند من بنود الاتفاقية وواصلت احتلالها لأراضي

المسلطينيين وسلبها منهم. واستطرد قائلاً: «بالأفصاحات التي تعترف حكومتها إلا بالاتفاقيات التي تخدم مصالح الشعب الفلسطيني».

الشعار الثالث هو أن تعترف حكومة حماس بوجود إسرائيل، لكن حقيقة الأمر هي أن إسرائيل هي الطرف الذي لا يعترف بحق الفلسطينيين في الوجود كدولة، كما شاهدنا، في اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني في عام ١٩٨٨ بالجزائر، تعهد الشعب الفلسطيني بالاعتراف بتقسيم البلد وأنهم راضون بعودة داخل حدود ١٩٦٧، إسرائيل لم تفعل شيئاً منذ ذلك الحين لإثبات أنها مستعدة لقبول مثل هذا الحل الوسط في عالم عادل، لا بد أن يطالب المجتمع الدولي بالاعتراف المتبادل.



بالنسبة لإسرائيل، نتائج الانتخابات الفلسطينية ليست سوى دعاية لإعلان الحرب على الشعب الفلسطيني، بالنسبة لإسرائيل، لم يمكن أبداً أن يكون شريك فلسطيني للسلام، أعلن أولان عن عرفات غير مؤثوق به، ثم إن عباس ضعيف جداً وأن آجاء الدور على فتية، نظراً لأن إنهاء الاحتلال هو الشيء الذي ليست إسرائيل على استعداد للتعرف فيه، فإن ثلاثة شعارات التي تروج له هو القضاء على الفلسطينيين بالهجوم إلى القوة العاشمة المدمرة، لا بد من تجويعهم، وقصصهم وإرهابهم لمدة شهر، حتى يغموا أنه لا جدوى من التمرد، والقبول بالسحن مدى الحياة هو الأمل الوحيد للبقاء على قيد الحياة، لا بد من تدمير نظامهم السياسي الانتخابي، ومؤسساتهم، وشرطتهم، لا بد أن تحكم الأراضي المحتلة بحسب رؤية إسرائيل عصابات محلية بالتعاون مع حراس السجن،

دايت إسرائيل منذ الانتخابات الفلسطينية على استغلال موجة الإسلاموفوبيا في الولايات المتحدة وأوروبا لإشراكهم كشريك فاعل في هذه الحرب ضد الفلسطينيين، والقيام بدورهم في خلق وتجويع وإضعاف الشعب الفلسطيني، في الوقت الذي تعود فيه إسرائيل بمعونتها لتحقيق الدمار.

هذه أيام مظلمة للغاية، وقد عدنا إلى مسألة خيارات الكفاح - مسألة إيوارد سعيد التي بدنا فيها، القبط الذي يدعو إلى حلول يتم تنفيذها بالقوة - إلى حلول القضاء على العتدي، يزداد قوة اليوم أكثر من أي وقت مضى، منع رئيس إيران

أحمدى نجاد صوتاً لهذا القبط، حينما أعلن أن العالم العربي لن يدفع بعد اليوم ثمن المحرقة اليهودية - لا بد من التخلص من إسرائيل وعودة اليهود إلى أوروبا، كثيرون فقدوا الأمل في خيار إيجاب إسرائيل سياسياً على تعبير سياساتها، وحتى هذا الخط من التفكير يتأيد في قلوب الكثير من الناس، بينما لا يزال النموذج الآخر، الذي مهد له مائديلا ودعا إليه سعيد، كما هو الدرس الآخر الذي نستفيد من مائديلا ومن كفاح شعب جنوب إفريقيا، وهو الدرس الذي لم نذكره من قبل، هو الكفاح لا بد أن يكون دولياً، لقد اهارت المهمة البيضاء بجنوب أفريقيا ودايت بسبب الضغط الدولي، بدأ الكفاح بمعومات صميرة من الطلاب تدعو إلى المقاطعة وإلى التوقف عن التعاملات التجارية، ثم نما إلى المصعق على الشركات التي تتعامل مع جنوب إفريقيا، وادى في النهاية إلى إيجاب الحكومات على التحل بد فعل، وهذا غطوات على جنوب إفريقيا، لكن هذا هو نموذج الصراع السياسي السلمى، فإذا كنت أستاذاً جامعياً وأقررت عدم المشاركة في مؤتمر في جنوب أفريقيا أو في إسرائيل، فأنت لا تفرس إلى عطف، فكذلك فورت أن تبين لك أن تتعاون مع مجتمع يسمح بأن تحدث فيه مثل هذه الحرائق.



هذا الطريق من الكفاح الدولي لا يزال مفتوحاً وفي الواقع، لم تكن السموات القليلة الماضية مجرد سنوات انتصار لسياسات التوسع الإسرائيلي، فرغم النجاح الواضح الذي حققته جماعات التجويع المؤيدة لإسرائيل في إغراس أي نقد يوجه لإسرائيل، خلال هذه الفترة نجد المعارضة لسياسات إسرائيل كثيراً في أدهان الناس في جميع أنحاء العالم، فعلى المثال، وفي استطلاع للرأي في أوروبا قبل عامين بشأن الدول التي ينظر إليها الناس باعتبارها الأكثر خطراً على السلام العالمي، رأى معظم الأوروبيين أن إسرائيل (أي أكثر من الولايات المتحدة، وهذا بالطبع، ليس صحيحاً)، يبدو أن نجاد البروجانجا لم يكن سوى نجاح جزئي حجب، يجري السكون عن عطف إسرائيل والتعاضد عنه في وسائل الاعلام، وفي القوامين أو الميادان التي تصدعها الحكومات، لكن وعلى الناس بالموقف ليس إلا في الزبداد أرى في آخر كتاب لي بعنوان «خارطة

الطريق الذي لا يصل إلى أي مكان، أن الولايات المتحدة اضطرت لمررة قصيرة خلال هذه الفترة، التي يرداد فيها تورطها أكثر فأكثر في احتلال العراق، للاستسلام للرأي العام الأوروبي، كما نقله بليس، لتعازير صمعة حقيقياً على إسرائيل، لم يكن إخلاء شازون لاستوطنات غزة فعلاً دافعاً عن إرادة حرة، بل قراراً فُرض عليه في ذروة الضغوط الدولية التي أعقبت تخريب إسرائيل لخارطة الطريق وبناء الحداد في الضفة الغربية، كان المصعق الأمريكي هائلاً للتلغاف، رغم أنه توارى وراء الكواليس تماماً، ليشمل العقوبات العسكرية كانت الذريعة الرسمية لفرض الضغوط على بيع إسرائيل لأسلحة للصين، لكن في مناسبات سابقة، كانت الأزمة قد انتهت بمجرد موافقة إسرائيل على إلغاء المصعق، هذه المرة كانت الضغوط غير مصبوغة، واستمرت حتى توقيع اتفاق العيون في نوفمبر ٢٠٠٥.

هذا التحول في الأحداث يبين قصور البروجانجا، المفاهيم الأساسية مثل العدالة والقانون الدولي والتضامن مع القويروين الختص من الخطاب السياسي الصالح، لكنها حاضرة في أدهان الناس، وهذا يبين أن الكفاح المستمر يمكن أن يكون له تأثير، ويمكن أن يؤدي إلى قيام الحكومات بالحداد في بلاد، أقتبس من «خارطة الطريق الذي لا يصل إلى أي مكان».

بدا، مثل هذا الكفاح حينما نجح الشعب الفلسطيني الذي تحمل سنوات من الصعق الوحشي، من خلال روح صمود، وإبائته بأرضه وتحملة وتنظيمه ومقاومته اليومية في إبقاء القضية الفلسطينية حية، وهو الأمر الذي لم تستطع كل الأمم المظلمة القيام به، واصل الشعب كفاحه مع القضية الفلسطينية التي حركات التضامن التي ترسل أعضائها إلى الأراضي المحتلة لتساند الفلسطينيين في كفاحهم داخل وطنهم، أساطدة الجامعة الدين يهوهون عراض المقاطعة ويعرضون أنفسهم للمضايقات اليومية، بصعقة صحيحين شعبان أصروا على تقطيع الحديقة، في مقابل ضغط الضغط المتواطين وجماعات اللوس المؤيدة لإسرائيل، يبدو غالباً أن الكفاح من أجل العدالة لا بد جدوى، لكن ومع ذلك، فقد كان له تأثير على الرأي العام، مما يؤدي بدوره إلى إيجاب الحكومات على اتخاذ رد فعل^(٣).

هذا الكفاح، الذي هو أمنا، ليس خلاصاً للشعب الفلسطيني محسب،

اتفاقيات أوسلو يتولى سعيد القلق على مصير الفلسطينيين فيستكشف بدور أي تكلف - علاقة الشعب الفلسطيني بالحكومة الإسرائيلية وحياته تحت حكم السلطة الفلسطينية. يجمع اتفاقيات أوسلو تحت المجرم مشددا على أن الفلسطينيين استسلموا لإسرائيل وكذا السلطة الفلسطينية وعرفت لا محل للسلا، على حد قوله، بدون مساواة أو احترام، وعليه فهو يبحث الفلسطينيين على مقاومة السلطات الإسرائيلية بمظاهرات مجردة من العنف ويتألف جمعيات ديمقراطية موسمية التعاضد سلمياً مع إسرائيل. ويبن مصحات الكتاب لا يكت سعيد عن دور المكون في الخطأ السياسي والوولوكوست وكذلك النمو السياسي لانه ويدع. إن نهاية عملية السلام تحليل مفصّل - يأتي لعق إلى خط حزبي - لتعقيدات سياسات الشرق الأوسط وعماقتها الفاسية.

4

Power, Politics, and Culture (2001)
السلطة والسياسة والثقافة
Pantheon, 2001, 512PP, \$9.27



أنا آخر مفكر يهودي... التابع الحقيقي الوحيد لأورنو، دعى أصوغ المسألة على النحو التالي، أنا فلسطيني يهودي، يجاهد سعيد بلسان مستنقز في إحدى مقابلاته لحريرة هاريتس عام ٢٠٠٠ مؤكدا أنه لا يقبل تصنيعه ضمن أية قوائم فكرية. إن هذه الحوارات - الممتدة زهاء خمسة وعشرين عاماً - تتتبع وجهات نظر سعيد العميقة وصراحة لم يعد عنها قلب بشأن سياسة الشرق الأوسط، يتعلّق الجزء الأول من الكتاب بالثقافة الأدبية والنظرية الثقافية فيتحلى للقارئ استمداد سعيد للتشكيك خارج إطار الحاحية، فهو مثلاً لا يخاف، باعتباره مؤمناً بالجمع بين العمل الأكاديمي والنشاط السياسي، انتقاد الكارميين الأكاديميين لفصلهم في دمج الطريقتين بالتطبيق لتتحور مقالات الجزء الثاني حول محاولة سعيد العثور على تطبيقات عملية لأفكاره السياسية وأ سيما في الشرق الأوسط، علاوة على أنه يتحدث عن صدام حسين والحركة القومية وحياة سلمان رشدي السرية والموسيقى الكلاسيكية إن السلطة والسياسة والثقافة نظرة موجزة إلى أفكار سعيد وأعماله.

3

From Oslo to Iraq and the Road Map
(2003)
(من أوسلو إلى العراق وخارطة الطريق)
Pantheon, 2004, 352PP, \$25.95



قبل ثلاث سنوات من وفاته عام ٢٠٠٣، راقب سعيد بمنتهى السخط بعض أشدّ الصحف الجهادية في التاريخ المأساوي لصراع الشرق الأوسط. إن الخلافات المصغرة هنا سخره الأخيرة مكسورة الفؤاد يفتق فيها سعيد آيات الاحتقار على أرييل شارون، التيشايفي، غير أنه يذخر إزدراء لا بأس به، فلحكم الخبر، ليسار عرفات، يتفق البعض مع سعيد في دعواته الفلسطينية والإسرائيليين إلى الاتحاد ضمن دولة واحدة ذات قوميتين مختلفتين بيد أن نقده تتوجه أوسلو إلى حل يتضمن دولتين صال الأ شبه بالعلم بالتبني. يشجب سعيد الانحيازات وتضع الفلسطينيين بدلا منها بالانتماء بالسمو الأخلاقي، وتشديد مجتمع مدني مستنقز لكنه يصر على أن الاحتلال الإسرائيلي والمستوطنات وعمليات الانتقام من الفلسطينيين لاصطاع بالمسؤولية الأولى عن استمرارية النزاع يستولى القلق على سعيد من سيطرة إسرائيل على السياسة الأمريكية، هذه الحادي عشر من سبتمبر، لكن فيما يتعلق بالعراق لا يتحيز سعيد - المعارض لحكم مدني وسياسته القسوت والغزو الأمريكي - بديلا. ومع ذلك فإن هذه المقالات تذكره بما فقدناه: متحدثاً نليها مقعها بالاعاطفة بلسان التقدميين في العالم العربي

5

في العالم، ومنذ البداية، انضم الإسرائيليون إليهم في هذا الكفاح. إنها تشهد في السنوات الثلاث الماضية، رزنا لأول مرة في تاريخ الاحتلال، كفاحاً شعبياً إسرائيلياً/فلسطينياً مشتركاً بحق. لقد كنت هناك. كنت في قرية مسحة منذ الأيام الأولى للمقاومة الشعبية، وكنت في بلعين. لكن أصبح من المستحيل بالنسبة لي أن اتحمل ذلك، هو حشية الجيش تقوم قدراتي الجسدية - فهو يصرونك، ويلقون عليك بقنابل الغاز المسيل للدموع، ويصيبون القنابل اليدوية الصاعدة على جسمك، أو يصوبون الرصاصات المطاطية على عينيك، لا أدري كيف يستطيع الفلسطينيون الناشطون في العسريات من معمرهم تحمل هذا الأسبوع تلو الأسبوع، لكني لا أمك القدر الكافي من الضياء لأكون قادرة على القيام بالشئ نفسه. عندما أرحل، فسوف أتترك هذا الكفاح أيضاً، لكنني اتعهد لرفاقي في إسرائيل/فلسطين بأنني سأواصل الكفاح من الخارج. لأن الطريق الذي شارك مناديل وسعيد في تهديده - طريق الكفاح السياسي الدولي والسلمي - لا يزال قائماً، ويمكن أن يؤدي بنا إلى النصر.

شواحيش

- (١) إسرائيل فلسطين، المقدمة، ص ٨-٧.
- (٢) إدوارد سعيد، البديل الوحيد، الأهرام ويكلي على الإنترنت، ٧ مارس ٢٠٠١، وعدد رقم ٥٣٣.
- (٣) اعيد مشره في كتاب إدوارد سعيد، من أوسلو إلى العراق وخارطة الطريق، نيويورك، دار كتب سبنتون، ٢٠٠١، ودار كتب فيشتيغ ٢٠٠٥ (الطبعات ٤٨-٥١ من طبعة دار كتب فيشتيغ).
- (٤) المرجع السابق.
- (٥) إدوارد سعيد، "جهد فلسطين"، عيد طيده في العمل العائلي عشر من كتابه سياسة نزع الملكية، (ديوبورن) دار كتب فيشتيغ، ١٩٩٤، ١٨٤.
- (٦) وعرضي لثقل عرجاً موجزاً وسلاماً لقرارات الدولة.
- (٧) انظر، إسرائيل/فلسطين، الفصل الثاني (الطرق) على سبيل المثال إميرة على إسرائيل، تموز عود الأولين عن بقية الضفة الغربية، هاريس ١٢ فبراير ٢٠٠٢.
- (٨) ميرون زابوروت، ميهجت أوفوتوت، ٢٢ مايو ٢٠٠٣ أكيدا زابوروت، هاريس، ١٢ فبراير ٢٠٠٤.
- (٩) جيمي كارتر، مقابلة الأبرياء، حزيمة انتر فيريال هيرالد تريبيون، ٢١ مايو ٢٠٠٦.
- (١٠) عيسى هاريل، قوت الدفاع الإسرائيلي، صوريون القسم، الانكماش، هاريس ١٢ أبريل ٢٠٠٦، اموس هاريل وأريون، تريبيون، قوت الدفاع الإسرائيلي، حملي في طريقها لتجسيم صوريون القسم، هاريس ١٠ أبريل ٢٠٠٦.
- (١١) كاتيا زابوروت، خارطة الشرق الذي لا يصل إلى أي مكان، إسرائيل فلسطين منذ عام ٢٠٠٣، فيرسو، لندن، ديوبورن، ٢٠٠٦، ص ١٢١.

فإنهم السجون هو الذي تقيمه إسرائيل سجن للإسرائيليين أيضاً، تجعل هذه الدولة الصغيرة المكونة من ٧ ملايين نسمة، ٥,٥ مليون منهم من اليهود، من نفسها عدوا للعالم العربي ككل، وأن، للعالم الإسلامي بأسره، مثل هذه الدولة لا تملك أي ضمان للبقاء على المدى البعيد لها، فإن إغدا الفلسطينيين أيضاً إغدا لإسرائيل.



أوه أن أختتم كلامي ببضع كلمات شخصية، في الأشهر القليلة الماضية، هرت أفضى لا أستطيع الاستمرار في العيش في إسرائيل في ظل الظروف الراهنة، كنت دائماً أتساءل عن الخط الفاصل الذي سيجعل من بقائي أمراً غير أخلاقي ومستحيلاً دون أن أكون شريكاً في الجريمة - بالنسبة لي، لقد تم تجاوز هذا الخط الفاصل في هذا الصيف.

هذا قرار مؤلم بالنسبة لي، لأنني أحب هذا البلد - الذي ولدت فيه، أحب مناظره الطبيعية - مشاهد طموشي الجميلة - نسيم المساء، البحر، لحظات الغروب، أحب الناس (على العكس من قاداتهم) والعبرية هي اللغة الوحيدة التي أعرفها حق المعرفة. لكن أتصور أنني سأضطر إلى الرحيل عنه، فظننت أنني سأفرض حياتي كلها في الكفاح في هذا البلد، ولكن الآن، أنا ذاهبة إلى المنفى، مثل سعيد، هذا منفي اختياري - لذا فهو شديد الاختلاف عن المنفى الفلسطيني ولأنه عمل نابع عن احتياض فإن أكتبة مني يتألم أيضاً لخيانة لرفاقي في الكفاح، فإن جانب إسرائيلي الاحتلال، وإلى جانب كل الأهوال التي وصفتها هنا هناك إسرائيل/فلسطين تتشكل هناك في السنوات القليلة الماضية.

هناك شعور غير قابل من الإسرائيليين الذين يتأصلون يومياً ضد هذه الفظاظ، ويقومون غالباً بما يبدو أنه طرق شديد بإصرار وعناد على أبواب أسوار السجن، تحديداً، هناك شكل واحد من أشكال الكفاح التي تطورت، وهو شكل رائع جديد من أشكال الكفاح، السكان الفلسطينيون على طول خطوط الجدار مضمعون على عدم انتظار وقوع النكبة الثالثة، بل سيقومون هناك، على أديمهم، أمام الجرافات والحش الإسرائيلية في مقاومة سلمية، لا يذكولون من سلاح سوى جماعة أولئك الذين إيطوا وأحد من أكثر الآلات العسكرية وحشية

تتمتع وجهات نظر، بتعريف قرائها بجديد المكتبة العربية والعالية، وتشكر الناشرون والكتاب والمؤلفين الذين يساعدها في ذلك، وتدعو قراءها لإرسال مراجعاتهم النقدية لما يرونه من إصدارات. ٥٥

كشف الألقعة عن نظريات التنمية الاقتصادية

خلال أمين
القاهرة دار الشرق، ٢٠٠٧ ٥٠٠ صفحة



الهدف الأساسي من عملية شرح الألقعة التي يقوم بها المؤلف، هو الكشف عن أن كثيرًا مما يقدم لنا بوصفه علمًا في الاقتصاد، هو أقرب إلى الخدش أو الابدولوجية، وأن كثيرًا مما يعرض للصمغور بوصفه نظريات علمية في موضوع التنمية الاقتصادية، ليس سوى ألقعة تكتسب وراءها الوجوه الحقيقية، أي المصالح والأهواء والتخريفات

ومنذ البداية يطرح المؤلف عدة أمثلة لموضوعة اقتصادية اختلعت حولها آراء الاقتصاديين بشكل جدي من فترة زمنية متأخرة، منها مثلاً موضوع الثمن، الذي أخضعه البعض لحجم ما يبدل في تصنيع السلعة من جهد، فيما رده الآخرون لمعاد ما تحققة السلعة من منفعة، ورده فريق ثالث إلى قانون العرض والطلب، وفيه يتصلق بالتنمية على سبيل المثال، كان هناك اعتقاد في الكتابات الاقتصادية التي سادت في الخمسينيات والستينيات من قبل مؤسسات دولية مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، أن للدولة دوراً مهماً في دفع عجلة التنمية في الدول المتخلفة اقتصادياً، وأعطت هذه الكتابات مقديراً مثيراً لصدمة التخطيط، بما فيها التخطيط الشامل، أما الآن، فإن هذا الدور للدولة صار مدموماً كلياً، كما أن زيادة متوسط الدخل، كهدف أساسي لعملية التنمية، تعرض لنقد جارح، وبدأت عملية إعادة الاعتبار لمكره إعادة توزيع الدخل بعد قرن من النمو السريع الذي لم يحقق نجساً ملحوظاً في أحوال الفقراء، ثم يلاحظ المؤلف أن هدف زيادة معدل النمو في متوسط الدخل قد عاد من جديد لاحتلال مركز الصدارة في ربع القرن الأخير، كما أن فكرة التسلط، التي سبقت شعيرات النمو إلى أصحاب لدخل المنحصصة، قد أعيد إليها الاعتبار في الآخرة إلى نصيبه مختلفه، فالتنافس الآن أنه لا شيء أفضل للفقراء من الزيادة السريعة في متوسط الدخل للدولة ككل، عن طريق زيادة معدلات الاستثمار الوطني والاجابي، وإن نصبح الحال لتقسيع الخاص قسم

استطاعت، وأن تركه يعمل دون قيود أو مصابيح

وفي التسمية الاقتصادية الهادفة إلى زيادة متوسطات الدخل، التي التسمية البترة التي شاعت في التسعينيات تدل على التنمية الهادفة إلى إشباع الحاجات الأساسية وحل فقر العمل، والتي تتضمن إطالة العمر المتوقع للإنسان وبشر التعليم، إلى تنمية أساسية تصنع محالاً واسع لتكمين الحياة هذه النظريات كلها ليست سوى ألقعة تتجسج وراءها مصالح وأهواء دول وجماعات كثيرة وهو

تتمتع وجهات نظر، بتعريف قرائها بجديد المكتبة العربية والعالية، وتشكر الناشرون والكتاب والمؤلفين الذين يساعدها في ذلك، وتدعو قراءها لإرسال مراجعاتهم النقدية لما يرونه من إصدارات. ٥٥

الهدف الأساسي من عملية شرح الألقعة التي يقوم بها المؤلف، هو الكشف عن أن كثيرًا مما يقدم لنا بوصفه علمًا في الاقتصاد، هو أقرب إلى الخدش أو الابدولوجية، وأن كثيرًا مما يعرض للصمغور بوصفه نظريات علمية في موضوع التنمية الاقتصادية، ليس سوى ألقعة تكتسب وراءها الوجوه الحقيقية، أي المصالح والأهواء والتخريفات

حناجر وحناجر

عماد على حسن
القاهرة دار الشرق، ٢٠٠٧ ٢٠٠ صفحة



يضم الكتاب عددا من الدراسات وجد المؤلف أن يسمها صلة قريبي، فيتناول الفصل الأول رحلة المصريين من تالبيه الحاكم إلى تكفيره، والذور الذي لعبه الدين في هذا المضمار، إن هذا الفصل يركز بشكل أساسي على دور الدين في الكون الثقافي المصري وخصوصاً في شفه السياسي، حيث تفتتح فركات الإحياء الدين الولي الإصلاحية للإمام محمد عبيد الشيع رشيد رضا، إلى حركة سياسية على يد الإمام حسن البنا تأسيس جماعه الإخوان المسلمين في عام ١٩٢٨، وقد فط الحكام لأهمية الدين في هذه المسألة فحاجوا بدورهم إلى استخدامه كسب شرعية يفتقدونها، أو لتبرير سياسيات يقدمون عليها ولا تحظى بمولد محسوف

وفي الفصل الثاني حمل المؤلف عنوانه من القاهرة إلى تونس، ويتألف الطريق المصري إلى تنظيم القاعدة، ورحلة شعيرات النمو إلى أصحاب لدخل المنحصصة، قد أعيد إليها الاعتبار في الآخرة إلى نصيبه مختلفه، فالتنافس الآن أنه لا شيء أفضل للفقراء من الزيادة السريعة في متوسط الدخل للدولة ككل، عن طريق زيادة معدلات الاستثمار الوطني والاجابي، وإن نصبح الحال لتقسيع الخاص قسم

وبلاها بعملًا نشطًا لتفريخ الفكر والتعامل بين الأفكار، وكيف فواعد الترقى والتدخلات الأمنية في الحاحمه في هساد المنظومة التعليمية نورستها والمنظومة العقلية الباقية ويرصد في الفصل الرابع حركات الاحتجاج السياسي وكيفية تعاملها الدولة معها بوصفها حركات تفرج خارجة عن الأطر الشرعية، ضارياً المثل بنموذج حركة كفاية، التي تضم اشقاتا من القوى السياسية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار

الهدف الأساسي من عملية شرح الألقعة التي يقوم بها المؤلف، هو الكشف عن أن كثيرًا مما يقدم لنا بوصفه علمًا في الاقتصاد، هو أقرب إلى الخدش أو الابدولوجية، وأن كثيرًا مما يعرض للصمغور بوصفه نظريات علمية في موضوع التنمية الاقتصادية، ليس سوى ألقعة تكتسب وراءها الوجوه الحقيقية، أي المصالح والأهواء والتخريفات

الهدف الأساسي من عملية شرح الألقعة التي يقوم بها المؤلف، هو الكشف عن أن كثيرًا مما يقدم لنا بوصفه علمًا في الاقتصاد، هو أقرب إلى الخدش أو الابدولوجية، وأن كثيرًا مما يعرض للصمغور بوصفه نظريات علمية في موضوع التنمية الاقتصادية، ليس سوى ألقعة تكتسب وراءها الوجوه الحقيقية، أي المصالح والأهواء والتخريفات

حناجر وحناجر

عماد على حسن
القاهرة دار سطر، ٢٠٠٧ ١٨٧ صفحة



يعرض هذا الكتاب المهم العديد من الأفكار التي نادى بها المهاتما غاندي، الرجل الذي تحدى بأسلوبه في المقاومة السلبية الإمبراطورية إلى أن تعيد منها الشخص، والتكاثر عبارة عن محاولة بين قارئ مفترض وغاندي نفسه، الذي يقول في مقدمة الكتاب إن هذه المحاورات حقيقية، جرت بينه وبين أشخاص حقيقيين يرمز لهم بكلمة الغارئ يسأل القارئ غاندي مثلاً عما إذا كان شكل الحكم البريطاني لا يسي العارض المطلوب في حالة تحقيق الديمقراطية لاستقلالها، ولا يستحق التقليد، فيجيبه وتكرية المثل للئيس من خلال الأفضية، التي سمعت للحدس والتخمين دولما منهج علمي واضح، وتعتمد الدراسة على نمص مختارة من الفكر الغربي يرجع بعضها لأكثر من قرنين من الزمان، وعلى ذلك تتجارب ما تبادي به بعض نظريات المفكرين في تحديد المعامل المترائية بأنه ذلك الجهد الذي مضى عليه أكثر من تسعينات مسوعة مرئية ومقابلات مع حفاظ ووفاء لهذا التراث، وتقدم عدداً من اعلام الرئيس من أمثال على الشعاية ومحمد الشيع ومومدين وجوب البكوش والشريف المالح

الهدف الأساسي من عملية شرح الألقعة التي يقوم بها المؤلف، هو الكشف عن أن كثيرًا مما يقدم لنا بوصفه علمًا في الاقتصاد، هو أقرب إلى الخدش أو الابدولوجية، وأن كثيرًا مما يعرض للصمغور بوصفه نظريات علمية في موضوع التنمية الاقتصادية، ليس سوى ألقعة تكتسب وراءها الوجوه الحقيقية، أي المصالح والأهواء والتخريفات

حناجر كجده إما في حصاره شيطاني، والتعاليم الهندوسية تسميها العصر الأسود المظلم

وحين يسأله ما رايك في التناظر العريز القائم بين الهندوس والمسلمين، يرد غاندي: هذا التعبير من وضع عدونا المشترك، لقد أدهرت حياة الهندوس في ظل حكم المسلمين والعكس بالعكس واعترف كل طائفة بأن القتال معناه الانتحار، ولذلك قرر الجميع أن يعيشوا معاً بسلام، ولم يكر صعو هذا السلام إلا مجرة الانجليز

ويصعب، هل في استطاعتنا أن ننس ما نكثير من الهندوس والمسلمين أجداداً مشتركين، ويان دما واحدة تحرى في عروقهم، وهل يصعب إنشاء أفساء منجور أن يغيروا دينهم، إن الأديان ما هي إلا وسائل تقودنا لطريق متعددة إلى نقطة واحدة، إلى الله

فكنا تحدث غاندي في محاوراته

مدخل إلى المقام الليبي
السويس محمد
القاهرة: لندن المركز العربي الدولي للإعلام، ٢٠٠٧ ٦٧ صفحة

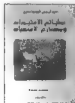


تجمع هذه الدراسة الشعر الشعبي الليبي المثني وتخدمه للمعص، وتصف اواراته في إطار ما تسميه «المقام»، وتثبته كقياس في أوزان شعر الأفضية الشعبية اللبية، وهدف الدراسة هو تحديد معالم وتكرية المثل للئيس من خلال الأفضية، التي سمعت للحدس والتخمين دولما منهج علمي واضح، وتعتمد الدراسة على نمص مختارة من الفكر الغربي يرجع بعضها لأكثر من قرنين من الزمان، وعلى ذلك تتجارب ما تبادي به بعض نظريات المفكرين في تحديد المعامل المترائية بأنه ذلك الجهد الذي مضى عليه أكثر من تسعينات مسوعة مرئية ومقابلات مع حفاظ ووفاء لهذا التراث، وتقدم عدداً من اعلام الرئيس من أمثال على الشعاية ومحمد الشيع ومومدين وجوب البكوش والشريف المالح

الهدف الأساسي من عملية شرح الألقعة التي يقوم بها المؤلف، هو الكشف عن أن كثيرًا مما يقدم لنا بوصفه علمًا في الاقتصاد، هو أقرب إلى الخدش أو الابدولوجية، وأن كثيرًا مما يعرض للصمغور بوصفه نظريات علمية في موضوع التنمية الاقتصادية، ليس سوى ألقعة تكتسب وراءها الوجوه الحقيقية، أي المصالح والأهواء والتخريفات

عصابة، تمكنوا جميعاً من الهرب من الليمان ثم قص عليهم بعدها بفترة وجيزة، ثم بقاؤه في انتظار الحكم عليه بالإعدام أو بالاعلـال تشافقة المؤبد. أما المرة الوحيدة التي نكى فيها عريان يوسف سعدة خل اليمان، فكانت حين قال له ملاحظ السجـ: يا صاحب، يقول عريان لند و يا هيت ألوت اعلى من هوباء السمسات المصوبة إلى راسي، ثم حكم على بالأشمال الشافقة عشرة أعواد، ووضع الحندين في رجلي، وكل ذلك لم يثر في نفس شعور الـم ولم يبعث دمعاً واحدة من عيني، ولكن تلك الكلمة التي قالها الملاحظ أثارت في نفسي ألم شديداً، هاق كل ما أثارت التشاغل في نفسي من الـم هذا هو عريان يوسف سعدة الشاب الوطنى صاحب المذكرات

طبائع الاستبداد ومصارع الاستبداد
عبد الرحمن الكواكبي
القاهرة: دار الشروق ٢٠٠٧ ١١١ صفحة



يعد عبد الرحمن الكواكبي (١٨٤٨ - ١٩٠٢) المولود في مدينة حلب، أحد المصلحين الاجتماعيين والسياسيين الأوائل، وبسبب نزعته الإصلاحية، وخصوصاً ضد الاستبداد السياسي الذي راسه أصل كل فساد، سحر وتعرض لتشديد العلمى، وازداه في مقاومة الاستبداد تجمع بين الدين السياسي وأهم وأهم ما هو الاستبداد السياسي ودوافعه، هو التشويع الاستبدادية فقد قال أيضاً إن تراكم التراتب المصرية مؤلف للاستبداد ومصر ما خلقت الأفراد وكذا فإن بى تعرفت علم السياسة، علم إدارة الشؤون المشتركة مقتضى الحكمة، فإن الاستبداد كما عرفه الكواكبي هو: التصرف فى الشؤون المشتركة بمقتضى النهوى، كما أشد مراتب الاستبداد، هى حكومة العمد المطلق، والى التراتب، القائد لجيش، الحاكم على سلطة دينية، وأما استبداد فإنه يود أن تكون رعيته كائنه مرداً وناعة، وكالكاتب تدلل وتلفاً، والى التراتب، فإن تكون كالكاتب إن خدم حكمت، وإن صوتت شربت، وهكذا، فإن الاستبداد يحمل العريز والى على يولى عمن، عند، إن فرض العيش على جميع الاستبداد، ويحمل التراتب صفاتاً مديونية لقوم لا يحسنه إلا انصاع العظم والهاية، هو يرى أن الاستبداد هو بد الله القوية الحمية يصنع بها رفاق الأنبيى من جنه

عبيدية إلى أجل جهنم عبيدية المستبدين الذين قد يتشكروا الله على عظمته ويمادونه جواراً، والاستبداد هو نار غضب الله فى الدنيا، والجحيم نار غضبه فى الآخرة، والاستبداد هو أعظم بلاء يصيب الله له الانتقام من عباده المخلصين ولا يرفعه عنهم حتى يتوبوا لربوبته الألفه، كما أن المستبدين يتولاهم مستبد، وأما الأحرار هيتولاهم أحرار، وهذا صريح معنى، كما تكونوا بولى عليكم ولم يتوقف الكواكبي على حديثه عن الاستبداد عند حدود الاستبداد السياسي، إنما تحدث عن العلاقة بين الاستبداد وأمر أخرى كثيرة، الدين والعلم والمال والجدد والأخلاق والتربية والعيشة، وبعد أن يفصل الخلاف بين الاستبداد وكل هذه الأمور يقدم ثلاث قواعد أساسية لمقاومة الاستبداد، هى: أولاً أن الأمة التي لا ينهر كلها أو أكثرها بالآدم الاستبداد لا تستحق الحرية، ثانياً، الاستبداد لا يقاوم بالشدته إنما يقاوم باللين والترح، ثالثاً، يجب قبل مقاومة الاستبداد تهيئة ماد يستبدل به الاستبداد.

جماليات الشعر العربي
دراسة فى فلسفة الجمال فى الوعى الشعرى الخاى
هلال الجهاد
بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ١٢٢ صفحة



تمثل هذه الدراسة خطوة أولى لكن أساسية وضرورية من أجل أن يكون التفكير فى الجمال وممارسته هماً مصورياً للعرى المعاصر، وأن يكون الجمال ركناً أساسياً فى الرؤية العربية المعاصرة للعالم بما فى نظام للحسنى مؤطراً بالقوية. لقد فكرنا كثيراً فى الوجود والمصر، وفى المعرفة والتقدم والحدائق، لكننا لم نذكر فى القيمة التى هو هنا كانت رؤية العرى المعاصر لداته والعالم تكتفى من التشوش الذى كان من أهم نتاجه هذه الانتكاسات المتواصلة. إن القيمة تصبغ تمالى العايات

وتسبغ على وسائل، وهذه هى التوصية الأولى والأخيرة لهذه الدراسة، إنها دعوة لأن نبحت عن القيمة فى وقتنا، مسيح أن تأثير الخراب يتكثف عالمنا، لكن لا سيبل لوفه لا ما جالما الذى سيكون مصيرنا الوحيد إلى الإنسان العربى الذى يكس فينا، وهو يكافح من أجل حرية بما فى قيمة كل القيم.

المسألة القبطية والتشريعة والصحة الإسلامية
أبوالملا مصطفى
القاهرة: سفير الدولية للنشر، ٢٠٠٧، ٢١٠ صفحة



عناوين الكتاب ثلاث قضايا شائكة ربما كان أكثرها حساسة وحساسة المسألة القبطية، وهى المسألة التي تستمد الغاش العام فى مصر منذ عقد على الأقل، وقد كان معتاداً أن يثار الخلاف حولها بين الإسلاميين والعلمانيين، إذ كان الآخرون يرفضون اسمة الدولة ضاً منهم إلى هذه المسألة تنقص من مواطنية الأقباط، وتجوز على حقوقهم، ومنذ عقد على الأقل، دخل الأقباط بالفهم طرفاً فى هذا الجدل، من خلال الأقباط المهجر أولاً ثم الأقباط الداخل فيما بعد. وقبل استعراضه لواقف الأطراف المختلفة من المسألة القبطية، يقدم المؤلف عرضاً تاريخياً لمحاولات البحث بالمفلس الشيعة منذ الحقبة العرسية على مصر فى عام ١٩٢٨، وقصة الملم يعقوب الذى شكل جيشاً مسلحة الفرنسيين منذ ٢٠٠٠ قبض، وتشبى به الأعرس منوماً فى الجامعة المصرية كلها بمسلميهها وأقباطها، ليؤمن وحيداً فى عرض البحر، وحتى مؤلفه الأقباط المهجر الذى عقد قبل عامين، مروراً بالأمم القبطى الذى عقد فى أسبوط عام ١٩١١، والذى رد عليه الوطنيين المصريين بالأمم المصرى الذى أدول من نفس العام، ثم إعلان دستور ١٩٢٣ الذى ساول بى جميع أبناء الأمة على خلية المواطنة، وفار ثورة ١٩١٩ الخالد، الذين له والوطن للجمع وتلاخذه الحلف، وقد نعتهم وكفى مؤسس حزب الوسط، تمت التأسيس، أن المسألة القبطية توارت عن قيام ثورة يوليو ١٩٥٢، لتبجث الثورة فى جذب الجميع لصالح مشروعها السياسى الاجتماعى المفاضى للاستعمار والراسالية العالمية، وقد عانت المسألة القبطية لظهور من جديد مع ثولى

الرئيس السادات وسعيه للاستقواء بالإسلاميين فى مواجهة اليساريين والناصريين والقوميين خصوصاً فى الجامعة، واستمررت المسألة القبطية فى التصاعد فى مرحلة الرئيس مبارك، وتقدمت حوارات الحكومات المسحة الطائفية، وتراجعت المشاركة القبطية فى الشان العام.

إلى جانب هذا الملف الشائك، يناقش المؤلف قضية التشريعة وتطبيقها، وينحاز فى السجال كله إلى فكرة الدولة المدنية، رافضاً الدولة الدينية، وإلى فكرة المواطنة بعيداً عن الطائفية، وإلى التعددية والديمقراطية والفصل بين السلطات، أى شكل الحكم كما تعرفه النظم السياسية الحديثة بعيداً عن الشكل الذى كانت عليه دولة الخلافة الأولى.

صفحات من الأدب التركي
زينب أويسه
القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٧، ٢٥٥ صفحة



يتضمن الكتاب عدة دراسات فى الأدب التركى الحديث والمعاصر، فى المسرح والشعر والقصة والرواية، وهى تشير إلى الفصل الخاص بالصرح على سبيل المثال إلى تطور فى المسرح فى تركيا، إذ كانت لتقبلات التركية التي هاجرت من آسيا إلى الأناضول فنون شعبية من المسرح، كما كان للسلطنة والعشائير مساهمهم، وتتابع تطور فنون المسرح حتى بدايات تجريبه فى ١٨٣٩، إلى تحول المسرح التركى إلى مسرح أوروبى الطابع، على الأداة كما فى الديكور وغيره، وهى تأسيس الجمهورية التركية، فظهر اهتمام كبير بالمسرح التى تدعمها الدولة، واقتنحت بيوت الشعب ومسرح ذات طابع قومى، ويمكن اعتبار فترة الخمسينيات فترة الولاية العسكرية الكبرى، والتي سبقت فترة انهيار المسرح التركى فى الستينيات، والتي شهدت تأسيس مسارح للثورة وبرزت البعد الاحتجاجى فى الكتابة للمسرح، وكذلك العودة إلى بعض موضوعات التراث الدنى وغيره، وهى المرحلة التى مازالت مستمرة حتى اليوم.

وتشير به فصل تالى إلى فكرة تيسيط اللغة التى اصطلح بها عدد من الأدباء الأتراك المعاصرين، على رأسهم شتاش وحسين مجاهد، وأحمد حكمت والشاعر القومى أحمد أمين والشاعر رضا توفيق ثم جماعة الأدب الجديد، وإن كان هذا

المنظمات التي أنشأوها من نوع اتحاد
أنصار السلام والمحاولون وإيسكرا وتحرير
الشعب وغيره.

المؤلف لا يقدم تاريخاً للحركة الشيوعية أو منظمة حديثو، بقدر ما يقدم سردية إنسانية، لا تخلو من التعاطف ومن الشهادات الحية والتفاصيل الصغيرة، التي صنعت برأيه هذه الملحمة المسماة حديثو.

العلاقات المصرية الإيرانية

القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٧، ٢٢٢ صفحة

[illegible]

مواقف يوسف المبحاوي من أدبه، بين القومي والإنساني، أديب الحياة.

حدثو.. سيرة ذاتية لمنظمة شيوعية

محمود الورداني
القاهرة: دار الهلال، ٢٠٠٧، ٥١٥ صفحة



الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (ح.د.ت) هي أكبر التنظيمات السياسية التي ظهرت أثناء الثورة، نشأت في ١٩٤٧، التي سيطرتها عدة تنظيمات يسارية أخرى، بل هي بصرح قريب من ربيع رامي سوى تأسيسها في ١٩٤٣، وأصبح خلالها والنشطاء على غاية، أغلب الثمن العديد من هذه التنظيمات، التي انقلب فريق من مؤسسيها على فريق آخر، وأصبح قيادة بعض الضممين إلى هذه التنظيمات الأصحاب، وتقدمهم كمعلمة للآخرين، وحدهم كانت المنظمة الأكبر عددًا، والأكثر تأثيرًا، خصوصًا في الأساطير المعالية، وكثير من النشطاءات التي جرت في الحركة اليسارية خرجت أساسًا من معطفها، وهي انضمت إلى جانب التنظيمات السياسية والنشطاء بالشأن العام إلى صفه مباشرة، أبناء وقائليهم، كما صمدت ناحية من أبناء الاسترقاقية المصرية، وهي وزراء وشيوخ، وسلاحات إلى الخلف، بل يتوقف عند حدوة فحسب، بل يسبقها بالتأثير التنظيمات الأخرى عمود سراً، كما على إشغاله جانب وميلهم مصريون، من اتصال جازيروي كروب وممارسلي إسرائيل أجورين وأولول وكوريلين، ولعب هؤلاء أدور مهمًا في تأسيس ما يسميه الخلف الحلقة الثانية التنظيم.

وضمت التنظيمات الشيوعية في ذلك الوقت عدداً كبيراً من الأسماء التي صارت نجوموا في مجالاتها فيما بعد، منهم المخرج الكبير صلاح أبو سيف والمخرج حلمي حليم والسينمائي سعد نديم، إلى جانب مجموعة الفن والحرية التي ضمت جورج حنين وأنور كامل وأرميس يونان وكامل النمساني وفؤاد كرم وغيرهم.

ويشير المؤلف إلى أن ارتباط الحركة الشيوعية بالأجانب واليهود في بدايتها كان له ما يبرره، إذ كانت مصر تحت الاحتلال البريطاني منذ عام ١٨٨٢، وكانت للأجانب حياتهم الخاصة ومجتمعاتهم شبه المغلقة عليهم، كما كانوا متأثرين بالذخيرة اليسارية الحادث في أوروبا عشية الحرب العالمية الأولى، وقد تمثل ذلك في بعض

عاملان أساسيان في تطور المجتمعات والحضارات، هما كيريتيغ بنه في سواحل ستاخية ونيغريتا. كما أن البيئة تلعب دوراً كبيراً في تكون شخصية ساكنيها. وقد اعتبر أن خلدون الاختلافات بين الأمم والشعوب مسألة إيجابية، فالتميز اللغوي والعرفي والديني ضرورة قائمة للعلاقات بين الأمم والشعوب، يذكر أن خلدون هذا وسعيد-دو أن ينقل عن الخصائص التي تميز المجتمعات العربية والإسلامية، فضلاً عن أنه يرى أن الأمر ضروريات من السيادة والتخصيص متوافقة، وقد تأثر به بأنه نظرتهم على كون السلطة مطلقة، وقد اعتبره (أما تاريخياً) حين، وثق العلة، والأسباب والكوونات الثقافية الأساسية التي شعب أوما في الشرق والغرب. وفي هذا الكتاب دراسات تحليلية للسلطة بين خلدون وزاد العلاقات بين الدول الواقعة على المتوسط، وفي دراسات التي تحت عديد من القوانين الأساسية هي: بين خلدون وعصره، وأول الدول، والحرب، واليهودية، والتوسع، التجار والعلم والبضائع، حياة السكان ونهائية السلم والأمن، على المدن، إشبيلية في القرن الرابع عشر.

ويتضمن كتاباً عرضاً للفصول ذات الصلة بعلومه، القيم، وفي الفصول التي تسمى إشبيلية في الفترة من مايو إلى ديسمبر من العام الماضي.

يوسف السباعي فارس الرومانسية

القاهرة: دار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٧،
١٢٦ صفحة



وصف الأديب المصري الراحل يوسف السباعي بأنه فارس الرومانسية، وبإضافة إلى تقديمه المولفة هنا حول شخصية يوسف السباعي وأدبه، أنه كان أيضاً أديباً راقياً، عالج مشكلات وقضايا الوطن في رواياته، وتغلغل في شرايين المجتمع حين يغدق بلطفه على الشاعلة، وإما كانت ورومانسيته المزعومة تلك ستأرق وغلف هذه التالية، وهو ما يتبدى بوضوح في أعماله الصفا صامت، «أرض النفاق»، «يا أمة سيحتك»، «قلب زميريل».

تقدم المؤلفة رؤيتها تلك من خلال خمسة فصول هي: حياة السباعي لشخصية والأدبية، بين الرومانسية الواقعية وهو فصل تدرس فيه القصة الرواية عند السباعي والمادة في أدبه.

لتيار قد لاقى صعوبات وتحديات شديدة من التقليديين الراضين لفكرة تبسيط اللغة.

في دراسة أخرى تقدم لنا صورة
للثقافة في الأدب التركي الحديث من
خلال روايات يعقوب قديمي، التي يبدو
أنه التقطت هو العنصر الذي تميز عليه
سبوتنيك، إلا اجتماعياً وهو القائد في
علمهم وتوجيه الجماهير المتخلفة، وهي
التي عبارة عن كل سائلا طوال الحقبة
العثمانية، وتقدم كذلك دراسة نقدية
سوفلية لثقافة الشاعر سرييف نصيف
الذي لعبوا وتعلم من خلالها إلى عدة
نتاج أهمها، أنه تجسدت تلك الشاعر في
التيهات فكرة النهي الدولة العثمانية،
التي تتفق وأحد من السبوتنيك في الدولة
العثمانية، ولذا بدأ عهده للثقافة العثمانية،
يعبر عن تلك الثقافة تحمل إلى مرتبة
الدعائية، إلا كان مشغولاً بالبطولة، وكثيراً
ما ترددت في العهدة معاني الشار
استخدامه الدائم العثمانية في سبيل ما
يقوم به، وهو نموذج الثقافة المسلم الذي
منه، من الدين، والفكر العثماني

تطالع بعد ذلك دراسة عن واحد من أشهر الأدباء الأتراك المعاصرين هو بشار شيرال الذي رشح مرات عديدة لنيل جائزة بوليتزر عن الأدب، وهو واحد من أكثر من تسعينوا في نقل التاريخ التركي إلى العالمية وترجمت أعماله إلى ما يقرب من أربعين لغة، وهو كاتب عاشر عاشر وأكبر وغيره من الصراعات الاجتماعية في بلاده، كما تخصص دراسة عضوية للأديب التركي الحاصل على جائزة بوليتزر في الأدب في العلوم، أوران بايوك، تقدم دراسة نقدية عن زبديته، جودت بك وأولاده، وأسس زبديته، وهو من أشهر رواة.

بين خلدون.. البحر المتوسط في
لقرن الرابع عشر

الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٧.
١٦١ صفحة



يجمع هذا الكتاب خلاصة أبحاث نحو ٥٠ عالماً، جميعها تدور حول ابن بطون الذي توفي قبل ستماية عام من اليوم في القاهرة، وتركز بشكل أساسي على القرن الرابع عشر ووسطه ولأندلس، وعلاقاتها التي قامت تجارياً وسياسياً وثقافياً، بين الدول الإسلامية الواقعة على شاطئ المتوسط ودول أوروبا التي تقابلها على الضفة الأخرى، ووفقاً لـ... خليفه، فإن الفقه الجغرافي يمثل

الكبرى في مجال المؤلفات التاريخية،
خلال القرن العشرين.

**العمران المصري.. رصد التطورات في
عصران أرض مصر في أواخر القرن
العشرين واستطلاع مساراته
المستقبلية حتى عام ٢٠٢٠**
الباحث الرئيسي د. أيوب ز. راجح
القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ٢٠٠٢



هذا الكتاب يقدم رسماً للعصران
المصري في أواخر القرن العشرين ثم
محاولة استقراء مساراته في عام ٢٠٢٠
في ظل عدة احتمالات لا سوف يكون عليه
النظام العام في مصر في هذا التاريخ.

ولقد أخذ العمران في هذا الكتاب
بمعنى «عمارة الأرض» بكل ما فيه هذه
العمارة الموجزة من تنمية وحضارة ورفقاء
بالحياة بالعمران في حقيقة الأمر قراءة
في جغرافيته المكان، وقرأه في تاريخ
الجمتمع.

ويتكون العمران أفقياً، مكانياً، من
ثلاثة مكونات وهي: البنى والمدن
والجتمعات الجبلية، والبيوت وأسسها
قديمها، من ثلاثة عناصر وهي الإسكان
والمرافق والتشبيد، وتعتبر هذه الألفية
والعناصر الأساسية في تقاطعها شبكة
العمران التي تقطع الحيز المعمور بأكمله،
يشتمل هذا الكتاب على ثمانية
أجزاء، الجزء الأول منها مقدمة في
العمران، الخصوصية المصرية كتمهيد عام
للعمران المصري وتعريف بمكوناته والقوى
المؤثرة في تشكيله وتوجيه مساراته، ثم
يلي ذلك ثلاثة فصول لمكونات العمران
المكانية وهي المدن والتحصن، والقرية
والتنمية الريفية، والمدن والجتمعات
الجبلية، ويلى ذلك ثلاثة أجزاء لعناصر
العمران الخدمية وهي الإسكان والمرافق
العامية، شرايين العمران، والتشبيد، ثم
يأتى الجزء الثامن والأخير لعمارة العمران
الإنسانية والاجتماعية والذي تدرج أن
يجد له مكاناً بجانب الدراسات الجادة
الهامة بمصر الحاضر ومصر المستقبل.

الممارسات الإبداعية والجمالية في الحياة
الشعبية.

والخلاصة التي تقدمها إحدى
الدراسات المهمة في الكتاب تؤكد على
ضرورة أن تكون سوسولوجيا الفن نافذة
للفنات التكوينية لها، وأن تبث الحياة في
الافتراضات النظرية حول مفاهيم الفن
والياتة وأن تخلص في سياقه التاريخي
دون تعصب لاتباع أو آخر، إذ إن الفن
الذي يتخذ شكلاً أو ظاهرة معينة
موضوعاً له، يمكن أن يزودنا بفهم سليم
لروية جماعة من الناس وربما المجتمع
كاه في فترة تاريخية معينة تلك الفكرة
أو الظاهرة، بمعنى أبسط، فإن دراسات
من هذا النوع تفسر لنا، لماذا حفظ
الناس في هذا الزمن أو ذاك هذه
القصيدة عن ظهر قلب، ولماذا كانت
تغضبهم في الأعمال الروائية
والقصصية على هذا النحو، وما هي
طبيعة المواد الثقافية التي يتصلون بها
في أوقات فراغهم، دون أن ينظر إلى هذا
بوصفه تاريخاً للفن حسب، وإنما وهذا
هو الأهم، لتبصير بالعلاقة التي تربطه
بالمجتمع وتحولاته.

عصر الثورة، أوروبا (١٧٨٩ - ١٨٤٨)
إريك هوبزباوم
ترجمة: هاني المصاغ
بيروت: النخلة العربية للترجمة، ٢٠٠٧،
٦٦٩ صفحة



أدت الثورة الفرنسية والثورة
الصناعية إلى تحول العالم بين عامي
١٧٨٩ و١٨٤٨، هذه الثورة المزيجية،
خلقت العالم الحديث كما نعرفه لخصها
إريك هوبزباوم في هذا الكتاب المثير
والمفيد، مع محافظة صارمة على
موضوعية المؤرخ.

لقد تتبع إريك هوبزباوم بوضوح
تحليلي هذا التحول الذي أحدثته، الثورة
المزيجية، في كل نواحي الحياة في أوروبا،
في مجال الحرب والدبلوماسية، وفي
المناطق الصناعية الجديدة، وعلى الأرض،
وسط طبقات الفلاحين والبورجوازية
والأرستقراطية، في أساليب الحكم
والثورة، في العلوم والفلسفة والدين، في
الأداب والفنون.

«عصر الثورة» هذا تبينه، ضمن
إصدارات المنهجية، «عصر إلى حال»،
وعصر الإمبراطورية، حرصاً على عدم
القارئ العربي بتأنيده هوبزباوم الشهيرة
التي يعتبرها المتخصصون أحد الإنجازات

هدف المؤلف من كتابه يتبدى في هذه
الصيغة التي يطبقها في مقدمته،
أرجلوا عن العراق.

يتألف الكتاب من أربعة فصول،
العراق تاريخياً، العراق بعثياً، العراق
الحديث، ثم العروبة وتحديد مستقبل
العراق، وهو يدعو، ويدعو الدول العربية
إلى رفض مجلس الحكم الانتقالي الذي
يعتبره غير شرعي، ويرى أن اعتراف
بعض الدول العربية بهذا المجلس لا
يستند إلى أي شرعية قانونية، ويتأفف
ميثاق جامعة الدول العربية، الذي ينص
على استقلال الدولة العضو ويرفض
وجود دولة محنة في عضوية الجامعة
العربية.

الكتاب إلى ذلك، يتتبع مسيرة العراق
وتاريخه وثوراته وتطوره السياسي وموقفه
من صديد من الأعداء الإقليمية والدولية
مثل الحزبين العائليين وحرب فلسطين،
وعلاقاته بدول الجوار، كما يتابع المؤامرة
الأمريكية على العراق، والصراع بين
العراق وإيران، والأطماع في نفد العراق،
ثم حرب الخليج الأولى والثانية، وفي هذا
الاطار، يقدم عدداً وافراً من الوثائق
والقرارات الدولية التي تؤكد استقلالية
العراق وعدم شرعية العدوان عليه، هي
القرارات التي استنكرتها الولايات المتحدة
الأمريكية وحلفائها في أبشع صورة، ثم
يقدم رؤية للمرحلة الانتقالية التي
يعيشها العراق تحت الاحتلال.

سوسولوجيا الفن
مجموعة من الباحثين
الكويت: عالم المعرفة، ٢٠٠٧، ٢٣٥ صفحة



يبحث هذا الكتاب في الإضافات التي
يمكن أن تبنيها علم الاجتماع على فهمنا
للفن في المجتمع المعاصر، في الفن
التشكيلي والموسيقى والسينما والباليه
وغيرهما من الفنون، وهو إلى ذلك يقدم
دراسات في سوسولوجيا الجمال
والتماتل النقدية والفنون الريفية
والسوق، وهذه الرؤى تقلل التخصصات
الأكاديمية من قيمتها أو تنجحها تماماً،
إلا أن علم الاجتماع استطاع أن يطور
سلسلة من طرق التفكير أدوات التحليل
المفيدة، وأن يكشف عن أسباب التحولات
المؤدية في أساليب الجمالية كانت
منذ قديم الزمن معين من التنظيم
الاجتماعي، وأن التفكير في أساليب
الجمالية مثل في ذاته انعكاساً للتغيرات
في طبيعة العلاقات الاجتماعية، وفي

كلها في مناسبات مختلفة فيما بعد،
وقد استثمر الطرفان هذه العلاقة كل
بطريقته، فقد عملت إيران على استقطاب
مصر في ظل تراجم علاقاتها مع موسكو،
وتحويلها إلى مركز من مراكز منافسة
التبعية في المنطقة، كما عملت مصر
على كسب إيران لصالح القضايا العربية
وخصوصاً قضية فلسطين، وقد مثلت
النشوات من ١٩٧١ وحتى ١٩٧٧ أضخم
تعاون اقتصادي في تاريخ البلدين على
الإطلاق، وبسبب هذه العلاقة أمكن
للبليدين تجاوز نقاط خلاف عديدة نشأت
الذات، أهمها قضية احتلال إيران للجزر
الإيرانية الثلاث، طنب الكبرى، وطنب
الصغرى، وأبو موسى، والثورة التي شاب
العلاقة الإيرانية العربية بوصول
البحرين إلى الحكم في العراق بنقلاب
قاده أحمد حسن البكر في عام ١٩٦٩،
وقد أخذ منحني العلاقات بين
البلدين في التسوية مع قيام ثورة
الخمسين في ١٩٧٩، وإعلانه رفض بلاده
معاودة السلام المصرية، الإسرائيلية
والثقافات كأمب ديتيد، وانضمامه إلى
جبهة القاطنة العربية لمصر، بل وإتقانه
بتكفير الرئيس السادات شخصياً.

وأتت الجفوة انشاعاً باستقبال مصر
الرئيسي لشاه إيران بعد خلع، وإعلانها
رفض احتجاج زعماء أمريكيين من قبل
طلاب إيرانيين في مبنى السفارة
معاودة السلام المصرية، فإن هذه الثورة
للإعراق في حرب طويلة ضد إيران بعد أن
كان الموقف المصري محايداً في بدايات
الحرب، وهو ما مكّن العراق من الصمود
وقلب الموازين لصالحه في بعض قرائنها،
والأسباب الإقليمية ودولية، فإن هذه الثورة
لم يتم دمجها حتى الآن، وعازلة محاولات
التقارب التي يبذلها وسعاً بين البلدين،
ثم توثق تمارها بعد.

الصراع على العراق
عبد الكريم العلوي
القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٧،
٢٢٠ صفحة



دخلت أمريكا العراق برزعم وجود
أسلحة للدمار الشامل، ومرت بنيتها
الأساسية وأعدته فوراً إلى الوراء، ثم
ثبت أن هذه الأسلحة لا وجود لها، ورغم
ذلك بقيت القوات الأمريكية وقوات
التصالح في بلاد الرافدين، تفكك
أوصاله وتحم من الوجود آثار حضارة
من القدم وأرق حضارات العالم، ولذا فإن

الجو رمضاني... والصحبة عجباني



في سميراميس ندعوك لتعيش رمضانك في سحورك وفطارك... استمتع بمنظر النيل الخلاب ومائدة إفطار شهى في النايث انداى في نويه الجديد... وألذ سحور في صحبة الأصدقاء على حمام السباحة ورائحة الشواء تتمايل مع نغمات الطرب الشرقي، أما في مطعمنا اللبناني صبايا اعددنا لكم على الإفطار والسحور أنهى المأكولات اللبنانية المطعمة بنكهة الجبل، وفي البانـه فينو تراس استمتع بالإفطار والسحور مصحوب بالجو العربي الأصيل، هذا كله بالإضافة إلى ركن الحلويات الشرقية في كافيه كورنيش، مع سميراميس استمتع برمضانك في سحورك وفطارك.

Do you live an InterContinental life?

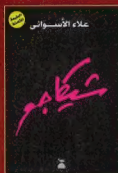


سميراميس
انتركونتيننتال
القاهرة

برجاء الاتصال بكتب جهزات الطابع
تليفون: ١٥١٨ ٢٢٢٢ - ٢٢٢١ ٢٢٢٢ داخل، ١١٥١
فاكس: ٢٢٢٢ ٢٠٢٠

أحدث إصدارات

دار الشروق



القاهرة: ١ ميدان طلعت حرب - وسط البلد ت: ٣٩٣٠٦٤٣ - ٣٩١٢٤٨٠
مدينة نصر ٨ سميوية المصري - رابعة العدوية ت: ٤٠٢٣٣٩٩
الجيزة: ميني فرست مول - ٣٥ شارع الجيزة أمام حديقة الحيوان ت: ٥٧٣٥٠٣٥ - ٥٧٣٥١٨٧
الإسكندرية: سان ستيفانو مول ت: ٠٣/٤٦٩٠٣٧٠ - ٠٣/١٦٣٣٦٨٥

www.shorouk.com e-mail: bookstores@shorouk.com